

أكتوبر 2022

444

إلا أننا نسقط سعداء

رواية

تأليف: إنريكو جاليانو

ترجمة: أماني فوزي حبشي

مراجعة: الرداد شرطي

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969
تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني
(1923 - 1990)

إلا أننا نسقط سعداء

رواية

تأليف: إنريكو جاليانو
ترجمة: أماني فوزي حبشي
مراجعة: الرداد شراطي



تصدر كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام

الأمين العام

مستشار التحرير

د. حنان عبدالمحسن مظفر

هيئة التحرير

أ. د. سليمان علي الشطي

د. نجمة عبدالله إدريس

د. زبيدة علي أشكناني

د. ليلى عثمان فضل

د. علي عجيل العنزي

د. سعاد عبدالله العنزي

أ. فهد توفيق الهندال

أ. بسام صالح المسلم

مدير التحرير

دلال المسلم

سكرتارية التحرير

محمد هشام المغربي

أفضال عيسى الفضالة

التنضيد والإخراج والتنفيذ و التدقيق اللغوي: وحدة الإنتاج

في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.nccal.gov.kw

ebdaat_alamia@nccal.gov.kw

ebdaat.alamiya@gmail.com

ISBN: 978-99906-0-718 - 5

العنوان الأصلي

Eppure Cadiamo Felici

By
Enrico Galian

© 20017 Garzanti S.r.l.. Milano
Groppo editoriale Mauri Spagnol

Printed in Italy
www.garzantilibri.it

الطبعة الأولى - دولة الكويت، إبداعات عالمية - العدد 444
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - أكتوبر 2022

إلى بوبي، التي تسكن في قلبي... *Begadang*
كلمة إندونيسية تعني (البقاء مستيقظين طوال الليل لتحدث).

«لأنني أحبك بتفانٍ، بصرف النظر عمن تكونين».
أبوليوس، التحولات.

(أسطورة كيوبيد وسايكي)

«هل شعرت من قبل أنك مثل كيس من البلاستيك تحمله
الريح؟»

Firework، كاتي بيرى،

ملحوظة: أجرت المترجمة بعض التعديلات البسيطة
على النص الأصلي بالاتفاق مع المؤلف.

الجزء الأول

1

سأحبك يا لوكا إلى الأبد.
سباتارو خنزير مسنّ.
الحب مثل العطر، سهل وضعه، صعب نزعها، مستحيل نسيانه.
بالأمس نمت مع كازالي وكان شيء جميل.
(شيئا جميلا) يا جاهل

حفظت جويًا سبادا تلك الكتابات، إلا أنها في كل صباح لا
تستطيع أن تمنع نفسها من إعادة قراءتها، واحدة تلو أخرى،
بينما تمضغ فطيرة التوت، وهي تجلس بقدميها معقودتين فوق
مقعد المرحاض.

وخلف الباب، أصوات ست أو سبع - على الأقل - من زميلاتها
يضحكن، ويضعن المساحيق، ويطلبن النصائح حول ماذا يكتبن
لذلك الأحمق الذي لا يتصل مطلقاً.

إلا أنها تراهن بمجموعة أسطوانات بينك فلويد⁽¹⁾ الكاملة على
أن كازالي هو من كتب تلك العبارة. إنه من ذلك النوع القادر
على الدخول خفية إلى حمام البنات، ممسكاً بقلم التلوين في يده
ليخط حكمة ثمينة كهذه، وليوهم كل الفتيات في المدرسة أنه فتى

(1) Pink Floyd: فريق روك من كامبريدج (المملكة المتحدة)، بدأ العام 1965، وكان من أكثر فرق الروك تميزاً من حيث كلمات الأغاني والموسيقى.

متفوق بالفعل. نوع من عمليات التسويق الذكية في الحقيقة، لكنها في غاية البؤس.

ثم في الحقيقة، إن ما خطّه شبيه حقاً بتوقيع لجاهل مدلل مثله، نظراً إلى وجود ذلك الخطأ النحوي.

رن الجرس الأول، وبدأت زميلاتها في التسلل إلى الخارج وهن يضحكن، ولم تكن جويّا انتهت بعد من نصف فطيرتها. تلمس، كما تفعل دائماً، الندبة الصغيرة الموجودة خلف أذنها اليمنى، بينما تعد الثواني، التي تحتاج إليها؛ لكي تخرج دون أن يراها أحد. تتناول الإفطار في المدرسة لأن الأفضل، بالنسبة إليها، ألا توجد في المنزل إلا أثناء نومها. ربما الحل الأمثل أن يوجد المرء هناك وهو ميت؛ لأن الميـت وحده من سيكون على سجيته في محيطها العائلي؛ ولذلك منذ بضعة أشهر تصل إلى المدرسة مبكرة وتغلق على نفسها الحمام لتأكل هناك.

جويّا سبادا، سبعة عشر عاماً، شعرها أحمر طبيعي، وأمطار من النمـش تنزل من أنفها حتى عظمتي وجنتيها. عيناها كأنهما بحيرتان زرقاوان متسعـتان، تبدوان لامعتين دائماً، حتى عندما لا تلمعان. ترتدي دائماً قميصاً مربعاً من الصوف، مع بنطلون جينز ممزق ومبقع، لكنه ليس من تلك النوعية الممزقة والمبقعة التي، في الحقيقة، يبلغ سعرها شهرين من الإيجار؛ فهي ببساطة كذلك لأنها قديمة جداً؛ ولأنها كل ما تملكه. جسمها أيضاً رفيع، لكن ليس بالمقياس الموجود حولها، الذي يجعلها تبدو كأنها تزن بضعة كيلوغرامات أكثر من المتوسط، إلا أنها لا تتبـه حتى لذلك، أو إذا أردنا الدقة، لا يهمها بالفعل أي شيء؛ فهي لم تضع المساحيق على وجهها قط، وتكرس لعملية تصفيف شعرها وارتداء ملابسها الوقت نفسه الذي يكرسه فتى، وربما أقل.

في واقع الأمر، بالنسبة إلى الفتية؛ فهي شيء لا يعبر، ولا حتى على بُعد كيلومترات من رادار اهتماماتهم الجسدية؛ فهي في المرتبة الأخيرة في قائمة الأجمل في الفصل؛ تلك القائمة، التي خطوها ثم وزعوها أيضاً بسادية، وكان موقعها بالتحديد في المرتبة قبل الأخيرة. ليست في المرتبة الأخيرة، إلا لأن من تأتى بعدها؛ المسكينة، تعاني من خلل في جهازها الهضمي ووزنها أكثر من مائة كيلو.

أي شخص آخر كان سيشعر بالضيق الشديد عندما يكتشف أنه في هذا الموقف، وربما أصابته الصدمة، التي لا يمكنه الشفاء منها إلا بعد أعوام من التحليل النفسي، لكن الأمر مختلف بالنسبة إلى جويبا سبادا. شعرت جويبا فقط بالغضب العميق تجاه من قام بذلك التصنيف، ثم ألقت بالورقة بما تحويه من الأسماء في سلة المهملات، قبل أن تتمكن زميلتها، زائدة الوزن، من قراءتها.

غريبة جويبا سبادا.

أجل، إن هي حاولت وحسب، ستكون مقبولة تقريباً، لكن لا تتوقعوا ذلك المشهد الكلاسيكي، الذي تنزع فيه قليلة الحظ في المدرسة نظارتها لتصبح فجأة بارعة الجمال. ليست من هذا النوع، ثم إنها لا ترتدي النظارة.

رن الجرس الثاني.

ألقت جويبا بنصف الفطيرة في المرحاض، وأنزلت عليه المياه، فتحت باب الحمام. خرجت زميلاتها. وعلى المرأة أمامها، وجدت مكتوباً بأحمر الشفاه:

مايوناجويا⁽²⁾، هل أكلك كثيراً من القراصيا هو سبب وجودك الدائم فوق المرحاض؟

(2) اسم البطلة Gioia؛ معناه فرحة، و Maiunagioia هو الاسم الحركي، الذي أطلقه عليها زملاؤها للسخرية منها ومعتاه (ليست فرحة على الإطلاق).

2

جويا سبادا، يناديها جميع زملائها فيما بينهم (مايونا جويا)، تدخل إلى الفصل وهي تسمع أغنية The great Gig in the Sky والصوت على ارتفاع 10+، بالتأكيد، هذا يسمح لها بميزة لا يمكن تجاهلها؛ وهي ألا تستمع إلى أحاديث الناس، لكن يساعدها بصفة عامة أن تجلس هناك؛ في مقعدها القريب من النافذة، وتبدأ في إحدى ألعابها المفضلة، التي أطلقت عليها هي اسم «المنتدى»، وفيها، من خلال النظر إلى حركات شفاه الزملاء، تضع على أفواههم عبارات، تتخيلها هي. وهكذا على يسارها؛ حيث توجد جوليا وسيلفيا، اللتان تتناقشان حول المدة التي يثبت فيها ظلال العيون الخاص بكل منهما، كانت جويا تتخيلهما تقولان: «من المؤكد أن ذلك المشهد من فيلم الجمال الأمريكي⁽³⁾ مؤثر بالفعل!». - «أجل، في كل مرة أشاهده، لا بد أن أتأثر!».

أو أمامها، على بُعد مقعدين؛ حيث يجلس ثلاثة فتية يتشاجرون بحماس حول ضربة جزاء لم تُمنح لفريق يوفانتوس، كانت جويا تتخيل: «لكن ما هذا الذي تقوله؟ دي جريجوري أفضل!». «هل أنت غبي؟ وماذا عن فيكيوني؟».

«لستما سوى أحمقين، الأفضل من الجميع هو دي أندريه⁽⁴⁾!».
الظلم الحقيقي، تبعاً لجويا، هو أنه لا يمكن ترك السماعتين ملتصقتين بأذنيها طوال اليوم. إذا تركوها تفعل هذا، سيصبح العالم، بلا شك، مكاناً أفضل.

إلا أنها في أثناء انتظار وصول مدرس الساعة الأولى، تأخذ قلماً من حقيبتها وتبدأ في كتابة حروف على ذراعها اليسرى. ببطء، وبعناية،

(3) American Beauty: فيلم أمريكي إنتاج العام 1999.

(4) De Gregori, Vecchioni, De André: مغنون إيطاليون في فترة السبعينيات.

تعيد عليها من جديد بطرف قلمها الأزرق، حتى أصبحت مكتوبة بخط كبير وجميل يمكن رؤيته أيضاً من بعيد؛ وهي الحروف التي تكون تدريجياً الكلمات: Wenn ein Glückliches fällt.

من حين إلى آخر، كانت تتوقف، تبعد عينيها عن ذراعها وتنظر بإعجاب إلى النتيجة، وتبتسم. الغناء الفردي لكثير توري⁽⁵⁾، إضافة إلى أنه رائع، كان معجزاً؛ فقد أنقذها من أن تسمع ضحكات زملائها وزميلاتها، الذين كانوا يلقون نظرة على عاداتها الصباحية في أن تكتب العبارة نفسها على ذراعها اليسرى. لا يعرف أحد منهم ماذا تعني تلك الكلمات، وعلى الفور أولوها بـ«تلك، التي، هناك، خلل، ما، لديها»، أو «تلك، التي، لديها، كثير، من، المشكلات»، وأيضاً من أجل تلك الكلمات القليلة، التي تعيد كتابتها في كل صباح على ذراعها. «لكن ما هذا؟ أهو مكتوب باللغة الإنجليزية أم ماذا؟» سألتها في اليوم الثالث جوليا باتا، زميلتها المصنفة أنها الأجمل في الفصل، جاءت بالتحديد في المركز الأول.

«أم ماذا؟»، أجبتها جوليا، دون حتى أن تنظر إليها. كانت تريد أن تشرح لها أنها كانت كلمات بالألمانية؛ تلك المكتوبة، وأنها كلمات لا يمكن ترجمتها، لكنها تعني بطريقة أو بأخرى: «عندما تكون السعادة شيئاً يقع»، أو ربما أيضاً أن تقول لها لماذا تكتب تلك الكلمات بالتحديد فوق ذراعها، كل يوم. إلا أن الطريقة التي سألتها بها، ونظرات الآخرين جميعاً هناك حولها، دفعتها في النهاية إلى أن تكون إجابتها: «أم ماذا؟»، التي كانت، لأسابيع كاملة، الكلمات الوحيدة التي تبادلتها مع زملائها. في الواقع، هناك أشياء معينة نقولها فقط لمن نعلم أنه يمكنه أن يفهمها؛ وهو أيضاً السبب الذي من أجله نتحدث قليلاً جداً عن الأشياء التي تهمنا بالفعل.

(5) Clare Torry مغنية بريطانية اشتركت مع بينك فلويد في إحدى الأغنيات.

وحده أستاذ الفلسفة، البروفيسور بوفه Bove، من يفهم ذلك؛ ففي فسحة ذلك اليوم نفسه، وبينما كانت تقف وظهرها مستند إلى جدار الممر وتمضغ بعض المقرمشات، مرَّ أمامها، ثم توقف، ثم عاد بضع خطوات إلى الخلف وهو ينظر إلى ذراعها، وقال لها: «آه، العزيز ريلكه ⁽⁶⁾ المسن!».

مكثت جويًا هناك، بفم مفتوح، تنظر إليه وهو يتعد ويصفر، من دون أن يضيف أي شيء آخر. البروفيسور بوفه الوحيد، الذي استطاع أن يتعرف إلى القصيدة التي منها نقلت هذا البيت، وبالمصادفة كان الوحيد، الذي يوجه إليها الحديث في تلك المدرسة. بلا شك الوحيد الذي سترغب جويًا أيضاً في التحدث معه. «صباح الخير يا أولاد»، يقول معلم العلوم في أثناء دخوله، دون أن يرد عليه مخلوق.

أحياناً، كانت جويًا ترد التحية للأساتذة، ثم بالتدريج أدركت أنه شيء لا أهمية له على الإطلاق. إن كلمة «صباح الخير»، التي يقولونها في أثناء الدخول، هي بمنزلة بطاقة العمل التي يختمونها؛ ومن ثم لا يهمهم أيضاً أن يرد أحد التحية. ربما هناك شيء طفولي في الأمر، إلا أن جويًا كانت تحب الطريقة، التي كانت عليها المدرسة في زمن ما، عندما كان التلاميذ ينهضون عند دخول المعلم إلى الفصل ويصيحون بصوت واحد: «صباح الخير يا أستاذ!». سأل المدرس: هل عليّ اليوم أن أشرح أم أسأل؟ كانت الإجابة بالتأكيد مفروغاً منها؛ وهي ما وصلت إلى المدرس بصوت واحد: «أن تشرح!».

في الحقيقة، حتى الخرائط الجغرافية المعلقة على الجدران تعرف أن يوم الاثنين يوم الاختبار.

(6) Rilke, Rainer Maria Rilke: شاعر وروائي نمساوي: راينر ماريا ريلكه.

- هل أنتم متأكدون؟ أليس اليوم هو الاثنين؟
- أجل يا أستاذ، اليوم الاثنين، لكن المرة الأخيرة قلت إنك ستشرح.
قالها كازالي من المقعد الأخير، بوجهه المتميز المعتاد لأحمق.
اشتم الأستاذ رائحة الخدعة، وأخرج من جيبه مفكرة صغيرة،
تصفحها بسرعة، ثم قال: يؤسفني أن أعارضك يا كازالي، لكن أخشى
أنك تنسب إليّ كلمات لم أقلها.
تبعاً لجوياً، لا بد أن تكون هناك حلقة في الجحيم مخصصة
بصفة حصريّة للأساتذة، الذين يتحدثون بكلمات صعبة فقط
لمتعة أن يُشعروا مَنْ أمامهم بأنهم أقل.
- إذن، أنا أرى يا كازالي العزيز، أنه نظراً إلى محاولتك اللئيمة أن
تخدعني، يمكن أن تكون أحد المحظوظين، الذين سيجلسون هنا
بالقرب مني لتتجاوز معاً حول الخلايا الليمفاوية وخلايا الدم البيضاء.
نظر كازالي حوله بحثاً عن بعض الدعم من زملائه، لكن لا
شيء. خُفضت كل العيون، وتظاهرت الرؤوس بأنها تبحث عن شيء
في الحقيقة، وساد الصمت.
- إذن يا سيد كازالي، أنا في انتظار حضرتك.
قال كازالي: حالاً أستاذ! وفي ذلك الوقت، كانت يده تلعب
أسفل المقعد. فهم الفصل بأكمله ماذا يحدث، ويمكن استنتاج
ذلك من واقع أنهم جميعاً، فيما عدا جويًا، أخذوا على الفور في
تصفح كتاب العلوم، في محاولة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من
المعلومات في أقل فترة زمنية ممكنة: فتلك اليد أسفل المقعد
كانت في الواقع الإشارة إلى أن شخصاً آخر بينهم سيأخذ حتماً دور
كازالي في الاختبار، بينما سيكون هو سليماً معافى.
وبالفعل، يخرج من مكانه ويجلس بالقرب من الأستاذ، وعلى
وجهه تعبير الأكثر هدوءاً في العالم.

- كيف أرى على وجهك هذا الكم من الحبور يا سيد كازالي؟
- لأنني ذاكرت وأتشوق إلى الساعة التي يمكنني أن أثبت ذلك
يا أستاذ.

- حسناً يا سيد كازالي. إذن هل يمكن لسيادتك أن تشرح لي
الأصل الإيتيمولوجي للتعبير «leucocita»؟
ابتسم كازالي. وكان من الواضح جداً أنه، في ذهنه، كان يعد عدداً
تنازلياً.

ثلاثة

اثنان

واحد...

يطرق أحدهم الباب. يدخل ماريو، الحارس: «صباح الخير،
آسف على الإزعاج، لكنه أمر عاجل. هناك مشكلة مهمة لـ...»،
يفتح الساعي ورقة صغيرة، «كازالي جانلوكا. لا بد أن يذهب على
الفور إلى أسفل!».

ومن آخر الفصل تتصاعد الضحكات المكتومة.

سأل المعلم: هل حدث شيء خطير؟

أجاب الساعي: لا أعلم، أعلم فقط أنها مشكلة من المستشفى.

يحبك كازالي أكثر تعبيرات القلق التي يستطيعها على وجهه،
ينهض ويقول للأستاذ: ربما يمكن لسيادتك امتحاني فيما بعد؟
- حسناً حسناً، لا تفكر في الأمر الآن. اذهب يا كازالي، أسرع.

وينهض كازالي على الفور، مستعداً للهروب إلى الخارج.

لا يرف جفن لأحد من زملائه. لا أحد يملك الشجاعة لينهض
ويقول ما حدث في الحقيقة؛ وهذا بدافع الخوف فقط؛ لأن كازالي
زعيم صغير ينظم حفلات من الخوف و/ أو السخرية لمن، إذا لم يكن
مدعواً، ينتقل على الفور من خانة «شخص ما» إلى خانة «لا أحد».

فيما عدا جويا، لا يمكن لمخلوق في العالم، ولا حتى الخلايا الليمفاوية، ولا خلايا الدم البيضاء، أن يرغب في أن ينتهي أمره في خانة «لا أحد».

وهذه هي بالفعل المرة الثالثة، هذا العام، التي يستخدم فيها كازالي هذه الخدعة، مع ثلاثة معلمين مختلفين، إنها المرة الثالثة. (فهو يعطي ماريو ورقة بعشرة يوروهات، ويبرع ماريو في دوره، وهو يدخل لاهثاً إلى الفصل متظاهراً بحدوث مأساة عائلية للتو. في الواقع، في خلال ثلاث ثوانٍ، يكون الاثنان في مخزن السعاة يلعبان بالورق أو يشاهدان أفلاماً إباحية على «التابلت». نصابان). من بين الجميع، ربما تكون جويا الوحيدة، التي يمكنها أن تقول شيئاً ما؛ لأنها لا يدعوها أحد مطلقاً إلى تلك الحفلات، وحتى إذا دعاها أحدهم، ستذهب فقط إذا كانت تحت تأثير الأدوية المخدرة. من المؤكد أنها إذا فعلت ذلك سيُقال عنها إنها جاسوسة، جبانة، دودة، والكائن الأكثر قبحاً وقرفاً في الكون. تصرف من هذا النوع سيدفعها إلى الانحدار على الفور إلى أحط درجات الوضاعة والشر.

إلا أنه، من العدل أن يعرف الجميع ذلك منذ البداية، فمايونا جويا سبادا، هي بالفعل تلك الشخصية المقززة، المنحطة والخسيسة، وفقاً لمعظم زملائها. أما أولئك، الذين لا يرونها كذلك حتى الآن، فلأنهم لا يعلمون حتى أن هناك وجوداً لجويا سبادا. لكنها هي أيضاً لا تجتهد كثيراً أيضاً لتنزع عن نفسها تلك الصفة، بل، أحياناً، وبلا تفسير، وعلى الرغم من معرفتها أنها على وشك أن تفعل شيئاً لن يجلب عليها سوى مزيد من كراهية العالم الخارجي لها، ومزيد من المزاح والضحكات الساخرة خلفها، إلا أنها لا تتمكن من أن تمنع نفسها من فعله.

تعرف أن هذا شيء خاطئ وسيجر عليها في المقابل انتقاماً واستهدافاً، لكنها على الرغم من ذلك تفعله، ولا تعرف حتى سبب ذلك. كانت هذه إحدى تلك المرات. وهكذا قالت: أستاذ! وكازالي لا يزال أمام الباب.

تحركت ثمانية عشر رأساً لتنظر نحوها. ست وثلاثون عيناً تطلق عليها سهاماً من الكراهية. يصر كازالي أسنانه، يخصصها بنظرة تحوي بالفعل حروف تهديد. اللعبة على وشك أن تنتهي. قال الأستاذ: حسناً يا آنسة سبادا.

سألته، وهي لا تفهم: حسناً ماذا؟

- حسناً تفضلي، سأمتحنك.

- لا يا أستاذ، كنت أريد أن أقول شيئاً!

- لا يوجد وقت الآن، ضيعنا حقاً كثيراً منه. قولي لي ما تريدين؟

وسيادتك اذهب، ماذا تنتظر؟

قال لكازالي، الذي يستغل شroud المعلم ليوجه لجويا حركة بيده وفمه: حركة لم تستطع هي أن تترجمها على الفور، لكنها ستكشف فيما بعد أنها إيماءة عن إحياء جنسي مقزز وبشع. ثمانية عشر فما تُفتح وتُصدر ثماني عشرة ضحكة ساخرة غبية عالية، وعلى الأقل ثلاث إيماءات بالإصبع الأوسط، تعرف معناها، تعترض طريقها بينما تتجه نحو منصة المعلم.

تتنهد جويا وتعض شفيتها، وتلمس بسبابتها الجرح الصغير خلف أذنها اليمنى، وتقول هامسة لعنتها المفضلة: «كوكب قذر».

3

ليس أنها لم تجرب قط، على العكس، منذ أن أصبحت لها ذكريات، وهي تحاول.

جربت محاولة أن تصبح مثلهم، لكن الأمر لم ينجح.
حاولت أن تصبح نفسها، لكن الأمر لم ينجح.
كان الأمر دائماً على هذه الحال، وفي المدرسة الجديدة، الحال أسوأ.

عندما تتظاهر أنها مثلهم يتعذر عليها ذلك: كانت تحاول أن تقول العبارات نفسها، وتفعل الإيماءات نفسها، لكنها كانت تصدر عنها بطريقة عجيبة. تخطئ الأزمنة، ونبرة الصوت، كل شيء. كانت تضحك دون أن تفهم النكات، وتحاول أن تلقي نكاتاً لم يكن يضحك أحد منها، ثم بالفعل كانت تتعثر كل ثلاث ثوانٍ في شيء ما أثناء سيرها، ويضحك الجميع منها. وتقريباً، كانت تلك هي الفترة التي وُلد فيها اسم مايوناجويا.

عندئذٍ، قالت لنفسها في أحد الأيام: حسن إذا أرادوني هكذا كما أنا، وإذا لم ... فسماعاً وطاعة.
وكانت النتيجة سمعاً وطاعة.

وفي لحظة، التصقت بها صفة المتغترسة، التي لا بد من تجنبها كالطاعون الدملي، ولم ينزعها أحد على الإطلاق. كما لم يحاول أي منهم، بطبيعة الحال، أن يقوم بالمبادرة ولا أن يذهب ليرى من كانت بالفعل، مايوناجويا سبادا؛ تلك الفتاة التي لا تتحدث، ولا يتحدث إليها أحد مطلقاً، بل وإذا فعل كان ذلك للهجوم اللاذع عليها إلى أقصى حد.

لأنه، إذا رأيتهما من الخارج، فإن جويوا شخص سترغب في تجنبه. شخصية ستبدو لك ناقمة على العالم بأكمله بلا سبب. شخصية ستسأل بكل جدية إذا كانت لديها مشكلة في عضلات وجهها، المسؤولة عن تكوين الابتسامة. إن الاسم الحركي مايوناجويا وصلها، بالترتيب الزمني، فقط بعد صفتي: التفاؤل ومرض هربس.

على الرغم من ذلك، ربما، توجد أيضاً أشياء أخرى لا يعرفها أحد عنها؛ وهي أن جويبا سبادا شخصية قادرة، عندما يقدمون إليها هدية ما، على أن تفتح البطاقة فقط، وأن تنسى أن تفتح الهدية نفسها. وجويبا سبادا هي الوحيدة عندما تمطر السماء لا تأخذ المظلة، وإذا كانت معها لا تفتحها. جويبا سبادا شخصية عندما تجد كتاباً يعجبها، لا تبدأ في التهامه، لكن في قراءته بتمهل، خوفاً من أن تنتهي بسرعة. جويبا سبادا لا تبتسم كثيراً، لكن عندما تفعل ذلك تشعل الضوء. جويبا سبادا لا تعلم جيداً من تكون بيلين رودريغيز⁽⁷⁾. جويبا سبادا هي الوحيدة عندما تكتب موضوعات التعبير تكتب كل شيء بلا نقاط ولا فواصل، ثم تضيف علامات التنقيط في النهاية. جويبا سبادا عندما ترى كلباً تحبيه، دائماً. جويبا سبادا عندما تضع قميصها، تخطئ في كل مرة ترتيب الأزرار. في حجرة جويبا سبادا، يوجد جدار عليه مجموعة من صور المغنين والكتاب، الرسامين والشعراء، وخمسة وتسعين في المائة منهم على الأقل، من الأموات؛ وهي عندما تأكل البيتزا تبدأ من الحواف. جويبا سبادا، أجل، وهذا حقيقي، واحدة ممن لا يتحدثون تقريباً مطلقاً مع الناس، خصوصاً مع من هم في سنها، ليس لأنها تكره الجميع، أو لأنها تعد نفسها أفضل منهم كما يعتقدون؛ بل لأنها فقط ترى وتشعر جيداً جداً بأنهم، جميعهم، أفضل من ذلك، وبأنهم ييثون حولهم نسخة مخالفة من أنفسهم؛ نسخة سيئة، كأن بدائل مدعوون ليحلوا محلهم في المدرسة والعمل والميدان، بينما هم، أولئك الحقيقيون، يكتثون في المنزل، يخلقون على أنفسهم جيداً، ويختبئون في حجرة ما، خوفاً من أن يراهم أحد. جويبا سبادا إذا رأت واحداً منهم فقط، حتى إن كان واحداً منهم فقط،

(7) Belén Rodriguez : مذبة وفاة استعراض إيطالية أرجنتينية .

لم يرسل بديله إلى المدرسة، لن تفكر لثانيتين قبل أن تلتصق به كأنها لاصق مزدوج. لأن جويبا سبادا هي واحدة يقول عنها كل مَنْ قابلها إنها تكره الناس، وإنها ستعيش سعيدة فقط وحيدة في جزيرة نائية، بينما هي تعلم أن الأمر ليس كذلك، وأنها تحب الناس، تحبهم حتى الجنون، تدرسهم، وتراقبهم، دائماً. إنها لا تكره البشر، إنها تكره فقط الكذب، والمشكلة هي أن الاثنين، تقريباً دائماً، يتوافقان.

لا أحد يعرف ذلك، لكن عندما كانوا يسألونها في المدرسة الابتدائية: ماذا تريدان أن تفعلين عندما تكبرين؟ كانت تجيب دائماً، وبالطريقة نفسها، وتقول: «أن أسعد أحدهم».

4

- تنظيف حمامات الملاهي الليلية بعد مواعيد العمل، بكل ما فيها من قاذورات خارج المراحيض وطين وقيء وبراز.
- آه، أجل، بالتأكيد.
- أن تحصي على يديك كل الأموال من فئة سنت واحد، واثنين، وخمسة سنتات في بنك، بينما هناك من يجلس بالقرب منك ويقول لك باستمرار وبصوت مرتفع أرقاماً عشوائية.
- وهذا أيضاً، بالتأكيد.
- ربما ممارسة الجنس مع أيٍّ من زملائك في الفصل.
- تلك ستكون قاسية، لكنني سأفضل ذلك بلا شك!

كانت جويبا تسير في خطوة بطيئة جداً، تقريباً تجر قدميها، وفي الوقت نفسه تتحدث مع تونيا، التي تسير بجوارها. وكانت تونيا تسرد عليها، مثل كل الأيام، القائمة: قائمة الأشياء، التي تستعد جويبا لعملها بدلاً من العودة إلى المنزل، إلى تلك الشقة الواقعة

في الطابق الثاني وسط بنايات عملاقة من المنازل الشعبية. كل يوم تخترع تونيا أشياء جديدة بشعة، لكن نادراً ما تجد جويًا شيئاً لا تفضّل عمله، بدلاً من أن تفتح الباب، ومجرد أن تتنفس الهواء الذي يُتنفس في منزلها وفي حيّها.

شهدت من المنازل السيئة والمتهالكة منازل متنوعة خلال أعوامها السبعة عشر، لكن هذا المنزل، بلا منازع، ذو قيمة مضافة هي أنه يقع، أيضاً، في ضاحية مكونة كلها من المنازل الشعبية؛ من بنايات عملاقة رمادية تملأ جدرانها الكتابات البشعة، ويسكنها تقريباً بصفة حصرية مسنون متذمرون، وملئمة بوجوه لا يمكن أن تشعر مطلقاً بالرغبة في أن تقول لها مبتسماً: صباح الخير. إلا أنه بعد أعوام على قائمة الانتظار، جاء دورهما أخيراً؛ وهكذا في أحد الأيام فتحت أمها، وهي لا تزال ترتدي قميص النوم، خطاباً، وبعينين مملؤهما الدموع قالت لها: أصبح لدينا منزل. وانتقلتا على الفور منذ ثلاثة أشهر.

- أن تصابي بالبواسير الملتهبة، ولا تستطيعين الجلوس لمدة أسبوع!

- آه، أجل، بكل سرور.

كانت تونيا صديقتها المفضلة. أكثر وقاحة من رقيب في البحرية، إلا أنها مستعدة دائماً أن تمنح جويًا النصائح الجيدة، وأن تساعد في اللحظات الصعبة. طويلة، شعرها قصير، من حين إلى آخر تتحدث بلهجة جنوبية؛ وهي الوحيدة القادرة، تقريباً، على أن تضحك جويًا. إنها الصديقة المكتملة الخصال: مخلص، مباشرة، لا تلوي الكلمات، وليست على أي حال خبيرة بذلك الفن، الذي تعرفه جيداً كل الفتيات اللاتي تعرفهن جويًا؛ وهو تليين كل ما هو سيئ. أجل، كانت جويًا تتساءل دائماً كيف أن أغلب الفتيات

يرين أن الصديقة الجيدة هي الإنسانية الرقيقة؛ لأنها تعرف كيف تجد الكلمات المناسبة لكي لا تجرح، وأن تتمهل فيما تقوله، لكن صديقة مثل تونيا أفضل كثيراً، فعندما تتصرفين بطريقة سيئة لن تقول لك: «ربما كان عليكِ، أتعرفين، من الأفضل...»، لكنها ستقول لك: «هيه يا حلوة، أنتِ تتصرفين بطريقة مقرفة، تعرفين هذا، أليس كذلك؟».

بالفعل، تونيا هي الصديقة الكاملة على الأقل لألف سبب، لكنها كذلك لسبب واحد: فهي بلا وجود.

أجل، تونيا فينشينزي، البالغة من العمر سبعة عشر عاماً، أبوها من بيومونتي، وأمها من ساليرنو، التي تعرفت إليها في اليوم التالي، منذ أن انتقلت هي وأمها وجدتها جيماً إلى هنا، توجد فقط في خيال جوياء. إنها صديقتها المتخيّلة. مفيدة، مفيدة جداً في عدد من الظروف: فهي تلعب الكرة الطائرة (هناك دائماً مباراة أو تدريب تذهب جوياء لتراها، عندما تكون بحاجة إلى أن تخرج من المنزل)، تذهب إلى مدرسة أخرى (لا أحد يدري مطلقاً، ربما يخطر في بال أمها أن تتصل بها لتسألها كيف حال المدرسة) ومنعها أبواها من أن تحمل الهاتف النقال حتى تبلغ سن الثامنة عشرة؛ لأنهما «تقليديان»، ولديهما مبادئ صحية وصارمة (وهكذا لا توجد هناك أي خطورة في أن تطلب الأم رقم هاتفها وتتصل بها عندما تكون «في غير وعيها»). أيضاً لأن جوياء نفسها ليس لديها هاتف نقال. أجل، تماماً؛ فهي ليس لديها هاتف نقال، ربما تكون الوحيدة في العالم الغربي (مع تونيا)، التي ليس لديها هاتف نقال. لا؛ لأن الأم ذات مبادئ صحية، لكن ببساطة لأنه لا يمكنهم أن يسمحوا لأنفسهم بذلك، نظراً إلى أن النقود الوحيدة التي تدخل المنزل هي تلك الخاصة بمعاش الجدة، وتلك الباقية من معاش

الجد، التي لا بد أن تكفي ثلاثة أشخاص، ومعهم قط.
- أن تشاهدي منذ البداية حتى النهاية كل حلقات مسلسل
Beautiful.!

- لا، حسناً، هذا لا، لا تطلبي مني هذا يا تونيا!
مع تونيا تحدثت جويًا، بصوت مرتفع، وتحدثت معها كثيراً
جداً، خصوصاً عندما تشعر بأنها في حالة سيئة وفي حاجة إلى
شخص ليخفف عنها ويضحكها.
في الواقع، كان لجويًا، منذ فترة المدرسة الابتدائية، ميل إلى فتح
قوسين بعيداً عن العالم، وأن تلقي بنفسها داخلهما. لاحظت ذلك
في البداية مدرساتها، عندما رأين أنها تقضي أغلب وقتها تحديق في
الفراغ، وأنها لا تنجح مطلقاً في البقاء منتبهة كثيراً في أثناء الدروس.
منذ ذلك الحين، تقريباً، اكتشفت جويًا أنها يمكنها أن تكون
مقتربة جداً من العالم بداخل رأسها أكثر من ذلك الخارجي.
سألته تونيا عندما أوشكتنا على الاقتراب من وجهتهما: لماذا، ألا

تعجبك «Beautiful»؟

- هل أنت مجنونة؟

أجل، بخلاف مشاهدة «Beautiful»، يمكنها أن تفعل عملياً أي
شيء آخر، لكي لا تضطر إلى مشاهدة ذلك الذي ستراه بمجرد أن
تعبّر عتبة المنزل. أمها ممددة على الأريكة، تقريباً نصف مخمورة
تشاهد التلفزيون، والحوض ممتلئ تماماً بالأطباق المتسخة، وفوقه
تتطاير بضع ذبابات، جدتها جيمًا في الحجرة الخلفية بجهاز
الإطعام الوريدي المتدلي، والقسطة التي لا بد من تغييرها. جاكو؛
القط الشبح، يجول في مكان ما مدمراً الأثاث، ولا يزعجه شيء، ثم
إن رائحة المنزل المغلق لا يمكن تحملها، وبقع العفن في الزاوية بين
المطبخ وحجرة الجلوس، وحنفية الحمام التي لم يكف مأوها عن

التسرب منذ اليوم الأول الذي وصلن فيه إلى هنا. الشيء الغريب الوحيد هو حينما تستضيف أمها أيضاً أحد أصدقائها الصغار؛ وهو الأمر الذي يحدث من حين إلى آخر. في العادة، يكونون فتية تتراوح أعمارهم بين العشرين والخامسة والعشرين، قابلتهم في محل ما قبل ساعة الإغلاق، وينتظرون بشوق ليخبروا أصدقاءهم عن مغامراتهم الجنسية، أو رجالاً فوق سن الخمسين، عاطلين، ومهملين، بذقون لم تُحلق منذ ثلاثة أيام، وجيوب كبيرة أسفل عيونهم. والمرة الأخيرة، كان يوجد شخص عمره واحد وخمسون عاماً، لديه خصلة شعر فوق رأسه وألثغ في حرف الرء، وعندما دخلت جوياء وقالت بأدب: «صباح الخير»، أجاب قائلاً: لم تخبريني أن لديك ابنة.

والجزء الأكثر إحراجاً من هذا الأمر أن أمها لم تقل قط لأي من أصدقائها أن جوياء ابنتها. عندما كانت تقدمها إليهم، إذا فعلت ذلك، تقدمها على أساس أنها «شريكتي في المسكن»، أو «أختي»، أو «ابنة عمي التي طلبت أن تمكث معي هنا لبضعة أيام».

ليست لدى جوياء أي فكرة عن السبب الذي من أجله تفعل أمها هذا. ربما تكون لديها فكرة ما: ربما تخشى أن وجود ابنة ربما يُعجل بهروب أي عريس محتمل، بالتأكيد؛ فهي لا تدرك أن: التخلص من ذلك النوع من العرسان لا بد أن يكون أحد أهدافها وليس أحد مخاوفها، وجميعهم رجال صحبوها إلى الفراش في الأمسية الأولى، بل وخلال الساعة الأولى؛ ومن ثم من الصعب أن يكونوا قد فكروا، أو خطر في بالهم، أن يبنوا أي علاقة جادة معها. وهكذا، وبعد أن عبرت أمام كلمات السباب المكتوبة بالخط العريض (عاهرة)، التي خطها أحدهم بألوان الرش على الجدار الخارجي للمنازل الشعبية، صعدت الطابقيين لتصل إلى شقتها،

وضعت يدها على المقبض وتوقفت هناك لثانية.
ثم قالت للمرة الثانية اليوم: يا له من كوكب قذر.
قالتها لأنها سمعت بالفعل من الخارج صوت أمها وهي
تصرخ مع أحدهم، وعندما أجاب ذلك الشخص، فهمت على
الفور من كان.
- أكاد أفكر أنه في هذه الحالة ستكون مشاهدة «Beautiful»
أفضل.

5

- لا بد ألا تقترب حتى من هذا المنزل، أنت تعلم ذلك، أليس
كذلك؟
- بكل تلك النقود، التي جعلتني ألقى بها هباءً في تلك الأعوام
لتهجريني بعدها، كأني أنا من يدفع الإيجار، إذن، لي كل الحق
في أن أكون هنا!
- إن النقود الوحيدة، التي أقيت بها، هي تلك التي دفعتها في
خاتمي الزواج البشعين المستعملين اللذين ابتعتهم!
- أنتِ على حق، الخطأ خطئي أنا، كل شيء خطئي! لم يكن
عليّ أن أقع في حب شخصية غبية مثلك!
- توقف عن الصياح، ستوقظ أُمي!
- أنا لا أصيح!
- بلى، أنت تصيح!
- لا، أصيح!
- أجل، بل أنت تصيح!
- لا، أنا لا أصيح!
كانت أغلب مناقشات والديها، في العادة، تعتمد على الصوت،

تبعاً لذلك التسلسل: هي تقول له (أو هو يقول لها) إنه/ إنها يصيح/ تصيح، والآخر يجيب بأن هذا غير حقيقي، ثم يرفع كل منهما صوته أعلى من الآخر؛ وهكذا في النهاية، حتى إذا لم يكونا يصرخان في البداية، من المؤكد يبدآن في الصياح.

قالت جويًا: أهلاً. لم يجب أحد. دخلت وخلعت حذاءها، وبدا أن أيّاً من أمها وأبيها لا يدرك وجودها؛ وهو أمر ليس سيئاً على الإطلاق، عند التفكير بتمعن.

- هل يمكن أن أعرف ماذا تفعل هنا؟ وكيف استطعت العثور على العنوان؟

- قلت لكِ إنني بحاجة إلى سيرتي الذاتية، وحاسوبي معطل، وأتذكر أنني كنت قد تركت نسخة على هذا الحاسوب!

- تذكر أننا انفصلنا منذ ثلاثة أعوام!

- إيه، وماذا عن ذلك؟

- بالتأكيد، ليست نسخة حديثة.

- ماذا تقصدين؟ إنني لم أقم بأعمال كثيرة خلال تلك الأعوام

الثلاثة؟

- لا، كنت أريد أن أقول إن تلك السيرة الذاتية ستنقصها بالتأكيد أشياء، مثل «ترددت على عاهرات على الرغم من أن لديّ زوجة وابنة سنهما أربعة عشر عاماً»، و«ضربت في حالة سكر زوجتي أكثر من مرة».

تحذير: تفهم جويًا أن هناك جرساً ما قد رن؛ ولذلك من الأفضل أن تصبح مرئية الآن.

والمقصود بـ(جرس) هو عندما تقول أمها شيئاً ما يمكن أن يتسبب بشكل قاطع في تدهور الوضع؛ وذلك باستفرازه أو لمس زر موجه، السخرية منه وجرح كبريائه كرجل، إذا كان في الإمكان

تسميتها كذلك. كلها أشياء، في الفترة الماضية، كانت تعني فيما بعد، صفعات مؤكدة، ومعاوني الشرطة في المنزل، والجيران الكريهين في النافذة وهم يومئون بالرفض برؤوسهم.

كانت تسأل نفسها دائماً كيف يمكن لأمها، التي كانت تعرفه، وتعلم جيداً جداً أنها بقول أشياء معينة سيرد هو بيديه، لا تنجح مطلقاً في السكوت. حسناً، ربما كان هو سيرفع يديه في كل الأحوال، لكن، لماذا، بحق الشيطان، يجب عليها أن تقول تلك النكات الساخرة، تلك العبارات المسيئة والجمل الجارحة؟ شيء غامض بالفعل.

على كل حال، العبارة الأخيرة، تلك الخاصة بالسيرة الذاتية، نموذج كلاسيكي للجرس. إذا لم تظهر جويأ أمامهما وتقول بطريقة حسنة وبصوت مرتفع «صباح الخير!»، سينتهي الأمر بأمها على الأرض متألّمة وأبيها ذهب وصفح خلفه الباب. وبلا سيرة ذاتية هو الأمر، الذي سيكون أكثر خطورة، ليس لأنه هكذا لن يعثر على عمل، لكن لأن هذا سيعني رؤيته من جديد خلال فترة وجيزة. لا، في سبيل ألا ترى وجهه خلال فترة وجيزة في المنزل، يمكن لجويأ أن تقوم بماراثون مشاهدة «Beautiful» لمدة شهر بلا فواصل إعلانية.

- «صباح الخير!»، قالت إذن وهي تقف أمام الباب.
 - «حبييتي الصغيرة!»، أجابتها أمها، وهي تجري للقائها واحتضانها، كأنها عادت لتوها من مهمة في أفغانستان.
 - «أهلاً جويأ»، قال الأب بصوت منخفض وهو يشعل سيجارة.
 تستمر الأم في احتضانها، وتشعر جويأ فوق شعرها بشيء مبتل؛ وهذا يعني أنها بدأت في البكاء.
 ويضيف الأب، بصوت منخفض أكثر: آه، بالمناسبة، هناك شيء آخر.

- إذا كنت تريد نقوداً انس الأمر! هذا الشهر نحن أيضاً مفلسات تماماً.

- لا... هناك مشكلة أخرى.

تبتعد أم جوياء وتمسح دموعها وتنظر نحوه. ويمر جاكو؛ القط الشبح، من أسفل قدميها وهو يخرخر، كأنها لحظة لطيفة من لحظات الحنان الأسري.

- ماذا تريد؟

- سأحتاج إلى أن أنام هنا، لبضعة أيام فقط.

6

«كيف كانت تلك الكلمة؟».

أغلقت جوياء سبداً على نفسها في الحجرة الصغيرة مع جدتها جيماً، تمسك بقلم في يدها وتضعه بين شفتيها، بينما تحديق الفراغ أمامها كأنها تحاول أن تتذكر. أمامها، موضوعة على الفراش، توجد مفكرة مفتوحة يوجد فيها عدد من الكلمات، مكتوبة بطريقة عشوائية، على كل الصفحات، وبجوار كل منها سطران، شيء كالتفسير.

- هيا! تبدأ بحرف P.

تقول متحدثة بصوت مرتفع أمامها. تشير إلى كلمة يونانية سمعتها اليوم في المدرسة من أستاذ العلوم، في أثناء الخطبة، التي ألقاها في ختام امتحانه المؤلم (وفي تلك الحالة، كان يقول إنه في عمرها يجب أن يكون للصبي بالفعل القدرة على الاختيار، أن يقرر ماذا يجب أن يفعل في حياته، وإنها، بعدم الاستذكار، لا تمارس هذه الخاصية، ما كان أيضاً بالفعل تناقضاً؛ فالمرء يمكنه أيضاً اختيار ألا يذاكر، في كل الأحوال).

وقالت: Pro...pro....proairesis! وهي تضرب بيدها على ملاءة جدتها، ثم كتبت بسرعة الكلمة على المفكرة، وهي تضع علامة «يساوي» بجوارها، ثم عرّفتها: القدرة على الاختيار والقرار وفقاً للتفكير العقلاني. نظرت مرة أخرى إلى الكلمة لبضع ثوانٍ، كررتها بطرف شفيتها، بصوت منخفض، وهي تحديق في الفضاء وتفكر في أنها تعرف على الأقل شخصين، خارج هذه الغرفة الصغيرة، ليس ليهما في الواقع، وعمرهما فوق الأربعين؛ أي proairesis، ثم أغلقت المفكرة، ووضعت القلم فوق الطاولة، ونظرت إلى جدتها.

تمكث هناك معها، بالأضواء المنخفضة وفي أذنيها أغنية Another Brick in the Wall⁽⁸⁾ بأعلى صوت.

تسمع جويًا، عملياً، فقط الموسيقى، التي يمكن أن يصنفها أي مراهق متوسط، موسيقى قديمة، أو بالتحديد، عتيقة. الفضل - أو الذنب، يعتمد ذلك على وجهات النظر - يرجع إلى جدها ألفريدو، زوج جيماً، الذي مات وعمر جويًا تسعة أعوام. قضت جويًا الأعوام الأولى من حياتها دائماً في منزل جديها، والأبوان دائماً خارج المنزل يبحثان عن عمل، أو في أغلب الأحوال يفقدانه. كان ذلك ملاذها، أن تتمكن من قضاء فترة طويلة معهما وليس مع أبويها. كانت تقضي أمسيات كاملة مع جدها تستمع فيها إلى تلك الأسطوانات، وكان هو يشرح لها معنى الكلمات، وكان يحكي لها كيف ولدت تلك الأغنيات. الفرق الإنجليزية والأمريكية، المطربون المؤلفون لأغانيهم من الإيطاليين، لكن أيضاً أغاني الروك في التسعينيات، جميعها أشياء لم يستمع إليها حتى زملاؤها في الفصل. كان الجد ألفريدو مجرد مسن، حداداً على المعاش، لكن ثقافته الموسيقية كانت غير عادية. وكان يعمل أيضاً (ديجي)؛ منسق الأغاني في راديو محلي صغير، في

(8) أغنية لفرينق بينك فلويد المعروف تناهض منظومة التعليم Pink Floyd - Another brick in the Wall.

شبابه. والشيء الوحيد، الذي تركه ميراثاً لجويا هو كل مجموعة أسطواناته الفينيل لفرقة بينك فلويد. ربما، لو كان ترك لها سبع فيلات بحمامات سباحة، لما كانت ستسعد بهذه الطريقة.

الحقيقة أن موسيقى فرقة بينك فلويد فيها هذا الشيء، الذي لا يوجد في أي موسيقى أخرى؛ فهي تفصل المرء عن الأرض، ترفعه، عادةً ما تكون موسيقى حزينة، لكن حزينة بطريقة تجعل من الحزن شيئاً جميلاً، بل عذباً، ثم في منتصف ذلك الحزن العذب توقظك، وتُدرِك أنك لم تعد حزيناً، وأن قدميك لم تعودا تلمسان الأرض، وأنت في مكان آخر، وأن العالم هناك تحت، وأنت فوق، وأنت نجوت: فأنت بعيد؛ ومن ثم نجوت.

هكذا يمكن لجويا أن تجيب إذا سألتها أحدهم لماذا تسمعهم كثيراً هكذا. في الواقع، لم يسألها هذا السؤال أحد قط. في نهاية الأمر، العثور على شخص ما يمكنك التحدث معه شيء صعب، أجل، لكن ليس هو أصعب الأشياء. الأصعب هو العثور على من يمكنه أن يسألك الأسئلة الصحيحة، تلك التي لديك عنها أجوبة، موجودة هناك منذ أعوام وأنت لا تعرف هذا. وهناك، في الوقت نفسه، منذ ثلاث ساعات، لا يزال والداها يتشاجران على أشياء حدثت قبل حتى أن تُكتب أغنية Another Brick in the Wall. إنه السبب، الذي من أجله تجلس جويا في الحجرة الصغيرة، مع جدتها التي تجاوز عمرها الثمانين؛ لأن المكوث هنا معها، والنظر إليها، هو أكثر شيء في العالم يمكنه أن يهدئها.

ليس فقط جدتها، لكن في الحقيقة كانت التجاعيد هي السبب، تجاعيد كبار السن التي يمكنها النظر إليها لساعات.

إن تلك التجاعيد طرق ورحلات، إنها أخطاء، وكلما زاد عدد التجاعيد، زادت قصة الحياة المخطوطة على الوجه. وجويا سبادا

كانت كثيراً ما تجلس هناك -لأنها كثيراً ما كانت تحتاج إلى أن تهدأ وهي في منزلها - وتتبع مسار تلك الانحناءات المرسومة على الجلد، وتسير في داخلها، وتحاول أن تتخيل كمّ الضحكات والدموع، وكم الوجع والفرح الذي استلزم لينحتها، إنها مثل الجبال البارزة التي تظهر في الأفق، وتحكي عن مناظرها الطبيعية، ومثل المراكز الرئيسة، والإشارات، والخرائط، تنظر إليها، حتى لو لبضع ثوانٍ؛ لتعرف أين يجب أن تذهب، وماذا عليها أن تفعل، من هي وأين مكانها.

لسبب ما عجيب، جويًا سببًا، بخلاف العاقلات من صديقاتها، تحسد جدتها على التجاعيد، وتريد أن تكون لديها هي أيضاً، ليس بسبب نزوة ما عابرة، ولا لأنها مختلفة، إنها تريدها لأنها تريد أن تكون لديها حياة ثرية مثل هذه على وجهها. ترغب في أن تلمسها بأصابعها، وتعرف أن شيئاً ما قد عبر على جلدها، وأنها لم تمكث منغلقة على نفسها في مكانها، وأن الحياة خربشتها، وتركت علامة ما، ولا يهمها إذا كان ذلك سيؤلمها أو سيفيدها، تريد فقط تلك العلامة.

مثل ذلك القطع؛ ذلك القريب من أذننها، الذي ربما يكون أغلى ما لديها. تلمسه كثيراً جداً، في كل مرة تريد أن تتذكر ما لا تريده بالتحديد، وإلى أين لا تريد الذهاب.

وراء الباب، يوجد أبوها، الذي يتهم أمها بأنها دمرت حياته، وهي بينما تقول له أن يرحل، وإنه لا يمكنه النوم هنا، وإن هناك حكماً بالانفصال يمنعها من ذلك.

تجلس جدتها جيماً وعيناها شبه مغمضتين، وتتنفس ببطء. تحاول أن تتكلم؛ وهكذا تنزع جويًا السماعيتين وتقترّب بأذننها من شفيتها. نادراً ما تستطيع أن تقول أي شيء مفهوم، لكن يحدث

هذا أحانا.

- جججججججججج ... جججججججججج.

لا، هذه لم تكن إحدى تلك المرات.

لكن للأسف نزعت السماعات بالفعل، حتى إن كان ذلك لمدة ثوانٍ، ووصلت إليها أصوات هذين الشخصين، اللذين، أجل، أتيا بها إلى العالم، ولا بد أن تكون ممتنة لهما، لكن إذا استبعدنا هذا، ربما كانا سيصنعان معروفاً كبيراً لنفسيهما وللكون بأكمله إذا لم يكونا قد تقابلا قط.

قالت جويلا لجدها، حتى إن كانت تعرف أنها لن تحصل على رد: إنها بالفعل اثنان من الحمقى، أليس كذلك؟ ولم تكن تعرف حتى جيداً إذا كانت جدتها تفهم ما تقوله، أو إذا كانت تفهمه فقط في بعض المرات.

- أنا أقصد، ماذا لديكما بعد ليقوله أحكما للآخر، ليجرم كل واحد الآخر، وليصرخ بسببه؟ تعلمان أن أحكما لا يحتمل الآخر، فليمكث كل منكما في حجرة وننه هذا، أليس كذلك؟

تحاول الجدة جيمًا أن تقول شيئًا ما، لكن لا يخرج شيء.

- أعلم، أعلم. لا بد أن أكون قوية. لا بد أن أظاهر بأنني لا أهتم بشيء. لا بد ألا أهتم. أعلم هذا.

تحاول الجدة جيمًا أن تقول شيئًا، لكن لا يخرج شيء.

- وماذا لو كنت أرغب في أن أذهب إلى هناك لأضرب الاثنين بالقلادة على وجهيهما؟ أجل، لساعتين. ضربات بالقلادة. يا إلهي، يا له من حلم!

وقبل حتى أن تنتهي من العبارة، فُتح باب الحجرة الصغيرة.
ظهر أبوها، عيناه حمراوان وينشج.

- اخرجی من هنا.

كان يمكنها أن تجيبه بأن يذهب من هنا، أو بأنها ليست لديها أي نية بأن تنهض، لكن جويبا سبادا، مع مرور الأعوام، تعلمت أنه عندما يكون لأبيها هذا الوجه من الأفضل دائماً طاعته، وأن تقول له «أجل»، حتى إن قصدت «لا» جلياً. أو على الأقل أن تمكث في صمت، وهي تردد ذهنياً ترتيب الألبومات المسجلة في الاستوديو أو على الهواء لبينك فلويد، وأن تنتظر أن يهدأ. لم يكن السبب في تلك الندبة أنها وقعت في المتنزه في سن سبعة أعوام، حتى إن رددت ذلك دائماً للمعلمات والزميلات.

- الآن، تعالي إلى هنا وأجيبني عن سؤال!

نظرت إليه جويبا، ومكثت ساكنة.

- سؤال واحد بسيط. تعالي.

نهضت جويبا، وألقت نظرة أخيرة على جدتها، وحاولت جاهدة أن تصور ذهنياً تلك الحزمة من التجاعيد حول عينها اليسرى. تعرف أنها تحتاج إلى كل هدوء هذا العالم في الدقائق القادمة.

7

هناك في المطبخ، تجلس أمها أمام المائدة. هي أيضاً عيناها حمراوان. تظهر رائحة دخان، بينما تمتلئ مطفأة السجائر.

جلس الأب في مواجهة الأم.

- تعالي، اجلسي هنا على رأس المائدة.

قال هذا بصوت هادئ، لكن يمكن التمييز بوضوح أن هذا الهدوء كان ظاهرياً ومصطنعاً ومتوتراً. جلست جويبا.

- تبليغين من العمر ستة عشر عاماً.

- سبعة عشر يا بابا.

- أفضل أيضاً. أنت كبيرة، ومن المؤكد أنك قد كوّنت أفكارك

الخاصة حول هذه القصة كلها.

وهنا فهمت جويًا بالفعل ما يريد.

- جورجو، اتركها وحدها؛ فهي لا دخل لها في هذا!

- دعيني أطرح هذا السؤال فقط على ابنتي. هذا فقط، ثم

يمكنها أن تعود إلى جدتها.

تعرف جويًا بالفعل ما السؤال، وتريد أن تنهض وتذهب من هنا فقط قبل أن تضطر إلى الإجابة. لكن ليس أن تذهب إلى هناك فقط، لكن أن ترحل، أن تخرج من المنزل. أن تذهب، إن أمكن، إلى مدينة أخرى، إلى ولاية أخرى، ربما إلى كوكب آخر، إذا وُجد.

- أصبحت سنك سبعة عشر عاماً؛ ومن ثم أريد أن تفهمي من هذا السؤال أنني الآن أمنحك كل الثقة في العالم، وأنتي أتعامل معكِ كامرأة؛ ومن ثم أضع رأيك إلى حد كبير في الحسابان.

في رأس جويًا، تدور في دوامة كلمتين فقط: (زفت) و(لا).

هكذا: زفت، لا، زفت، لا، زفت، لا، زفت، لا.

- الآن، أريدك أن تفكري في هذا جيداً، خذي الوقت اللازم،

لكنني أريد أن تقولي لنا، في رأيك، الخطأ خطأ من في كل ما يحدث، خطئي أم خطأ أمك؟

- زفت، لا، زفت، لا، زفت، لا.

- ولتعلمي أنني أعلم أنك، بالتأكيد، ستقولين إن الخطأ خطأ

كلينا نوعاً ما، لكنني أريد أن تقولي لنا الآن، في رأيك، من المخطئ أكثر؛ لأنني متأكد من أنك استطعت، خلال تلك الأعوام، تكوين فكرة ما.

في اللحظة نفسها، التي انتهت فيها الأب من تلك العبارة، سقط

القط الشبح كأنه أمطار من السماء، ووقع فوق منتصف المائدة؛ ولهذا السبب أيضاً يطلقون عليه هذا الاسم. عندما وصلن إلى

المنزل الجديد، كان هو موجوداً داخله بالفعل، كأنه هو المالك الأصلي، ومنذ ذلك الحين يفعل هذا، يظهر فجأة، كأنه تكون في هذه اللحظة. يمكنك أن تعثر عليه داخل الأدراج، ويمكنك أن تتعثر به، أو يقفز بين الأشخاص في أثناء الحوارات. القط الشبح.

يطيرهُ أبو جوياء بضربة بيده فيسقطه أرضاً، ولو زادت الضربة على ذلك بدرجة بسيطة جداً، لكانت صدمته بالمُبرد.

- هيا، قولي لنا! مَنْ في رأيك مخطئ أكثر، أنا أم أمك؟

- جورجو، ماذا تريدها أن تقول لك؟ أنت تعرف بالفعل! لماذا

تقحمهما في الوسط؟

- لأنه، إن عاجلاً أم آجلاً، لا بد أن يقول لنا أحدهم هذا الشيء، ويجب ألا يكون شخصاً أحمق من القضاة أو المحامين أو من شابههم. حانت الساعة، التي لا بد أن تدركي فيها أنكِ أنتِ السبب الأصلي في كل هذه المأساة!

- «أنا السبب! أنا السبب!» تصرخ الأم، وهي تضع يديها على

صدرها.

لكن لم تعد جوياء تسمعهما.

نظرتها ثابتة، تجاه الفراغ. تجلس ساكنة، والشيء الوحيد الذي يتحرك هو أسنانها، داخل فمها، تصطك ببعضها. توجد أيضاً كلمة تشرح هذا الشيء؛ وهي مكتوبة في مفكرتها، التي توجد الآن هناك في الغرفة الصغيرة مع جيماً؛ وهي كلمة فارسية zhashzhag، وتعني «عندما تصطك أسنانك، من البرد أو من الغضب».

كان هذا ما يحدث لها بقوة من الغضب الآن؛ وهذه هي

الحركة الوحيدة التي تقوم بها.

- بالتأكيد، هو خطؤكِ أنتِ! وإذا لم يكن ذلك مَنْ سيكون!

حان الوقت لكي تعترفي بهذا.

صرخ الأب ووجهه مكتسٍ بالحمرة، لكن جويًا كمن يجلس أسفل المياه، تصل أصواتهما إليها غير واضحة، ليست سوى ضوضاء كسرهما العبور من خلال المياه، ليست سوى أصوات خالية من المعنى. نجحت فقط في أن تفكر في أنها يجب ألا تجلس هنا، وأن هذا ليس مكانها، وأنها لا تريد أن تجيب عن سؤال من هذا النوع، وأن جاكو ربما مصاب الآن، وأن جدتها تجلس بمفردها، وأن اليوم قد بدأ بأن حصلت على 5- في العلوم، وبزميل في الفصل يهددها على الباب، وأن ذلك في مقابل ما يحدث الآن هو الجزء الأفضل، وأن أباه وأمه ليسا سوى أحمقين، وأنها لم تغلق قارئ الـ«إم بي ثري»؛ ومن ثم، وفقاً لحساباتها، لا بد أن أغنية Mother الآن عليه، الأغنية الأخيرة من الوجه (أ) من أسطوانة The Wall، وأنها ربما، بقليل من الجهد واستراق السمع، تستطيع أن تفهم إذا كانت هي الأغنية، التي تخرج من السماعات، التي توجد حالياً في جيبها، وأنها لم تتناول العشاء، لكن في نهاية الأمر لا تشعر بالجوع، وتوجد في الخارج سماء مرصعة بالنجوم، وأنها ترغب في أن تخرج لتراها.

أجل، هذا ما تريد عمله.

ألا تبقى هنا. ألا تجيب عن هذا السؤال. أن تخرج فقط.

وهكذا، نهضت جويًا، ودون أن يتمكن والداهما من إدراك ما يحدث: ببطء وبهدوء تراجعت خطوة إلى الوراء، ثم بقفزة سريعة جداً أصبحت خارج الحجرة ويدها بالفعل على باب المنزل، فتحتة، ونظرت إلى كليهما لنصف ثانية فقط، ورأت أنهما أدركا الآن فقط ما يحدث، ثم خرجت وأخذت تجري وتهرب بأقصى سرعة تستطيعها، في الظلام، خلف النجوم، بعيداً.

8

اجري يا جويا اجري.

أخذت تجري بأقصى سرعة في حياتها. الهواء يملأ رئتيها، وضربات قلبها تتسارع، ولا تعرف حتى إلى أين هي ذاهبة، ولا حتى إلى متى ترغب في أن تظل بعيدة. تعرف فقط أنها تريد أن تضع أكثر عدد ممكن من الشوارع بينها وبين منزلها. وأخذت تفعل هذا قدر استطاعتها.

في النهاية، وعندما بدأ العرق يُبرد ظهرها، وبدأت ركبها في الارتعاش من التعب، عندما تراكم الحمض اللبني في القدمين وأجبرهما على الوقوف، أدركت أنها وصلت إلى مكان ما في المدينة لم تكن رآته من قبل. لا يعني هذا أنها تعيش في مدينة كبيرة، لكنها هنا منذ أشهر قليلة، والشارع الذي توجد فيه الآن، والمنزل والبار المغلق الذي توقفت أمامه، لا يوجد لها أثر في وسط ما تتذكره.

تشعر بالتعب الشديد؛ وهكذا تجلس على المقاعد البلاستيكية للبار. يبدو أنه ليس مغلقاً، لكنه مهجور. كان يبدو أن اللافتة الخارجية يمكن أن تكون BarAonda، إلا أنها تنقصها الأحرف الأربعة الأخيرة؛ ومن ثم تحولت إلى كلمة BarA⁽⁹⁾ الكئيبة. وبالقرب من البار، كانت توجد هضبة صغيرة تقف عليها كنيسة صغيرة كأنها مُنمنمة، ومن الشارع يصل فقط صوت بعيد لتلفزيون ما. الآن، عندما انتبهت، تشعر جويا أيضاً ببعض البرد. ارتفعت رياح باردة، ولم تكن هي ترتدي سوى سروال البدلة الرياضية وتي شيرت، وكانت غارقة في العرق.

(9) كلمة Bara تعني صندوق الموق.

إلا أنها جلست هناك، ولم يكن أحد في الجوار. ربما لو كان الأمر يعود إليها، لنامت هنا وأنهت الأمر. وفجأة، تشعر بأن جفنيها ثقيلان جداً، كأنهما ملتصقان في أوزان من الرصاص. لا تعرف لماذا، لكن فجأة شعرت بنعاس رهيب، إلى حد أنها لم تعد تستطيع أن تفتح عينيها على الرغم من البرد والوضع، الذي لا يمكن تجاهله، وأنها تجلس على المقاعد الخارجية لحانة لم تكن رأتها من قبل في جزء من أجزاء المدينة، تراها للمرة الأولى؛ حيث لا يوجد أحد، وأن لها في مكان ما أبوين ليست لديهما أي فكرة عن مكانها.

وهكذا، في النهاية، نامت. بذراعيها المتجمدتين والمخاط في أنفها، نامت جويًا. ونامت بعمق إلى حد أنها حلمت أيضاً. كان الحلم بشعاً يجب فيه أن تمسح نحو مليون من الكلمات بالحروف الكبيرة مكتوبة بأحمر الشفاه في المدرسة، من فوق الجدران والمقاعد والأرضيات، كانت كلمة ⁽¹⁰⁾ MAIUNAGIOIA، والمكتوبة في كل مكان، على حين أن أباه وأمه خلفها باستمرار يسألانها: من المخطئ؟ هه؟ من هو؟

ثم، في لحظة ما، ضواء ما توقظها. كان شيئاً كضربة، كأن أحدهم يضرب الجدار بكرة بلاستيكية، إلا أنه كان صوتاً مكتوماً وقويًا: تك!

فتحت جويًا عينيها، ونظرت حولها، لكن لا يوجد أحد. تك! ضربة أخرى.

الآن فقط أدركت أنه في حالة وجود معتدين أو لصوص في الجوار، يمكنهم أن يعتدوا عليها أو يسرقوها دون أن يزعجهم أحد. وفجأة، شعرت ببعض الغباء؛ لأنها مكثت في مكان لا تعرف حتى أين هو، وفي هذه الساعة من الليل.

(10) الاسم الذي أطلقه عليها زملاؤها، ويعني «ليست فرحة على الإطلاق».

تك! ضربة أخرى.

الآن، أمامها حلان، إما أن تهرب، وإما أن تذهب لترى ما هذا. على الرغم من أن جويًا سبادا تعرف جيداً جداً أنه في كل أفلام الرعب توجد دائماً تلك الشخصية الغبية، التي بدلاً من أن تهرب، تقرر أن تذهب لترى ماذا هناك؛ ومن ثم تُذبح أو تُقطع أعضاؤها أو تُشنق؛ بسبب ما يقع بين الفضول وعدمه، إلا أنها تقرر أن تذهب لترى. وببطء، وبهدوء، لكنها تذهب: تسير نحو مصدر الصوت.

ثم يعود الصوت: تك!

كانت شرفة الحانة BarA على شكل حرف L، تجلس هي في أحد الأطراف، والضوء تأتي من الطرف الآخر، وهكذا، لم تستطع أن ترى ما يحدث. ربما كان قطعاً، أو الرياح التي تتسبب في تحريك بعض الأبواب، أو ربما - وهو السبب الأرجح - أن يكون سارقاً - معتدياً. تسير جويًا بمحاذاة الجدار، وتتوقف، ثم تطل برأسها فقط. وفي الزاوية، في العمق، ترى شيئاً ما، بل والأهم أنها ترى شخصاً ما.

يبدو صبيّاً، يرتدي كنزة، ويضع قلنسوته على رأسه، ويلعب لعبة رمي السهام بمفرده.

9

يلقي بسهم، ثم يذهب ليلقطه، ثم يلقي بسهم آخر، ثم يذهب ليلقطه. إنه ماهر، يسدده دائماً في مركز الهدف أو على رقم 60.

يبقى واقع أنه يلعب بمفرده، عملياً في الظلام، في حانة مهجورة اسمها BarA.

وهكذا، تجلس جويًا دقيقتين مندهشة تشاهده وهو يلعب، لكن بعد ذلك تُدرك أنها اللحظة، التي عليها فيها أن تعود أدراجها، وتبدأ في البحث عن طريق المنزل، أو على الأقل أن تفهم أين توجد بالتحديد. إلا أنها، بينما تستدير، تصطدم عن طريق الخطأ بمقعد، ترك أحدهم فوقه مطفأة سجائر، تسقط المطفأة وتتهشم إلى آلاف القطع، وتتسبب في صخب عالٍ جدًّا، وهكذا يلتفت لاعب الأسهم ويستدير قائلاً: من هناك؟

في أثناء اصطدامها بالمقعد، جرحت جويًا ركبتها: حتى إن أرادت الهروب لن تتمكن، وهكذا أجابت: لا شيء... أنا... أجل... على كل حال...

لم يدعها الألم في ركبتها تعبر بوضوح كاف. وتقدم لاعب الأسهم نحوها. رائع، تمامًا ما كان ينقصها.

حاولت أن تقول له: لا تقلق؛ فأنا على وشك أن أرحل من هنا!
قال هو: هل أصبت؟

- لا، لا، لا تقلق؛ لقد فقدت عظمة ركبتي فقط. قل لي إذا رأيتها في الجوار.

قالت جويًا وهي تمسك بركبتها.

قال لها: اجلسي هنا، هيا.

وهو يحرك المقعد المتسبب فيما حدث ويجلسها. في إحدى يديه كان ممسكًا بمِرطبان من الزجاج، مليء بالحجارة، وضعه على المائدة، ثم أمسك بقدمها وبحذر حاول أن يفرد لها على مقعد آخر.

صرخت هي: مهلاً!

- اهدئي، إنها مجرد كدمة، أتعرفين؟ لم تفقدي تمامًا القدرة على استخدام قدميك!

قالت جوياء، وهي تبعده: وأنت من تكون؟ دكتور العظام ذو القلنسوة؟

- لا يا (شيء)، أنا لست سوى شخص يعرف أنه عندما تصطدم بمقعد، ينتهي تأثير ذلك بعد قليل.
نسيت جوياء لثانية أنها هشمت توءاً ركبتها، ونظرت إليه بغضب.

- معذرة، هل أخطأت أم أنك ناديتني للتو (شيء)؟
قالت له. إذا لم يكن بسبب الألم، فأنا يناديها أحدهم (شيء)
كان سيكون دافعاً كافياً لأن تنهض وتذهب على الفور من المكان دون حتى أن تحييه، على الرغم من تصرفه المهذب ومساعدتها على الجلوس.
- أنا؟

- لا. انظر، أحد العملاء المائتين الموجودين في هذا المحل!
نظر هو حوله، كأنه يتظاهر بالبحث عمن فعل هذا، ثم قال مبتسماً: آه، نعم. إذا حدث ورأيتَه قولي لي يا (شيء)، وأنا سأجعله يدفع ثمن هذا! فلا أحد يتحدث هكذا مع الأنسات!
كان مجرد صبي، سنه تقريباً من سنّها. يظهر فقط الجزء الأسفل من وجهه وعينه اليمنى، التي تبدو بلون كستنائي قاتم.
له ذقن صغيرة، نوعاً ما، لكن فيها قليلاً من الشعر. أخذ من جديد المرطبان المليء بالحجارة في يده وجلس أمامها.
- يا (شيء)، هل يمكن معرفة ماذا تفعلين في هذه الساعة في حانة مهجورة وأنت لا ترتدين سوى تي شيرت؟ هل تطاردين المجانين؟

- مبدئياً، أرجوك أن تتوقف عن مناداتي بـ(شيء)، ثم أنا هنا لأنني... لكن معذرة، على أي أساس تتحدث، وأنت تلعب بمفردك

بالأسهم في المكان نفسه، في الساعة نفسها، إضافة إلى أنك تحمل في يدك مرطباناً من الزجاج مليئاً بالحجارة؟

- ربما لديّ سبب جيد لأوجد هنا.

- إيه، ربما أنا أيضاً.

- وأنتِ بهذه الملابس؟

- لماذا؟

- (شيء)، اعذريني، لكن يبدو لي أنكِ لستِ سوى واحدة لديها

سبب جيد لئلا توجد في مكان آخر.

- وأنتِ لستِ سوى شخص لا يهتم فقط بما يخصه!

- إيه، إيه، موافق، معذرة. كأنني لم أقل شيئاً. دعينا لا نبدأ

بداية خاطئة.

- نبدأ؟ ماذا تريد أن تقول؟

سألته جويًا، وهي تحرك قليلاً رأسها جانباً.

- إيه، نحن نتعارف، أليس كذلك؟ ثم إنكِ تبدين لي واحدة

بدأت بالركبة الخاطئة.

نظرت إليه جويًا نظرة سيئة. اقترب منها الصبي للحظة بحذر.

حاول أن يلمس المنطقة التي أصيبت فيها. توقف هي يده، وتضم

شفتيها، وتضعها له ببطء فوق المائدة، وهي تحدق فيه بتلك

النظرة، التي تعني في اللغة العالمية للنظرات: وماذا تريد أن

تلمس؟

- أنا أفضل، شكرًا!

- حسنًا!

- أجل!

يدرس هو ذراعها، ينظر إليها باهتمام، يضم حاجبيه، ويقترب

أكثر بعينه.

- حسناً؟ إلّا مَ تنظر؟
- ما هذا الشيء الذي كتبتِه هنا؟
- كلمات.
- قالت جويّا وهي تربت على قدمها.
- فعلاً! كنت أعتقدُها حروفاً موضوعة بالمصادفة!
- في الحقيقة كثيرون يعتقدونها هكذا!
- لكن ما معناها؟ كلمات بالألمانية، أليس كذلك؟
- كانت الحروف قد مُسحت بعض الشيء بسبب العرق، لا يمكن قراءتها تقريباً. يحاول هو أن يفك شيفرتها، لكن جويّا تغطيها بيدها.
- اسمع، الآن أشعر بأنني بالفعل أفضل، وتقريباً سأذهب.
- يعقد هو ذراعيه ويضع قدميه فوق إحدى الطاولات الصغيرة، ثم يقول لها برضا: أرايتِ؟
- تلمس جويّا ركبتهّا، وبينما تفعل ذلك قالت وهي تتنهد:
- ها هو واحد آخر.
- آخر ماذا؟
- واحد آخر من أولئك الذين يحبون أن يقولوا «أرايتِ؟» عندما يكونون على حق.
- حسناً، كان لا بد أن أختار بين هذه وأن أقول «لتقبّلي يدي»، وكان صراعاً ضارباً، لكن في النهاية ربحت «أرايتِ؟».
- معذرة، أعتقد أنني لم أفهم جيداً: هل قلت لي للتو أن أقبل يدك؟
- من؟ أنا؟
- أجل، أنت: هل قلت لي هذا؟
- ربما يكون هناك بعض الاحتمال أن هذا الأمر قد حدث. أجل.

- وأنت، لإنسانة عرفتھا للتو، تقول شيئاً مثل هذا؟ هكذا،
كأنني أختك؟

- ليست لديّ أخوات، لكن أيضاً إذا كانت لديّ واحدة،
لا أعتقد أنني كنت سأكون قليل التربية حتى أقول لها
هذا!

وهنا، عند تلك العبارة، وبعد بضعة قرون، أو بعد ذلك،
حدث...

حدث ذلك الذي تمكّن قليلون بالفعل من أن يروه؛ لأنه في
المرات التي يحدث فيها، لا يوجد أحد مطلقاً في الجوار ليستمتع
بالمشهد، إلا أنه يحدث.

جوايا عندما تضحك.

ليس بصعوبة، لكن كانت ضحكة استغرقت ثانيتين، لتسحبها
بعد ذلك (في الحقيقة لم تكن ترغب في أن تشعر بأنها مهزومة)،
لكنها ضحكت.

- إيه، إيه، فلانة التي كان عليها أن تقبل يدي، تقريباً ضحكت.
هل هذا يعني أن المضايقة قد ولّت؟

حاولت جوايا أن تنهض، يقترب منها الصبي ليساعدها، تبعده
هي قائلة: سأتصرف بمفردي، سأتصرف بمفردي!

- أوه، لستِ إذن على الإطلاق تلك السيدة، التي فجأة تقبل
مساعدة شخص غريب!

- ربما يمكنك أن تقول لي اسمك، وهكذا لن تصبح بعد غريباً.

- ربما يمكنك أن تقول لي اسمك؛ وهكذا يمكنني أن أتوقف
عن أن أدعوك (شيء). أو إذا كنت تفضلين يمكنني الاستمرار.

- جوايا، اسمي جوايا، وأنت؟

- أنا (لو).

نظرت جويًا لبضع ثوانٍ إلى وجهه: (لو).

- (لو).

- (لو)!

- أجل، (لو). هل نريد أن نمكث هنا طوال الليل نردده؟

- هل اسمك بالفعل (لو)؟ أي إن (لو) هو اسمك؟

- أجل. إنه تصغير. أصدقائي ينادونني هكذا دائماً.

- آه، إذن، اسمك هو لورينزو؟

- ربما.

- لقد قلت لك اسمي.

- لكنك لم تقولي لي مما تهربين. لنقم بمقايضة: أخبرك أنا، إذا

أردت، لماذا ألعب بالأسهم هنا في الليل، لكن اسمي أقوله لك

فقط إذا قلت لي لماذا أنت هنا.

- نعم، لماذا أنت هنا؟

- بسيطة. هل ترين الآلة الصغيرة للأسهم هناك؟ إنها الوحيدة

الموجودة في مكان مفتوح في المدينة كلها.

- إذن؟

- إذن، هي الوحيدة التي أستطيع أن أستعملها ليلاً عندما لا

يكون هناك أحد.

تنظر إليه جويًا وهي تحديق قليلًا بعينيهما، كأنها تريد أن

تقول: ولماذا ترغب في أن تلعب بمفردك عندما لا يكون هناك

أحد؟

- إذا نظر إليّ أحد، لعبتُ بطريقة سيئة جدًا، ويكون إنجازاً إذا

استطعت أن أُلقي السهم في الدائرة، وغالباً ما ينتهي سهمي على

الجدار، أما إذا لعبت بمفردتي، أسدده دائماً حيث أريد. لا تسأليني

عن السبب؛ لأنني أنا نفسي لا أعرفه.

لم تسأله جويًا عن أي شيء، لكن لأنها في داخلها فهمت تمامًا ماذا يقصد. لم تلعب قط بالأشياء في حياتها، ولا تعرف حتى كيف تمسك في يدها بسهم، لكن يحدث الشيء نفسه أيضاً لها: عندما ينظر شخص ما إليها، أو حتى عندما يكون فقط بالقرب منها يضحك أو يتحدث داخل إطار شؤونه، لا تستطيع مطلقاً أن تصل إلى المركز في أي شيء، لكن عندما تكون بمفردها، بالتأكيد ليس دائماً، لكن أحياناً هذا يحدث، فإن السهم يعرف تماماً أين تريده هي.

سألها: وأنتِ، لماذا أنتِ هنا؟

لكنها قالت فقط: إيه.

- لا تعرفين كيف انتهى أمرك هنا، أليس كذلك؟

- نعم، ليست لدي أي فكرة. أعرف فقط أنني بدأت أجري، وعندما لم أعد أستطيع أن أكمل، وجدت نفسي هنا.

- مشكلات في المنزل؟

- أجل... لكن... كيف عرفت؟

- حسناً يا (شيء)، لا يحتاج المرء إلى أن يكون شيرلوك هولمز ليرى أنك تقريباً بالبيجاما، إلا إذا كنتِ من الأشخاص، الذين يخرجون عادةً من منزلهم بهذه الهيئة، ومع هذا البرد أيضاً.

- أعتقد أنني قلت لك اسمي بالفعل، إذن، ربما يمكنك أن تتوقف عن أن تدعوني (شيء)، الآن.

- أتعرفين؟ أعتقد أنني لن أتوقف. لقد قررت أنني أفضل (شيء). ألا يعجبك؟

- نعم، لا يعجبني.

- حسناً، هناك ما هو أسوأ في الحياة من أن يسميك أحدهم (شيء).

- أجل، أن يكون اسم المرء مجرد أداة تعريف⁽¹¹⁾، على سبيل المثال.

حدّق فيها الصبي بجدية. استمرت جويًا، كأنها ترغب في أن تشرح له: Lo أداة تعريف.

- أعلم جيداً ما أداة التعريف، ويمكن أن يصبح ضميراً أيضاً. أنظر إليكِ بطريقة سيئة ربما تفهمين منها كم أعجبتني مزحك! - الآن تفكر في أن تقول لي ما اسمك بالفعل؟

ولا تكاد تنتهي من السؤال، حتى تسمع صوتاً من الشارع، من بعيد، ينادي: جويًا! جويًا.

- أعتقد أنهم يبحثون عنكِ.

- يا للبؤس، إنه أبي! كيف استطاع أن يصل إلى هنا؟

تختبئ جويًا تحت إحدى الطاولات، وتجلس هناك لتستمتع بمشهد أبيها الذي يمر.

قال لها: لا تريدينه أن يراكِ، إيه؟

- جويًا! جويًا!

- لا أريد أن أعود إلى المنزل معه. كله إلا هذا. وأنت تحدّث

بصوت منخفض حتى لا يسمعك!

- تعالي معي!

ويأخذها من يدها ويسير منحنيًا ويقودها حتى نهاية تراس الحانة؛ حيث توجد آلة اللعب بالأسهم. توجد مساحة قدرها نصف متر تقريباً بين الآلة والجدار، ويختبئان هناك، في الظلام، وكل ما حول المكان يجعلانهما غير مرئيين بالفعل.

ويقول هو: ليس سيئاً كميعاد أول. أليس كذلك؟

- كأول ماذا؟

(11) تستخدم Lo في اللغة الإيطالية أداة تعريف للمذكر في حالات محددة.

- جوياء! جوياء!
- نحن في بار، نحن الاثنان، ذكر وأنثى، أنتِ ماذا ستطلقين عليه؟
- ممم... صدمة في الركبة وأب أحرق في الجوار؟
- آه من بنات اليوم. لقد قتلن معنى الرومانسية!
- ابتعد أبو جوياء، ولم يعد صوت ندائه مسموعاً، تخرج هي و(لو) من المخبأ.
- الآن، وقد ابتعد أبوك، هل تلعين مباراة أسهم؟
- لا، أعتقد أنه من الأفضل أن أعود أنا أيضاً إلى المنزل.
- ألا تخافين من أن تعودي بمفردك؟
- بعد أن قابلت شخصاً بقلنسوة يلعب وحده بالأسهم، ويحمل في يده مرطباناً من الحجارة، أعتقد أن لا شيء يمكنه أن يخيفني.
- قل لي فقط ما الطريق الذي يجب أن أسير فيه لأعود إلى حي المنازل الشعبية؟
- هل تسكنين هناك؟
- لا في الحقيقة، كنت أفكر أنه في الليل، بعد الحانة المغلقة، أحب أن أذهب لزيارة حي سيئ السمعة بعض الشيء.
- يبتسم (لو) ويشرح لها الطريق، بينما تبدأ جوياء في الارتعاش وتصطك أسنانها بعضها ببعض، لكن ليس بسبب الغضب هذه المرة؛ بل بسبب البرد.
- برد بعض الشيء، أليس كذلك؟
- يقول لها بعد أن ينتهي من الشرح.
- ربما أحب أن أستمع إلى صوت أسناني التي تصطك ببعضها.
- يا لها من أصوات موسيقية!
- هل أنتِ هكذا ساخرة طوال الوقت، أم أنا الذي أشعركِ

- بالرغبة في أن تطلقني مزحاتك اللاذعة؟
- لنقل إن الأمر مركب من الشيئين.
 - هل يمكنني على الأقل أن أعيرك كنزتي؟
 - وكيف يمكنني أن أعيدها إليك؟
 - بسيطة، إذا أتيت إلى هنا غداً في الساعة نفسها، ستجديني هنا ألعب.
 - هنا.
 - أجل.
 - أنت تحب جداً اللعب بالأشهر.
 - إذن، هل تريدونها أم لا؟
 - حسناً، أشكرك؛ لأنني فعلاً أشعر بأنني سأتجمد، لكنني سأعيدها إليك في الغد.
 - رائع.
 - أنت فعلاً لطيف يا (لو) (اختصار ما لا أعرفه).
 - ليس لطفاً، لكن يلزمي سبب لأراك من جديد، وهكذا ربما تشرح لي ما هذا الشيء المكتوب على ذراعك.
- ترتدي جوياء الكنزة، وتنظر إلى وجهه لثوان معدودة، الآن، وقد خلع القلنسوة، استطاعت أن تراه كله. شعره المقصوص قصير جداً، كستنائي فاتح، يعكس بعض الشيء الضوء القادم من مصابيح الطريق. فمه كبير جداً، غير متناسق قليلاً مع باقي ملامح وجهه، لكن بلا قبح، يبدو، على الأرجح، فم أحد أولئك الذين عندما يضحكون تكون ضحكاتهم من النوع المعدي، التي تظهر جيداً، وتُسمع جيداً. عيناه كستنائيتان داكنتان، ضيقتان بعض الشيء، كاللوزتين، رموشه طويلة جداً، ثم بجوار حاجبه وحمة داكنة طولها نحو سنتيمترين، وهي تنزع أيضاً بعض الشعر من الحاجب نفسه.

- ربما يحمل اسماً غيبياً، لكنه ليس فتى قبيحاً.

فكرت جويًا في تلك الثواني القليلة.

لكنها لاحظت أيضاً أنه ينظر إليها بطريقة غريبة. لن تتمكن من أن تصفها؛ لأنها ببساطة لا يبدو لها أنها تتذكر قط أنها رأت أي شخص ينظر إليها هكذا. كأنه ينظر إليها، لكنه في الوقت نفسه ينظر إلى أبعد من ذلك، كأنه يحدق في الفضاء، إلا أنه يحدق فيها هي.

لكن كل هذا حدث في ثانيتين، وربما أيضاً أقل من هذا.

- إذن، إلى اللقاء غداً. سأعثر على سبب لأعود إلى هنا وأعيد إليك الكنزة.

قالت له، مبدئياً لتكسر حرج نظرتة إليها. كانت بالفعل ثانيتين، لكن تبدو أطول من ذلك بكثير.

- أقل شيء، فأنا لم أهدّها إليك.

أجابها هو وقد استيقظ.

- سلام يا (لو).

- سلام يا (شيء).

10

«صباح الخير يا أولاد».

قال البروفيسور بوفه وهو يدخل. لم يجب أحد فيما عدا جويًا؛ فهي تجيب عليه هو فقط، ويمكن رؤية أن هذا يهمه. عمره سبعون عاماً، لكن يبدو كأنه في الثمانين. الشعر والذقن ناصعا البياض، وجهه محفور، ويرتدي دائماً بدلاً قديمة مزدوجة الصدر، بلوئي الرمادي الداكن أو الرمادي الفاتح، ذات أكمام مستهلكة تماماً عند المرفقين، ويُدرس الفلسفة.

يجلس وينظر إلى الفصل، الجميع، واحداً واحداً، في أعينهم، لبضع ثوانٍ يفعل دائماً الشيء نفسه، بالنسبة إليه هي الطريقة التي يسجل بها الحضور. هكذا، يقول، يراقب الحضور و الغياب. وفي الواقع، أحياناً يضع علامة الغياب على حاضرين في الفصل، إذا رأى في أعينهم أنهم في مكان آخر. لا يغضب، ولا يصيح، يسجلهم غائبين فقط.

بعد الانتهاء من تسجيل الحضور، يفتح حقيبته ومنها يُخرج صينية مليئة بالحلوى الصغيرة، يضعها فوق المكتب، على مرأى الأعين. وأكثر من كونها فطائر صغيرة، فقد كانت بالفعل قنابل من السعرات الحرارية: بينه بالكرمية كبيرة مثل كرات التنس، كانيلوني تبدو كأنها أنابيب الحوض، وفطائر أكبر من أن تُمسك بيد واحدة.

- الآن، سأنادي عليكم، وسأختار وفق الحظ، واحداً بعد الآخر ستأتون هنا، ستختارون قطعكم المفضلة، وتأخذونها إلى أماكنكم، وبمجرد أن أقول انطلقوا، ستبدوون في أكلها.

قالت جوليا بآثا، التي يعادل احتياجهما الغذائي اليومي ذلك الذي لطائر طنان يتبع حمية: لكنني لست جائعة يا أستاذ! أجاب البروفيسور: حسناً لن أصر؛ هذا يعني أن من سأختاره بعدك سيكون من حقه أن يأخذ حق اثنين.

ثم بدأ الأستاذ في مناداة الأسماء. كازالي، دون أي مجهود، كان أول اسم اختيار. إنه الكائن الحي، الذي يحظى بأكبر قدر من الحظ في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، بلا شك.

ثم خرجوا واحداً تلو الآخر جميعهم، وأخذ كل منهم حلواه. وبطبيعة الحال، كل منهم، فيما عدا كازالي، عندما كان يصل إلى هناك كان يقول: لا، ذلك الذي أردته لم يعد موجوداً!

- لا تحاولوا أن تبدؤوا في الأكل قبل أن أقول لكم، وإلا سأعطيكم أربعة!

وبعد أن انتهت كل الفطائر، أبعد بوفه الصينية. نظر إليهم ثانية، ابتسم، ثم قال: تفضلوا! الآن يمكنكم أن تأكلوا. ومن بين الصفوف بدأت التعليقات تتناثر: لكن، كم هو لطيف الأستاذ أن يحضرها لنا!

- لا بد أنها جميعاً منتهية الصلاحية!
- ربما تكون تلك المتبقية من حفل المناولة لحفيدته من سنتين!

- فطيرتي طعمها يشبه الخضراوات!
مكث بوفه هناك ليراقب الصبية. كانت عملية المضغ طويلة بعض الشيء؛ لأن الفطائر كانت ضخمة بالفعل. حتى بوتشا، الذي استطاع في إحدى الأمسيات أن يلتهم بيتزا كاملة في أقل من ثلاثين ثانية، لم ينته بعد من كعكته الصغيرة. وبينما كانت أفواه الجميع ممتلئة، خبط الأستاذ بقوة على المائدة، وقال: توقفوا! توقفوا جميعاً! اتركوا على الفور كل الفطائر! حاول بوتشا أن يقول وفمه ممتلئ بالأشياء البنية: لكن يا أستاذ!

- من سيستمر منكم في الأكل، لن يأخذ سوى درجتين!
لا يمزح بوفه عندما يقول هذا؛ فهو قادر على أن يفعل حقاً ذلك؛ وهو عادة لا يهتم إن ذهب الوالدان إلى مدير المدرسة؛ فهو بالفعل على المعاش، ولا يمكن لأحد أن يضايقه أبداً، ثم إنه أستاذ لا يخشى شيئاً، حتى إن أتى وزير التعليم بنفسه ليلومه على شيء، سيسرد عليه مقولات أفلاطون أو كانط، وسيبتسم ثم سيقول له بكل أدب أن يذهب ويهتم بشؤونه.

هكذا توقف الفصل. لم يستمر أي منهم في المضغ، ووضعوا جميعاً ما تبقى من الفطائر على الطاولة.

- أستاذ هل يمكننا أن نعرف ماذا...

- اخرس يا كازالي، ونظّف وجهك، الذي يبدو كأنه سلة قمامة في محطة القطارات!

ضحك الفصل.

نهض بوفه ووقف أمام المكتب، ثم بدأ:

- إن الحياة، التي تحدث لنا هي ما يحدث. أعلم أن هناك مئات من النظريات حول القدر، أو الكارما، أو العدالة الإلهية. أرسطو، وهيغل، وحتى شوبنهاور، في نهاية الأمر، كانوا جميعهم مقتنعين بأن هناك خطة محددة لسلاسل المسببات والمؤثرات، لكن فكرتي أن كل هذا، كل ما في الأمر، دائماً ليس إلا مسألة حظ. وجوه يكسوها الشك. بعض الضحكات. تقريباً لم يفهم أحدهم بعد عمّا يتحدث المسن، أو إلى أين يريد أن يصل.

- إن فطائرکم، فطائر أحلامکم كانت هناك، فوق تلك الصينية. فقط بعض منكم من واتاهم الحظ استطاعوا الاختيار؛ لأن أولئك اختيروا في البداية. الآخرون كان عليهم أن يرضوا بذلك الذي تبقى. قال جميع التلاميذ، تقريباً بصوت واحد: آهههههه.

- حتى إن كان هناك دائماً شخص ما يتخلى عن اختياره، يرفضه، أو يترك الآخرين يأكلون فطائره.

نظر الجميع إلى باتّا، التي أجابت على نظرات الجميع بنظرة ترغب تقريباً في أن تقول: ثم ماذا؟

- وعندما أخذتموها إلى أماكنكم، كل منكم أكلها بطريقته، ووفق

سرعته، لكن تقريباً جميعكم قمتم بالشيء نفسه، هل لاحظتم؟

نظر الصبية كل منهم إلى الآخر. لا، لم يلحظوا.

- لقد بدأت في أكلها من الجزء الذي وفق رأيكم أقل حلاوة. كانت كل الفطائر بها كريمة أو شوكولاتة؛ أي كان بها جزء أكثر مذاقاً، وكنتم جميعاً ترغبون في ترك هذا الجزء للنهاية، هل أدركتم هذا؟

قال أحدهم: أنا أفعل هذا دائماً يا أستاذ!

قال بوتشا: أنا أقذفها في فمي من أي جزء!

ضحكات.

- ولكن لم تكونوا تعلمون أنني سأقول لكم «توقفوا». لم يكن في إمكان أحدكم أن يعرف هذا.

قال كازالي: أجل يا أستاذ، بمناسبة هذا، كان أمراً غير لطيف بالمرة! لو كنت أعرف؛ لكنت بدأت من الكريمة!

- أجل، أعلم ذلك يا كازالي، أعلمه، ولهذا قلت لكم أن تتوقفوا؛ لأجعلكم تفهمون كيف تسير الأمور.

سأله هو: أي أمور؟

- كل شيء يا كازالي، كل شيء. كل ذلك الذي يجب أن تعرفه يكمن في تلك الفطيرة التي تركتموها في منتصفها.

وتقريباً كل الفصل يعبر عن الاستياء بوجهه.

- لأننا نعتقد بأن لدينا وقتاً للعب ووقتاً للجد. ونقول: آه، أجل، يوماً ما سأفعل هذا وسأفعل ذلك، لكن لا معنى لأن نفكر في أن: هذه الأشياء سأفعلها عندما يكون لديّ منزل أو عمل. وبينما كان يقول هذا، كان الأستاذ يقلد الأصوات، بتظاهر خفيف.

- لكن الحقيقة أنه لا وجود لفكرة: الآن سأتسلى، ثم بعد ذلك سأفكر في هذا. بما أن اللحظة هي دائماً اللحظة الحالية، وإذا فكرتم في أن الأفضل ستنالونه في النهاية، فأنتم لستم سوى حمقى، وأنكم

إذا مكثتم هكذا مختبئين خلف عذر أنكم ما زلتم صغاراً، وأن اللحظة لم تحن بعد، فغداً، وخلال عشرة أعوام أو خلال عشرين عاماً، ستفعلون دائماً الشيء نفسه، وستقولون دائماً إنكم لستم مستعدين، وإنها ليست اللحظة المناسبة، وإنكم ما زلتم تحتاجون إلى الوقت؛ ومن ثم إذا مكثتم في الانتظار حتى تتيقنوا، أو حتى تطمئنوا، فلن تأكلوا الكريمة على الإطلاق؛ لأن اليقين الوحيد الذي لدينا هو أن لا أحد منكم، لا أحد مطلقاً، سينتهي من فطيرته للنهاية، سيكون هناك دائماً شيء لا بد من إنجازه، سيكون هناك دائماً شيء غير مكتمل.

مكث الفصل بعض الثواني في صمت، منقسماً بين من ينظر إلى الأستاذ ومن ينظر إلى الحلوى.

- ولا تظنوا أنني عندما أقول «كريمة» أقصد فقط أن تخرجوا وتستمتعوا، وتتعاطوا المخدرات، وكل تلك الأشياء التي تعتقدون أنتم أنها الكريمة. إن الكريمة، هنا، هي الشجاعة أن تكونوا أنفسكم، أن تكون لديكم الرغبة في أن تظهروا من أنتم في الحقيقة، أن تكون أعينكم مفتوحة، وأن يسمع الآخرون صوتكم. تلك هي الكريمة الحقيقية؛ ومن ثم فالحقيقة هي أنه ليست هناك لحظة يمكنكم الاستغناء فيها عن عمل هذا، فترة تجربة، أو «ليست هذه هي الساعة»، لكن الحقيقة هي أن لديكم حلوى واحدة فقط، ووقتاً قليلاً لتأكلوها.

يستمر الصمت، لكن الأعين كلها الآن تتجه نحو الحلوى.

قال بوتشا: والآن، هل يمكننا أن نكملها يا أستاذ؟

يضحك الفصل، ويضحك أيضاً البروفيسور، الذي يتوقف بعد ذلك فجأة ويقول: حاول وسأعطيك درجتين.

11

وقفت جوياء وظهرها مستند إلى الجدار، ورأسها في داخل كتاب اللغة الإيطالية، تنتظر. كل يوم في الفسحة، يعبر البروفيسور بوفه في الممر، يتوقف أمامها ويسألها السؤال نفسه: ماذا تريد أن تسأليني اليوم؟

مشكلة جوياء، لنقل إحدى مشكلاتها، هي الخجل. والخجل يثير التوتر؛ فأنت ترغب أيضاً في أن ترفع يدك، وتقول الأشياء، أو تسأل الأسئلة، لكن عندما تحاول ذلك، تشعر كأنك تعبر من طريق ضيق مزدحم بالبشر، الذين يسرون في الاتجاه المخالف لك، إلا أن أولئك البشر ليسوا أشخاصاً، لكنها أفكار؛ أفكار تقول لك: «ما هذا الذي تفعله؟»، «لكن لا، ما هذا الغباء الذي أنت على وشك أن تنطق به؟»، «هل تتخيل أن الأستاذ سيجيب عن سؤال بهذه الحماسة؟». وهكذا في النهاية، تمر اللحظة، ويصبح الأمر على الفور متأخراً جداً، ولا تقول أي شيء. هكذا جوياء، عندما يتعلق الأمر بطرح أي سؤال في الفصل.

لقد حاول أيضاً البروفيسور بوفه أن يشرح لها أنها يجب ألا تقلق: «اطرحي كل الأسئلة التي ترغبين فيها، حتى إن بدت لك غبية، بل، كلما ازدادت الأسئلة غباءً، كان الأمر أفضل! إن الفلسفة نفسها وُلدت؛ لأن أحدهم بدأ في طرح الأسئلة التي كانت تبدو للآخرين غبية!».

- لكن أسألتي غبية جداً يا بروفيسور!

- يا آنستي، إن من لا يطرح مطلقاً أسئلة غبية ليس شخصاً ذكياً.

وهكذا كل يوم في الفسحة، تقف جوياء هناك وحدها، وظهرها مستند إلى جدار الردهة إذا كانت تمطر، أو إلى جدار المتنزه إذا

كانت الشمس ساطعة، مثل اليوم. كانت تقف هناك في انتظار البروفيسور، الذي عندما يصل يتوقف بعصاه أمامها، يتسم لها، ويسألها: ما الذي ترغبين في أن تسألي عنه اليوم؟ - لا أعرف يا أستاذ... اليوم الموضوع غريب... تلك الحكاية الخاصة بالكريمة والفطائر.

- قولي لي يا آنسة سبادا، ما الشيء الغامض بالنسبة إليك؟ - لا، لا، كل شيء واضح جداً، فقط لا أفهم شيئاً واحداً... كيف يمكنك أن تعرف أن ذلك الذي تمسكه بين يديك هو فطيرتك؟ أي، لقد قلت ذلك حضرتك أيضاً: الحياة التي تحدث لنا هي ما يحدث، والأمر كله ليس إلا مسألة حظ، وإلى آخر ذلك. أجل، لكن ماذا إذا أخذ فطيرتي شخص آخر؟ إذا كان ما أمسكه في يدي، ببساطة، لا يعجبني، أو يسبب لي نوعاً من الحساسية؟ سيادتك ماذا فعلت بفطيرتك؟ هل أكلت ما وجدته بين يديك، أم حصلت عليها، بأن ذهبت إلى محل الحلويات لتختارها؟

عندما انتهت، كانت جويًا تقريباً تنشج. كانت تريد أن تستمر على الأقل نصف ساعة أخرى من الأسئلة، لكن توقفت عندما بدأت تشك في أنها تنغمس في الأمر ربما أكثر مما ينبغي. ضرب البروفيسور ضربة بعصاه على الأرض، نظر أولاً إلى أسفل، ثم نظر إلى جويًا في عينيها، قال فقط: «عندما تسألين عن الفطيرة، التي في يدك وإن كانت لك بالفعل، عندما تفكرين أنها ربما تنتمي إلى شخص آخر... عندئذٍ فهي ليست لك. إن فطيرتك هي تلك التي لن تسألي نفسك مطلقاً إذا كانت هي الصحيحة أم لا».

ثم ضرب مرة أخرى بالعصا على الأرض، ابتسم، ثم ذهب وهو يصفر .

12

في الحصة الرابعة، بينما يسقط الفصل ببطء نحو الغيبوبة الأكثر عمقاً وهم يتظاهرون بأنهم يستمعون إلى الشرح الرائع للأنشودة السادسة للمطهر⁽¹²⁾، يلقيه الأستاذ دي برناردو، يُسمع طرق على الباب.

كان ماريو الفراش. لا يلقي حتى التحية، يفتح الباب، ويقول فقط: سبادا، للمدير.

لم تكن جوياء أدركت ما حدث. كانت زميلتها على المقعد هي من هزّت ذراعها وقالت لها: إنهم يتحدثون عنك.

لم يكن لدى جوياء أدنى فكرة عما يمكن أن يكون السبب. إنها المرأة الخفية، عملياً، لا وجود لها. أمر جليل بالفعل أن اسمها موجود في دفتر الحضور، إلا أنها تنهض وتخرج.

تحاول في أثناء الطريق أن تسأل ماريو إذا كان يعرف أي شيء. يجب ماريو: «أنا؟ أنا لا أعرف مطلقاً أي شيء»، لكنه في حقيقة الأمر يعرف كل شيء دائماً.

تطرق جوياء الباب، وتسمع من الداخل صوت المدير وهو يقول لها: تفضلي. وتدخل.

- اجلسي يا آنسة سبادا، اجلسي.

مدير المدرسة سباتارو مدرس رياضيات سابق. سياسته تجاه دوره أن يلتزم الاهتمام بشؤونه الخاصة إلى أن يجبره أحدهم على التدخل في أمر ما؛ ولهذا فمن النادر جداً أن يستدعي أحداً؛ لذلك إذا حدث هذا، يكون الأمر جد خطير.

وجوياء سبادا، أكثر من كونها تتناول إفطارها بمفردها وهي محبوسة في الحمام، أو أنها تستمع إلى A Momentary Lapse of

(12) المطهر Purgatorio: الجزء الثاني من الكوميديا الإلهية لدانتي أليجييري.

Reason⁽¹³⁾ بدلاً من الاستماع إلى المدرسين، لا تتذكر أنها قد فعلت أي شيء يمكن أن يعرفه أحد بالـ«خطير جداً».

- هل حدث شيء ما؟

سألت جويًا وهي لا تزال تمسك مقبض الباب.

- في الحقيقة، أجل، لكن تفضلي اجلسي.

جلست جويًا. كان المدير سباتارو يجلس هناك ويده مضمومتان أمام فمه. تكره جويًا عندما يضع الكبار أيديهم مضمومة أمام أفواههم قبل أن يتكلموا. إنها إيماءة مَنْ يعرف بالفعل أنه على حق، لمن لن يستمع إلى أي كلمة ستقولها. عادةً ما يكون رد فعلها التلقائي تقريباً واحداً: أن تجلس في المقابل وتقوم بالإيماءة نفسها، الابتسام للمتحدث أو النظر إليه في عينيه. المشكلة الوحيدة أن ذلك سيُرى على الفور على أنه سخريّة وعدم احترام، وأمام مدير المدرسة التي وصلت إليها فقط منذ ثلاثة أشهر، لن تكون حركة ذكية.

قالت: وهل لي علاقة في ذلك؟

- بالطبع، لقد استدعيتك...

- في الحقيقة، ليست لدي أي فكرة عما يمكن أن يكون السبب.

- هل هذه تخصك؟

قاطعها المدير، وهو يُخرج من الدرج آلة تصوير ديجيتال. آلة التصوير التي تخصها. مَنْ الذي أخذها منها؟ وكيف سمحوا لأنفسهم بهذا؟ كانت موجودة في حقيبتها، كيف فعلوا ذلك؟

- أجل، أعتقد ذلك، لكن اعدرتني، كيف وصلت إلى سيادتك؟

- في الحقيقة، شخص ما وضعها على مكتبي وبجوارها بطاقة

تخبرني بمشاهدة الصور.

(13) الألبوم الثالث عشر لفريق الروك الإنجليزي بينك فلويد.

- وسيادتك بطبيعة الحال لم تفعل هذا.
- لا، أنا بطبيعة الحال فعلت هذا.
- لكن لا يمكن هذا! إن هذا... هذا اختراق للخصوصية!
- طبعاً، تماماً؛ ولهذا السبب استدعيتك.
- أي؟
- أي إنني شاهدت الصور الموجودة هنا في الداخل، وأعتقد أن سيادتك الآن مدينة لي ببعض التفسير، ففي هذه الحالة، يمكن أن تتعرضي سيادتك للمساءلة القانونية. أتعرفين هذا؟
- أدار مدير المدرسة آلة التصوير، وبدأ في تصفح الصور، وأدرك أنه لا يرى شيئاً، ارتدى نظاراته السمكية، وأبعد رأسه عن شاشة العرض.
- هنا، انظري هنا.
- قال وهو يحرك الآلة بعض الشيء ليطلع جويًا على الصور التي ينظر إليها.
- لم تنظر إليها، فهي تحفظ تلك الصور عن ظهر قلب.
- إن سيادتك، يا آنسة سبادا، لا يمكن أن تصوري الأشخاص دون إذنهم، خصوصاً زملاءك في المدرسة. وهنا توجد مئات من الصور!
- لكن... إذا كانت...
- أجل، أعلم، كل الصور أخذت من الخلف، كلها، بلا استثناء، لكن هذا لا يغير شيئاً؛ لأن بعضهم أوصل إليّ آلة التصوير هنا وبالقرب منها بطاقة يقول فيها إنه مستعد لمقاضاتك؛ لأنه عرف نفسه، ولم يكن قد منحك إذنًا!
- مكثت جويًا بفم شبه مفتوح، دون أن تعرف جيداً ماذا تفعل، بينما كان المدير يضرب آلتها الديجيتال بأصابعه، ثم خطر لها شيء كالاستنارة: لكن... اسمح لي، الآن الجميع يلتقطون صوراً في كل الساعات،

عملياً، والجميع ينتهي أمرهم، بالمصادفة، في صور شخص آخر، وهناك شخص قال لك إنه سيقاضيني؛ لأنني... صورته من ظهره؟

- يبدو أنه شخص لا يستلطفك يا آنسة، ومن حقه تماماً أن يفعل ذلك، وأنت تعلمين، لقد راجعت القانون على الأقل عشر مرات.

نظرت جويًا إلى مدير المدرسة بدهشة.

- لكنها صور أحتفظ بها لنفسي! لم أطلع أحداً عليها قط!

- لا يهم يا آنسة سبادا، ببساطة، لا يمكنك، وتفهمين ما لا يمكنك عمله، أليس كذلك؟ إن هذا ضد القانون.

همست جويًا وشفاتها مضمومتان: لا بد أنه كازالي، أقسم على ذلك. في أقل من يوم ينفذ انتقامه!

- ماذا، معذرة؟

- لا شيء، لا شيء.

أجل، تقريباً بالتأكيد كان هو. توجد كلمة لتعريف من هم على شاكلته: schmegegge. كلمة باليديشية وتعني كلمتين في الوقت نفسه (أحمق ومنافق)؛ وهذه أيضاً من الكلمات الموجودة في مفكرة جويًا، وبينما يتحدث معها المدير كانت تراها؛ لأن كازالي هو النموذج المثالي لكل schmegegge موجود على وجه الأرض. - الآن سأعيد إليك آلة التصوير، ولن أحذف الصور؛ لأنني فقط أفهم أن لها قيمة ما بالنسبة إليك، لكن لا بد أن تعطيني أنك لن تطلعي عليها أحداً.

- لقد سبق وقلت لحضرتك، إنها من أجلي أنا فقط.

- والأهم، أنك ستوقفين عن تصوير زملائك في المدرسة.

- حسناً، أعدك بذلك.

- إذا لم تلتزمي وعدك هذا، سأتجاهل كل مرحلة يتوقف فيها عن الدروس، ولن أتردد لحظة واحدة في أن أشجع الزملاء على

تقديم ذلك البلاغ، أحذرك!

- حسناً يا سيادة المدير.

- لكن، إذا أردتِ فعلاً، يمكنك أن تطلبي الإذن منهم، أليس

كذلك؟ ثم ربما أيضاً أن تطلعي الجميع عليها إذا أردتِ. وربما
يمكنك أيضاً أن تشاركي في المسابقة التي ننظمها.

قال لها هذا، وقد نزع عن وجهه تعبير اللوم.

- أي مسابقة؟

- كيف أي مسابقة؟ آه، بالفعل، إنكِ جديدة هنا. مسابقتنا

«ضع نفسك في الإطار». لمدة أسبوع كل سنة، يكون التلاميذ

أحراراً في أن يزينوا ردهات المدرسة بصور ورسوم، بشرط أن تكون

مؤطرة. يمكنك أن تشتركي بواحدة من تلك الصور، في النهاية هي

أعمال فنية، أليس كذلك؟

نظرت إليه جويًا بضع ثوانٍ، وكانت تفكر، ثم ردت: لا، شكرًا،

أفضل الاحتفاظ بها لنفسِي.

ثم نهضت وتوجهت إلى باب الخروج.

قاطعها مدير المدرسة وهي أمام الباب: اسمحي لي بلحظة

أخرى.

- ماذا حدث؟

- لا شيء، كنت فقط أريد أن أسألك، لكن لماذا؟

- نعم؟ لماذا ماذا؟

- لماذا تصويرين الأشخاص من ظهورهم؟ ما المتعة في هذا؟

- هكذا.

- هكذا؟

- أجل، هكذا.

13

في أحد الأيام، في الصف الأول الثانوي، عندما كان أساتذة مادة التربية الدينية يقومون بعمل الاختبارات النفسية، التي يمكن أن تساعد المرء بعض الشيء على فهم نفسه، كانوا في فصل جويّا طرحوا عليهم السؤال الأول: ما السعادة بالنسبة إليك؟

وقتها أجاب زملاء: أن ألعب مع فريق ميلان. أن أربح نقوداً كثيرة. أن تكون لديّ سيارة لامبورغيني شبح.

وأجابت زميلاتها: أن أجد الحب. أن أفقد خمسة كيلوغرامات. أن أعمل ممثلة وأمثل مع برادلي كوبر.

وعادت جويّا لتفكر في هذا الاختبار القديم الآن، عند عودتها إلى المنزل. لماذا؟ ربما لأن اليوم تحقق ما كانت كتبت عنه في ذلك اليوم.

فتحت الباب، وداخل المنزل لم يكن هناك أحد، فقط بطاقة على المائدة تقول: خرجنا لنبحث عن عمل لبابا. سنعود في وقت العشاء.

أجل، في ذلك اليوم، كتبت جويّا ببساطة: أن أعود من المدرسة وأجد المنزل خالياً.

كان جدها مات بالفعل، ولم تكن الجدة في حالة جيدة، وتلك كانت الفترة الأخيرة التي مكث فيها الأبوان معاً، ولم تكن أكثر اللحظات سعادة في حياتها بالتأكيد.

كانت توجد جيّماً فقط هناك في غرفتها الصغيرة، وجاكو؛ القط الشبح، قد حطم بالفعل شمعداناً وإطاراً قديماً.

يا له من حلم! يا لها من معجزة!

أخذت جويّا قارئ الـ«إم بي ثري» وذهبت إلى الحجرة الصغيرة للجدة، وتأكدت أن كل شيء هناك على ما يرام، ومنحتها قبلة جميلة

على جبهتها، ثم وضعت لها شاشة العرض أمام عينيها، وكان مكتوباً عليها «موسيقى لجيمّا». كانت أغاني أوبرا قديمة لبافاروتي ودومينيغو وكاريراس⁽¹⁴⁾. كانت القائمة الخاصة بجذتها، وكانت تُسمعها لها في كل مرة تستطيع ذلك؛ لأنه بمجرد أن تضع تلك الموسيقى في أذنيها، يتخذ وجهها على الفور لوناً مختلفاً، ويسترخي جلدها، ويوجد دائماً ضوء صغير، هناك في عمق حدقتها، كأنهما مصباحا سيارة بعيدة من آخر الطريق السريع في الليل. نظرت الجدة إلى الشاشة وابتسمت، كأنها فهمت ما سيحدث، وقالت: «جججههه».

ثم ذهبت جويّا إلى هناك، وأوصلت الـ«إم بي ثري» إلى جهاز الاستريو، وأدارته ووضعت الصوت على أعلى درجة.

شَغَلَت كل تلك الموسيقى القديمة جداً، التي تتحدث عن قصص الحب، بصوت مرتفع جداً، ولربما دعا ذلك الجيران لاستدعاء الشرطة، لكنها لم تشغّلها لترقص أو لتصرخ أو لتكسر الأشياء - وإن حدث وتراجعنا على أنها لا تكسر الأشياء، فأحياناً تفعل ذلك أيضاً - لكنها شَغَلَتْها فقط لترافق عملية التنظيف. ربما شخص آخر كان سيستفيد من ذلك الموقف ليستمع بأمنية جميلة، بملابس مريحة أمام التلفزيون، وهو يُخرج توتره في البطاطس المحمرة وشوكولاتة النوتيللا، إلا أن جويّا لا تفعل ذلك. بمجرد أن قرأت الورقة الصغيرة حول العمل، قررت على الفور أن تقضي الساعات التالية هكذا، أن تنظم الأطباق، وتكنس، وتنظف الزجاج، وتزيل الأتربة.

تقريباً كل أثاث منزلها ليس أثاثاً: ليس سوى مساحات يمكن الكتابة عليها. كانت الأطباق في الحوض كثيرة جداً إلى حد أن

(14) مغنو أوبرا مشهورون؛ أسماؤهم بالترتيب باللغة الإيطالية لتسهيل البحث عنهم Luciano Pavarotti, Placido Domingo.

Domenico, José Carreras

أحدهم إن أراد أن يغسل يديه عليه أن ينزع بعض الأواني ويضعها جانباً، وكانت الأرض متسخة جداً تغطيها بواقي الطعام، حتى إذا سار المرء فوقها، سُمع صوت تهشمها!

ربما يتساءل بعضهم، وربما لا، كيف إذن، على الرغم من القذارة وعدم النظام المتراكمين خلف تلك الجدران، لم تفكر هي من قبل في أن تنظفها؟ كيف فكرت فقط الآن في ذلك وهي بمفردها؟ الحقيقة أنه عندما تكون أمها في المنزل، خصوصاً عندما تُحضر معها أحد أصدقائها الصبية، تفقد جوياً الرغبة، ليس فقط الرغبة في التنظيف، تفقد أيضاً الرغبة في أن تطل من النافذة لتنظر كيف هو الجو في الخارج، وتفقد الرغبة في أن تعد لنفسها قهوة باللبن مع البسكويت، وتفقد الرغبة في أن تنجز حتى واجباتها، وتفقد الرغبة في أن تكون لديها أي رغبة. كل ما تستطيع عمله أن تستمع إلى الموسيقى، أو أن تقرأ أو أن تشاهد فيلماً. وهكذا الآن، والمنزل فارغ، كأنه بفعل السحر، تشعر بالرغبة في أن تقوم بكل شيء، كل شيء حقاً، وتراها تجري من غرفة إلى أخرى بالمكنسة في يدها، وهي تقفز ممسكة بقطعة من القماش وترقص وجاكو؛ القط الشبح، فوق ذراعها، على وشك أن يصاب بنوبة من القيء، والجدة هناك ممددة في الحجرة الصغيرة، بينما الجدران تهتز بتأثير الذبذبات القوية لصوت بافاروتي وهو يغني «وفي الفجر سأنتصر!»، وهي هناك تعرق وتلقي بنفسها في الأرض، وتضرب الهواء بقبضتها، وتضحك.

وهذا لا يحدث كثيراً، لكن عندما تضحك جوياً، يضيء النور.

14

وعندما عادت الأم في المساء، وجدت ورقة فوق الطاولة مكتوباً عليها: ذهبت مع تونيا إلى «ماكدونالدز».

لم تكن أمها من نوع الأمهات العصبيات بصفة عامة، وأغلب المرات تكون المشكلة مشكلة الكحول أو أحد خطأبها، لكنها لا تطرح مطلقاً كثيراً من الأسئلة عندما تخرج جويًا في المساء. كثيراً ما ترضى بورقة مكتوبة، ثم إن تونيا فتاة تبعث على الثقة. تبدو فتاة جيدة، حتى إن لم تكن تعرفت إليها شخصياً، إلا أنها تثق بغريزتها وتشعر بأن تلك الصداقة ستفيد ابنتها. ولهذا، إذا عرفت أنها مع تونيا، لا تشعر بالقلق.

للأسف، لم تكن الأمور تماماً هكذا؛ وهذه المرة أكثر من المعتاد: لأن جوياء أخذت كنزة من غرفتها، ثم نزلت، أعطت قبلة أخرى إلى جدتها، وقالت لها: أعرف أنك لن تصدقيني، لكنني على وشك أن أخرج مع فتى.

نظرت إليها جدتها، كأنها فهمت. وأجابت: جججججهه.

15

تسير جويًا بالكنزة مطوية جيداً في يدها، في طريقها إلى حانة الأمسية السابقة. لا تدري جيداً ماذا بها، لكنها ربما تكون المرة الأولى، التي يحدث لها هذا؛ وهي تشعر بشيء ما، وليست كلمة «خوف» هي الكلمة الصحيحة، إلا أنها تشعر ببعض الخوف. وليست كلمة «أمل» هي أيضاً الكلمة الصحيحة، لكن لديها بعضاً منه أيضاً، وحتى كلمة توتر أو فرح أو فزع ليست هي الكلمات الصحيحة، إلا أنها تشعر ببعض منها كلها.

توجد طريقة، باللغة الإنجليزية؛ لتحديد هذا الشعور، عندما يكون لدى المرء كثير من الانفعالات في داخله، ولا يعرف حتى كيف يحددها. يقولون Nonplussed. في مكان ما بين صفحات مفكرتها؛ حيث تدوّن كل شيء، توجد أيضاً هذه الكلمة، وخطرت

في ذهنها وهي في طريقها نحو الحانة؛ لأن جويّا الآن تشعر بشيء لا تعرف ما هو؛ ومن ثم هو nonplussed.

وقبل أن تخرج صفت شعرها.

بينما يسيران معاً، قالت لها صديقتها المتخيّلة: منذ وقت مناولتك الأولى لم تفعلني هذا.

- ربما أكثر من ذلك أيضاً يا تونيا.

- تبدين واحدة من زميلاتك الغيبات، أولئك اللاتي يطلقن عدداً من الصرخات عند التحدث عن الصيبة.

- والآن، اهديني ولا داعي للإهانات! ثم أنا فقط ذاهبة لأعيد الكنزة لشخص لا أعرف حتى اسمه.

- حسناً، لكن في هذا الخطأ خطؤك. كنت تخشين أن تكوني غير مهذبة وتسأليه عنه؟

- في الواقع أجل، عند لحظة ما بدا لي تقريباً سؤالاً غير مناسب.

قالت جويّا وهي تُسرّع من خطواتها.

- لكن على كل حال الكنزة أنيقة. أكاد أشعر بالأسى؛ لأنك لا بد أن تعيدها إليه، تبدو جيدة عليه.

- أشكرك يا تونيا، فأنت بالفعل صديقة حقيقية، كالمعتاد.

وعندما تصل إلى الحانة، تسمع جويّا بالفعل من الشارع ضوضاء الأسهم التي تدخل في الهدف. وعندما يصل ذلك الصوت إلى أذنيها، تشعر بقبضة صغيرة داخل معدتها، كأنها اللكمة، لكن تلقته من الداخل؛ لكمة تؤلمها، ولا تؤلم في الوقت نفسه.

رأته، فهو هناك يسدّد بالأسهم. يرتدي كنزة أخرى، بقلنسوة أيضاً، تشبه كثيراً تلك التي على وشك أن تعيدها هي إليه.

تتحرك بين المقاعد والموائد وتقف خلفه، وهي تسير على أطراف أصابعها، حتى لا يسمع. عندما تكون على بُعد خطوات

قليلة منه، يقول هو لها، دون أن يستدير: هل أنتِ هنا؟
- كيف استطعت أن تسمعي؟
- يا (شيء) أنتِ لستِ صامتة كما تعتقدين.
قال هو، دون أيضاً أن يلتفت.
أصدرت جويًا زمجرة صغيرة، وقالت له: قلت لك ألا تناديني
(شيء)!

ثم ألقت عليه الكنزة. وفوق مائدة صغيرة كان المرطبان
الزجاجي المليء بالحجارة لا يزال موجوداً، وبالاقتراب قليلاً لتتظر،
لاحظت أن الكنزة التي كان يرتديها اليوم ليست فقط شبيهة جداً
بالأخرى، بل مثلها تماماً.

- أنت، بالتأكيد، متميز بالفعل في اختيارك لكنزاتك. ما هذا؟
هل لديك دسته منها كلها متشابهة؟
هل تعرفين من كان ألبرت آينشتاين؟ سألها بينما هو مستمر
في اللعب.

لم تجبه جويًا، لكنها نظرت إليه بوجه يريد أن يقول: هل
تسخر مني؟

- حسناً، هل تعرفين ماذا كان يفعل؟
- لا، ماذا كان يفعل؟
- أدرك أنه في كل صباح يفقد في المتوسط نحو خمس دقائق
ليختار ماذا يرتدي.

قال (لو) وهو يلقي بسهم آخر، 40 نقطة.
- وهكذا، في يوم من الأيام أجرى بعض الحسابات، وأدرك أنه
في العام يفقد تقريباً ثلاثين ساعة، أي تقريباً أكثر من يوم كامل.
قالت جويًا: آه.

- وهي في خلال خمسين عاماً ستصبح أكثر من اثنين وسبعين

يوماً. في نهاية الأمر، فهو يضيع شهرين من حياته ليفكر ماذا يرتدي في الصباح ليذهب إلى عمله!
يلقي بسهم آخر. 48 نقطة.

- وهكذا، في يوم من الأيام دخل إلى محل بدل، واختار سترة وقميصاً وبنتلوناً وحذاءً، أكثر الأشياء المريحة التي عثر عليها، وطلب من المحل أن يصنع له سبعاً من كل نوع، كلها متشابهة تماماً. ومنذ ذلك اليوم وهو يرتدي دائماً ملابس بالطريقة نفسها.
- فهمت؛ ومن ثم أنت تقول لي إنك في المنزل لديك خمس كنزات أخرى متماثلة.

ألقى بسهم آخر. 60 نقطة.
- أربع كنزات أخرى. أحتفظ بواحدة مختلفة للمناسبات الخاصة.

قال، ليلتفت بعد ذلك ويجلس بجوارها.
- والأخرى كيف هي؟
- مثل تلك، لكنها سوداء.
تقدمت جوياء بعض الشيء لتتنظر إليه أكثر من قريب، وقالت:
- إيه، لكن تلك أيضاً سوداء.
- آه، فعلاً؟

قال هو. حاولت جوياء أن تمسك نفسها، ثم انفجرت بعد ذلك في الضحك، وارتدت مرة أخرى الكنزة التي كانت استعارتها، فقد كان الجو بارداً.

قال (لو): عمى الألوان الملعون!
ثم انتهت جوياء من الضحك، وفجأة، أخذت في يدها الأسهم. وقفت في وضع الاستعداد، ألقت بها، الواحد تلو الآخر، ولم يصل أي منها إلى داخل الدائرة.

- أتعرفين أنني لم أر قط أحداً يلعب بمثل هذا السوء؟
- حسناً، حتى أنت في البداية، كنت سيئاً بعض الشيء، أليس كذلك؟

- آه، بلى، يا (شيء)، لكن بالتأكيد ليس بهذا السوء.
- اسمع يا (أداة التعريف)، أعطني دقيقتين لأفهم الطريقة، ثم سنرى!

قالت هي، وهي تنظر إليه نظرة سيئة، ثم أمسكت بالسهم في يدها، وأغمضت عينيها قليلاً لتنظر جيداً إلى الهدف، وألقت به. ووصلت تماماً إلى مركز الهدف. 50 نقطة.
- أوه، اللعنة.
قال هو.

لم تدرك جويا في البداية، حتى إنها أصابت المركز، لكن عندما اقتربت من الهدف ورأت سهمها تماماً فوق اللون الأحمر، التفتت فجأة وجرت أمام (لو) وهي ترقص رقصة النصر على بُعد خطوة منه.
لم يكن أحد من زملائها أو أساتذتها ليصدق إذا قيل لهم إن جويا سبادا لديها القدرة على أداء رقصة النصر لتغيظ أحدهم، إلا أن ذلك هو ما يحدث!

في البداية، نظر إليها (لو) نظرة سيئة، ثم بعد ذلك ارتعشت شفتاه قليلاً، ثم ضحك في النهاية.
وقال وهو يضحك: مسألة حظ.
- أجل، أجل.

قالت هي. وبينما تقول ذلك أدركت أنها تفكر في شيء، وكانت المرة الأولى التي تفكر في هذا الشيء عن شخص، وما جعلها تتوقف للحظة وعيناها تحدقان في الفراغ ليس الأمر في حد ذاته، لكن واقع أنها المرة الأولى.

وكانت الفكرة بالتحديد: تبّاً، يا لها من ابتسامة!

كانت رأت من قبل ابتسامات جميلة، لكن هذه كانت المرة الأولى التي ترى فيها واحدة من هذا القرب، وأن تظل جميلة بالنسبة إليها. الشيء الذي تريد أن تفعله الآن هو إيجاد طريقة لتجعله يفعل ذلك مرة أخرى، ربما بأن ترتكب حماقة ما، تقول شيئاً - أي شيء - غيبياً؛ لتجعله يبتسم من جديد؛ لأنها بالفعل: يا لها من ابتسامة!

- إذن، إذا لم تكن المسألة مسألة حظ، افعلي ذلك من جديد. هيا! سددي مرة أخرى على المركز.

تذهب جويًا لتنزع السهم عن المركز، وتقف في وضع الاستعداد، وتسدد.

لا يصل السهم حتى إلى الآلة، بل ينتهي به الأمر على الجدار، وتنقسم إبرته إلى قسمين.

يبدأ (لو) في الضحك، وبدأ يضحك بقوة. وجويًا أيضاً، لكن من الداخل. من الخارج تظاهرت بالجدية، وأخذت تنظر إليه نظرة سيئة وهي تغلق جفניה، لكن في الوقت نفسه كانت تضحك من الداخل.

قال هو: أخيراً عرفتكَ من جديد!

ثم نهض ليذهب ويلتقط السهم المكسور، وفي أثناء مروره بجوارها، لمس يدها، وعندما لمس يدها توقف، وبدأ يربت عليها، ثم ببطء؛ ببطء شديد جداً، شعرت هي بأصابعه بين أصابعها، ولم تفهم ماذا يحدث، وشعرت فقط باللكمة نفسها التي شعرت بها في معدتها من قبل، إلا أنها كانت قوية جداً ومتكررة، وبدأ قلبها يدق بسرعة أكبر، وأخذت أنفاس الهواء الخفيفة تمر بين منخاريها، واقترب منها هو، لكن كأنه يفعل ذلك بالتصوير

البطيء، كأن هناك شريحة من الضوء تنير عينيه، ولم تستطع هي حتى أن تنظر إليهما، ووجدت نفسها مجبرة على أن تنظر إلى أسفل بعض الشيء، تقريباً إلى عظم الوجنتين، ولم تستطع، كانت تريد أن تنظر إليهما ولم تستطع، كأن كل شيء ازداد ظلاماً عما كان، وهكذا بالغريزة تحركت جويًا حركة خفيفة، وفي أثناء حركتها لمست المرطبان؛ ذلك المليء بالحجارة؛ فسقط أرضاً متسبباً في صخب شديد انتشر بسرعة في فراغ طاولة المشرب، كأنه يوقظه. قالت له وهي تنفصل عنه وتبعد نفسها: تَبّاً، المعذرة! هل تحطم؟

- لا، لا، اهدي. إنه من النوع القوي. لقد اشتريته خصيصاً لهذا الغرض.

أجابها (لو)، وهو يلتقطه، وينظر إليه في مقابل الضوء، ثم يضعه من جديد فوق المائدة. ساد الصمت التام لبضع ثوانٍ، كانت فيها هي تعرف أنها لا بد أن تقول شيئاً ما لترفع الحرج، وربما هو بدوره، لكن لم يقل أحد منهما أي شيء، وكلما زاد لديها الشعور بأن عليها أن تتحدث، قلّ لديها ما يمكن أن تقوله، وتضخم الإحراج كأنه منطاد صغير ساخن يقف بينهما، وهكذا إلى أن أصبحت حتى محاولة ابتلاع ريقها صعبة، كانت تريد أن يقول هو شيئاً، أي شيء، حتى إن تفوه بحرف واحد، حتى يثقب ذلك المنطاد الصغير من الإحراج.

قال هو أخيراً وهو يجلس: لورينزو.

- ماذا؟

- لم أكن قد قلت لك اسمي بعد. اسمي لورينزو فيتا. الآن أصبحنا متعادلين. أليس كذلك؟

جويًا، التي كانت لا تزال ترتعش؛ بسبب الفزع من المرطبان؛

وبسبب لا تعرفه حتى هي، وبلا أي مقدمات، وحتى دون أن تقرر ذلك من قبل، نظرت إلى أسفل، حرّكت بعض المقاعد، وقالت: أوكي، الآن شكرًا، تأخر الوقت، ويجب أن أعود إلى المنزل، سلام. ورحلت، وكانت في لحظة بالفعل في الطريق، وهو ينظر إليها مندهشًا، بينما لم تكن لديها هي الشجاعة لتلتفت.

16

- ما هذا الهراء، وماذا حدث لك؟
 - الوقت متأخر يا تونيا، تعرفين هذا.
 - ماذا، متأخر؟! كان يمكنك أن تمكثي على الأقل نصف ساعة أخرى! هيا قولي لي، لماذا هربتِ هكذا؟
 - لا أعلم يا تونيا!
 - لا تعلمين لماذا أخذتِ، ورحلتِ حتى دون أن تحييه، بعد أن قال لكِ أيضاً اسمه؟
 - لا، لا أعرف! كان كل شيء زائداً... كيف يمكنني أن أعرف ماذا كان، أعرف فقط أنه بمجرد أن تلامست يدانا شعرت فقط بالرغبة في أن أذهب بعيداً!
 - أنتِ لستِ بخير!
 - أجل، أنا لست بخير.
 - كان كل شيء جميلاً، كما رأيت. لقد أضحككِ أيضاً!
 - أعلم كيف كان كل شيء، لا أحتاج إلى أن تُذكّرني!
 اعتادت جويًا دائماً أن تعرف، على الأقل بشكل عابر، ما تفعل. لم يحدث لها قط ما حدث للتو: أي أن تفعل شيئاً ما دون أن تعرف جيداً لماذا تفعله. فقط عند لحظة ما، عندما كانت يدها قريبة إلى هذا الحد، ووجهه وهذا الخط من الضوء على عينيه، في

تلك اللحظة التي كان كل شيء يلفه الظلام... حسناً، شعرت بخوف لم تشعر به من قبل، خوف حقيقي، وغريب؛ لأنه في العمق كان يعجبها ما كان يحدث - لم يحدث شيء يُذكر، لقد لمس هو يدها لثانيتين وربما أقل، إلا أن هذا كان يعجبها - لكن في الوقت نفسه أشعرها بالخوف، الخوف الشديد.

- عليكِ الآن أن تعودِي إلى هناك، وتصرفي كمجنونة لديها شخصية مزدوجة، واسأليه إذا كان يمكنكما أن تلتقيا مرة أخرى! - ماذا؟

- لقد سمعت جيداً. وصلي أن يكون لا يزال هناك! توقفت جوياء. تونيا صديقتها المتخيلة، لكنها كانت تستطيع رؤيتها جيداً أمامها، تنظر إليها نظرة قاسية. - ألن يعتقد أنني مجنونة إذا رأيَني عدت إلى هناك؟ - سيعتقد أنكِ مجنونة إن لم تعودِي.

هكذا استدارت جوياء مائة وثمانين درجة حول نفسها، وبدأت تجري في الاتجاه الآخر، وتونيا تتبعها، وفي خلال دقيقتين، كانت من جديد خارج تراس الحانة. كان هو لا يزال هناك، جالساً تماماً حيث تركته.

- اسمع...

- (شيء!)، هل نسيت شيئاً ما؟

- أجل... بل لا.

- عادةً أكون أنا الذي يقولون له إن بي شيئاً لا يستقيم، لكن يبدو أنكِ أيضاً لا تمزحين.

شعرت جوياء بأنها غبية، وهو الشيء الذي نادراً ما يحدث لها، لكن نظرة تونيا، التي استطاعت أن تلحق بها، تطمئنّها، وجعلتها تقول: غداً سأجذك مرة أخرى هنا؟

- إذا قلت لي إنكِ ستأتين، أجل.

17

لم تكن جويبا سبادا قد قَبِلَتْ فتى من قبل.

الحب، أجل، الحب، سمعتهم يتحدثون عنه كثيراً، وفي كل الكتب والأفلام التي مرت أمام عينيها، ورأتها في كل مكان، تقريباً كل يوم؛ لكنها في الحقيقة لم تعرف حتى ما هذا الشيء، وما الشكل الذي يتخذه، رائحته، صوته.

بالتأكيد، الفتيات في سنها جربن بالفعل القبلية الأولى وهن في المدرسة المتوسطة، والآن هن جميعاً في مراحل أبعد من ذلك بكثير. ربما عليها أن تفكر في الأمر، أو أن تقلق، أو تتساءل ما الشيء الذي لا يسير على ما يرام بالنسبة إليها، لكن في الحقيقة هي لا تفكر في هذا الشيء.

فذلك الشيء، الذي يطلق عليه الجميع (حب)، هو بالنسبة إليها شيء غامض، يؤمن به الجميع، لكن لم يره أحد قط، ومن المؤكد لم تره هي. من حين إلى آخر، كان أحدهم يحاول الاقتراب منها، يجرب، فتية يفكرون في قصة ما مع الفتاة الغريبة، أو أولئك الذين يعتقدون، بحثاً عن الإثارة، أنه ما دامت الفتاة تعيّسة الحظ فهي سهلة المنال، لكنهم كانوا يهربون على الفور بمجرد أن تنطق هي بنصف عبارة، أو بعض الكلمات غير المعتادة، أو مزحة من مزحاتها؛ فكانوا إما لا يفهمون منها أي شيء، أو يفكرون: حتى إن مت لن أفكر في شخصية لاذعة إلى هذا الحد. ويهربون. ولم تكن هي، حتى هذه اللحظة، شعرت بأنها تفتقد أي شيء. حسناً، من حين إلى آخر، كان يحدث لها، أن تفكر في الأمر، لكن من بعيد.

عندما كان يبدو لها أن أحدهم مختلف بعض الشيء، عندما كان يحدث هذا، كانت تقول لنفسها: «ربما يكون هذا هو»، فإنها بمجرد أن تقترب، كانت الأشياء تتغير دائماً. حتى هذه اللحظة، كانت الأشياء تتغير دائماً عن قرب.

18

هذا الموقع ممتاز.

كانت قد بحثت عنه، ودرسته، وفي النهاية وجدته. كان مقعداً موضوعاً في مكان منعزل، أسفل شجرتي صنوبر كبيرتين. لم يكن أحد يجلس عليه مطلقاً؛ لأنه منعزل جداً أسفل الأشجار، وغالباً ما تمطر فوقه ثمار الصنوبر الثقيلة كأنها كرات طيبة. تعرف جويًا أنها آجلاً أم عاجلاً يمكن أن تصل فوق رأسها إحدى تلك الحجارة الخشبية، لكنها جلست هناك على الرغم من ذلك. لا بد أن تلتقط هذه الصور.

أجل، الوضع ببساطة رائع، يمكنها أن ترى الجميع، وتقريباً لا يمكن لأحد رؤيتها.

وهكذا تجلس وتنتظر، وعندما يقف أحدهم بظهره أمامها، ويكون قريباً منها، تُخرج آلة التصوير، وتلتقط صورة.

هذا هو المكان الذي تأتي إليه كثيراً؛ لأنها بينما تنتظر يمكنها أن تقرأ أو أن تستمع إلى الموسيقى أو أن تنظر إلى الأشخاص يسرون ويلعبون، يقبل أحدهم الآخر، يجرون ويضحكون.

إلا أن اليوم يوجد شيء ما لا يسير كالمعتاد. الرغبة موجودة، هذا أكيد، لكن استجابتها لا تساعد. إنها بالفعل المرة الثالثة، التي يعطيها أحدهم فيها ظهره، ويكون هناك على بُعد بضع خطوات منها، وهي لا تدرك حتى هذا، ولا تُخرج على الفور آلة

التصوير، ولا تحرك إصبعاً. كانت الأهداف أيضاً مثيرة: امرأتان ومعهما حقيبتا الشراء، طفل، ومُسن، لكن لا شيء.
الحقيقة العارية والقاسية أنها كانت هناك بجسدها، وحقيبتها، وأشياءها، وكل شيء، لكنها في واقع الأمر كانت لا تزال هناك في شرفة الحانة، كأنها في كل لحظة تكتشف تفصيلة جديدة، رائحة رطوبة الجدران، السهم المكسور، صوت ضحكة (لو)، كأن هناك ناقلة تضع أمامها باستمرار أطناناً من اللحظات ولقطات لمساء أمس على شكل صور فورية، خصوصاً تلك الثائنتين اللتين تلامست فيهما يداهما.

- لكن هل الأمر يسير دائماً بهذه الطريقة يا تونيا؟
- لا أعتقد. لا أظن أنه توجد مختلات عقلياً أخريات يقضين وقتهن يفكرن في إصبعين تلامسا لمدة نانو ثانية، في اليوم التالي لذلك.

- آه، عندك حق.
عبرت فتاة تتحدث في التلفون، والتفتت لتعطيها ظهرها، ووقفت في وضع رائع للصورة، لكن جويًا لم تحرك إصبعاً، حتى هذه المرة.

- اسمعي، هل يمكنني أن أقول لك شيئاً؟
- هل إذا قلت لك إنه لا يمكنك ذلك لن تقولي ما تريد يا تونيا؟

- لا، سأقوله لك على الرغم من ذلك.
- إذن!

- اسمعي، أنا سعيدة من أجل تلك اللحظة العشيّة المثالية، أهنتك على ذلك، بل وأنا تقريباً على استعداد لأن أمنح جائزة للسيد (سهم)، لكن لتلك القصة رائحة لا تعجبني، أتعلمين هذا؟

- لماذا؟
- أليس غريباً أنه لم يقترح عليك أن تتقابلا في مكان آخر؟
- ربما، لكن مساء أمس كنت أنا التي...
- نعم، أعرف هذا، كنت هناك، وسمعت، لكن كان يمكنه أيضاً أن يقترح عليك أن تغيرا المكان لمواعيدكما، أليس كذلك؟
- مم... أهذا رأيك؟ بالنسبة إليّ يعجبني أن نتقابل هناك، بعيداً عن الجميع.
- حبيتي الجميلة، إن المواعيد ليلا في الحانات المغلقة لا يمنحها سوى نوعين من الأشخاص.
- ومن هما؟
- المجانين، أو أولئك المرتبطون بفتاة بالفعل.
- إذا كان مجنوناً لكان تصرف بالفعل تصرفات مجانين، ألا يبدو لك ذلك؟
- إذن، أصبحت الاختيارات محدودة.
- هل تريدين أن تقولي إنه في رأيك مرتبط بفتاة أخرى؟
- هل هناك تفسيرات أخرى ممكنة؟
- حسناً... لا أعلم... ربما...
- ربما من الأفضل أن تسأليه هذين سؤالين، هذا المساء.

19

في واقع الأمر، تساءلت جويًا بعض المرات: كيف يمكن أن تكون صديقتها المقربة فتاة توجد فقط في ذهنها؟ أي بخلاف الميل إلى العيش في الخيال أكثر من الواقع، هل هناك أيضاً شيء آخر؟ كانت تسير بعجلة بين شوارع وسط المدينة، ورأسها منخفض، والقلنسوة على رأسها. كان صبية مدينتها يجلسون هناك على

الأسوار أو في الميادين أو يجولون، ومن جهة أخرى، كانت غَيْرِي، أجل تغار، فجويا في داخلها تتمنى بشكل ما أن تكون مثلهم، تريد أن تشارك في نقاشاتهم، أن تعرف عمّا يتحدثون، لكن أيضاً لا، وهذا هو الشيء الغريب، منذ فترة تفكر في هذا، لكن الوحيد الذين تستطيع أن تتحدث معهم هم الفئة الأصغر من عمر عشر سنوات أو الأكبر من 60 سنة، أو لا أحد: فهي لا تفهم كل الآخرين، أو الأفضل أن نقول إن المسألة لا تتعلق بالفهم. إنها فقط عندما تتحدث معهم لا بد أن تستخدم المترجم.

أجل، هو هذا، المترجم.

والمترجم هو عندما يكون لديك شيء في ذهنك، وتعرف أنك إن قلته بهذه الطريقة لن يفهمك أحد؛ وهذا ليس لأنك تتفاخر، أو تشعر بأن الآخر جاهل - أحياناً يكون الأمر كذلك، لكن هذا لا يهم - لكن ببساطة لأنك فعلت حقاً ذلك، مرات عديدة، حاولت ذلك، وقلت ما يخطر في بالك، كما هو، بلا ترجمة، وكان كل ما حدث أنهم نظروا إليك نظرة سيئة، أو يسود فجأة صمت مُحرج، أو ينظرون إليك كأنهم يقولون: هل أنت تحت تأثير مخدر أم ماذا؟

وهكذا بدأت جويا في استخدام المترجم. المترجم يأخذ الشيء الذي في ذهنها، يرتبه، ويجد الكلمات الصحيحة؛ أي يترجمها، وتكون النتيجة هي، على الأقل، أن الطرف الآخر يفهم. بالتأكيد أن ما يحدث عادةً أن العبارة المترجمة ليست هي على الإطلاق تلك الأصلية، وأن الأمر يكون مثلما يقف بعض المطربين الإنجليز أو الأمريكيين، ويغنون أغنياتهم نفسها باللغة الإيطالية: في نهاية الأمر، ما ينتج عن ذلك يبعث على الضحك فوراً، أو على الألم، وأحياناً الأمرين معاً.

ولهذا السبب، تحب جوييا الكلمات التي يصعب ترجمتها؛ تلك التي تدوّننها في مفكرتها في كل مرة يحالفها الحظ وتعثر على واحدة منها. أن تعرف أن هناك كلمات لا وجود لها في اللغات الأخرى، هو أمر، وجدته هي دائماً، رائعاً، تقريباً ساحراً. وعندما تقابل إحدى تلك الكلمات في أثناء الدرس أو في كتاب ما، أو على الإنترنت، تشعر بالفرح الشديد، وتكتبها بسرعة وبحماس، ثم تتعلمها حتى تستطيع أن تستخدمها بطبيعة الحال عندما تفكر بينها وبين نفسها أو تتحدث مع تونيا.

على سبيل المثال، إحدى الكلمات التي تعجبها كثيراً هي Fernweh؛ وهي كلمة ألمانية، وتعني «الشعور بالحنين لأماكن لن تزورها أبداً»، وكانت جوييا تختبر الـ Fernweh من مائة إلى ألف مرة يومياً، تقريباً.

ثم كانت تعجبها كثيراً أيضاً كلمة komorebi؛ وهي كلمة يابانية: اسم يشير إلى تأثير معين للضوء، الذي يحدث عندما تتخلل الشمس أوراق الأشجار.

أما هي، فمن جبتها تشعر بأنها pocemucka؛ أي شخصية تطرح وتسال نفسها عدداً من الأسئلة، بالروسية. أجل، فإن جوييا بالتأكيد pocemucka.

إنها كلمات لها عوالم كاملة في داخلها، شظايا صغيرة من الصوت من مقطعين أو ثلاثة مقاطع تحتاج إلى صفحات وصفحات لتُشرح، لكنها تُترك هكذا؛ فهي غير قابلة للترجمة، ليس من جهة أنه من المستحيل ترجمتها، لكن من جهة أنه لا يجب عمل هذا؛ لأنها جميلة جداً هكذا كما هي، غير قابلة للترجمة وغامضة، بأصواتها الغريبة جداً، سواء كانت موسيقية، أم غير متناسقة ورائعة في آنٍ واحد.

إن أفضل العوالم الممكنة هو ذلك الذي فيه لا يحتاج أحد إلى ترجمة نفسه ليفهمه الآخرون. أو على الأقل هذا ما تفكر فيه جويا.

على كل حال بالنسبة إلى المترجم، الوحيدون الذين لا تحتاج معهم إلى أن تستخدمهم هم الأطفال، وجدتها، والبروفيسور بوفه، وتونيا.

و(لو). أجل، أيضاً مع (لو)، حتى الآن لم تستخدم المترجم قط. أدركت جويا هذا الآن فقط في أثناء سيرها، في أثناء عودتها إلى المنزل بلا صور التقطتها، وبعض الشك في ذهنها؛ شك ولّدته لها تونيا بالتحديد، أفكار لا تبدو جيدة، وتُشعرها بأنها غريبة، مثلما يحدث عندما تكتشف أغنية جميلة في المذياع، ثم تبعد قليلاً، وتبدأ في فقدان التردد، وهكذا، يصبح الاستماع أصعب. وهكذا، وبينما هي مأخوذة بكل تلك الفوضى في ذهنها، لم تدرك جويا أنها في أثناء سيرها أصبحت خلف مجموعة من الأشخاص تسير ببطء معهم.

يسيرون جميعاً في صمت.

يرتدون كلهم اللون الأسود.

أجل، لم يعد هناك أي شيء، كانت تسير خلف جنازة.

هي أيضاً ترتدي الأسود؛ لأنها لا تزال ترتدي كنزة (لو) السوداء، وحتى بنطالها الجينز لونه أسود؛ ولهذا، كانت متخفية تماماً، لكنها لا تعرف بالتحديد لماذا بدلاً من أن تتراجع خطوتين إلى الوراء وتذهب إلى حال سبيلها، استمرت في السير، كأنها قريبة أو صديقة للمتوفي أو للمتوفاة.

رفعت جويا عينيها ونظرت إلى الأشخاص. كان لديهم شيء ما، لا تعرف بالتحديد ماذا، لا تستطيع أن تفك شيفرته، لكن لديهم

شيء ما؛ لأنها لا تستطع أن ترى الألم، تتوقعه، لكنها لا تعثر عليه، رأت فقط عدداً من النظارات القائمة، ووجوهاً ثابتة، بلا أي تعبير، لديهم شيء ما، لكنها لا تفهم ما هو.

ثم جاءتها الفكرة.

توقفت، وعادت بعض الخطوات إلى الوراء، حتى خرجت من المسيرة وجعلتها تسير أمامها.

أخرجت آلة التصوير... صوبت العدسة، وبها كل أولئك الأشخاص من الخلف يسرون، والعربة الجنائزية هناك في المنتصف من بعيد، والتقطت الصورة.

20

- لقد تغَيَّر، أقول لك، لقد تغَيَّر!

- ماما، أنتِ تعرفين أنه لا يتغَيَّر ولن يتغَيَّر أبداً. ستكون هذه المرة الثلاثين التي أسمعكِ تقولين فيها هذا، وبعد شهر بالتمام ستطردينه من المنزل!

- إنه شخص آخر. وربما يكون عثر أيضاً على عمل.

- ماما، بابا سيكون شخصاً مختلفاً ربما بعد عبوره ثماني عشرة حياة، كدودة، ثم جرد، ثم خفاش، ثم ابن آوى، معزة وبغل، ثم يصبح إنساناً من جديد. وهنا أيضاً لديّ شكوكي في أنه يمكن أن يصبح مختلفاً كثيراً عما هو عليه الآن!

- جروتي الصغيرة، لا تقولي هذا. هل رأيتِ الورد الموجودة هناك؟

- أجل، ورأيت أيضاً أنه لا يوجد أي ورق تغليف ولا لاصق من محل الورد.

- ماذا تقصدين؟

- لا شيء يا ماما، لا شيء.
- لا، أخبريني الآن، ماذا تريد أن تقولي!
- إنه من الأفضل أن تذهبي للتحققي من المقابر؛ لأنه بالتأكيد سيكون هناك شاهد قبر بلا زهور!
- جوياء، يكفي هذا! لم أقل له سوى أنه يستطيع أن يمكث لبضعة أيام، وهذا لا يعني أننا سنعود معاً أو أننا سنتزوج، أو ما إلى ذلك! ثم إنه في كل الأحوال أبوك، تعرفين هذا؟!
- أكره هذه العبارة أيضاً.
- أي عبارة؟
- «إنه أبوك في كل الأحوال». سمعتها طوال حياتي. إنه يدمر كل ما يعثر عليه، ولا ينجح في شيء سوى ارتكاب الكوارث، لكنه: أبوك في كل الأحوال!
- أنا لم أعد أستطيع أن أمكث بمفردي. في سني هذه، أنتِ تعرفين، ولم أعد أستطيع أن أمكث بصحبة الصبية أو أن أنتظر الرجل الكامل، الذي سيدق على هذا الباب. إنه رجل عانى طوال حياته. لم يملك شيئاً قط، لا شيء سوى الركلات وأشخاص أوسعوه لكماً في ظهره. لقد ارتكب عدداً من الأخطاء، هذا حقيقي، لكنني أستطيع أن أفهم عدداً من أخطائه!
- آه، أوكي، رائع!
- أوكي، ماذا؟
- أنتِ تعرفين.
- لقد دخلت بالفعل في تلك المرحلة. رقم قياسي جديد، يا للهول! لم تحتاجي هذه المرة سوى إلى يومين.
- أي مرحلة؟
- تلك التي فيها تبررين تصرفاته؛ تلك التي فيها يكون هناك

تفسير لأي حماقة ارتكبتها في حياته؛ تلك التي فيها: «المسكين، لقد كان تعيس الحظ، لنحاول فهمه!». لتتراهن إذن، في خلال أسبوع ستعودان معاً. ما رأيك؟

- إننا جميعاً من حقنا فرصة ثانية.

- أجل، فرصة ثانية، لكن ليست الفرصة الرابعة والثلاثين.

- جویا، لن أسمح لك أن تفعلی هذا! أن تقولي لي كيف يجب أن أعيش حياتي!

- ماما، ما دمت أنا لا تزالين هنا، والجدة لا تزال هنا؛ فهي ليست حياتك بمفردك، هل تفهمين ذلك؟ إنها حياتنا، هل تفهمين هذه الكلمة، حياتنا؟

- أجل أفهمها.

- لا، بل لا تفهمينها. لا تعرفين حتى ما معنى هذه الكلمة. لا بد أن أحضر لك المعنى لتقرئيه من القاموس.

- توقفي!

- توقفي أنتِ! إنه شخص لا يمكن على الإطلاق الوثوق به، متكبر ومتقلب، أنتِ تعرفين هذا جيداً جداً! لقد أظهر لك هذا مليون مرة، وعاملك دائماً بأسوأ الطرق، الآن يأتي إلى هنا، يتظاهر بالمهارة يومين، ويأتي ليبحث عن عمل هنا معك، يسرق بعض الورود الذابلة من المقابر، وأنتِ تصدقينه من جديد، وتسقطين من جديد بين ذراع...

طراخ!

...

...

...

- آسفة.

...-

- هل سمعتِ ما قلته لك؟ آسفة! لم أكن أريد صفحك.
- لا يجب أن تعتذري لي يا ماما. فعلتِ طيباً.
- لا تقولي هذا الآن. ولماذا ترتدين ملابسك؟
- لا، حقاً. إنها حياتك.
- جويا، إلى أين أنتِ ذاهبة الآن؟
- لأعيش حياتي.

21

- في كل خطوة كانت تفصلها عن المشرب، كانت تونيا، التي تسير بجوارها، تردد باستمرار: اسأليه على الفور! اسأليه على الفور! وهكذا بدأت جويا أيضاً في التدريب على ما ستقوله.
- اسمع، هل يمكن أن أسألك عن شيء؟
 - طريقة مراهقة غير واثقة على نحو مبالغ فيه.
 - (لو)، يجب أن أقول لك شيئاً ما.
 - حاسمة زيادة عن اللازم.
- لا توجد طريقة مناسبة. ملعونة تونيا: لماذا لم أختَر صديقة متخيّلة أقل صراحة؟
- هيه، أنت، يا أداة التعريف، هل تشرح لي لماذا يجب أن نتقابل هنا بالتحديد وفي هذه الساعة؟
 - أجل، ربما هذه صيغة جيدة!
- ثم، كالعادة، عندما يُعد المرء كل شيء على أحسن حال، وعندما يرمج كل الحركات بكل دقة، تسير الأشياء بشكل مختلف. كان هو هناك، يجلس أمام المائدة هذه المرة، لم يكن يلعب بالأسهم، كان فقط يراقب الطريق في نصف الظلام، رآته هي، ودون أن تدرك

بدأت تُسرّع الخطى، ونهض هو وذهب للقائها، وكأن الأمر شيء معتاد تماماً، احتضنها.

كان حضناً كافياً ليطيح بخططها لوهلة.

الآن، بطبيعة الحال، لا يعني الحزن شيئاً معيناً، إنه فقط مجرد حزن، والناس كلها يفعلون هذا كل يوم، وإذا قورن بالقبلة أو بالجنس، يكون الحزن أقل منهما عشرات الدرجات، بالتأكيد، لكن أولئك الذين يفكرون بهذه الطريقة ربما نسوا ما معنى الحزن الأول؛ ذلك الذي يقدمه لك ذلك الفتى أو تلك الفتاة، ليس المقصود هنا تحلية المشاعر، فلا دخل للعسل هنا، لكن الواقع أن الحزن الأول ليس مجرد حزن فقط، على الإطلاق، لكنها المرة الأولى التي فيها يستند جسدك إلى جسد شخص آخر، وفي ذلك اللقاء تشعر بأن بطنك يصبح وعاء، تشعر به وقد أصبح كأساً أو كوباً، والآخر هو المياها العذبة، فالحزن الأول ليس هو مجرد حزن أول؛ لأن المرء قبله يكون قطعاً متفرقة تبدأ في الالتئام فقط في تلك اللحظة، يصير بالتأكيد، والأمر يتطلب وقتاً طويلاً، ربما حياة بأكملها، لكن يبدأ كل شيء تماماً في تلك اللحظة، عندما يتحول المرء إلى شيء ما، وليس مجرد قطع مبعثرة.

ثم إن ذلك الحزن الأول استمر فترةً طويلةً جداً.

انفصلا بعد قليل وأخذ هو يدها وقال لها: تعالي معي!

22

- وهنا ماذا يوجد؟

- ماذا، ألا ترين؟ إنها كنيسة صغيرة فوق الهضبة.

- أجل أراها، لكن... هل تأتي إلى هنا كثيراً؟

- أجل، كثيراً.

- وماذا تأتي لتفعل هنا؟ هل تجمع أزواجاً لتخيفها؟
- أجل، هذا أيضاً. عندما أشعر بالملل.
- وعندما لا تشعر بالملل؟
- لا شيء محدد. أحب أن آتي هنا فقط.
- وهل هناك أيضاً سبب لأجله تعجبك؟
- لم أفكر في هذا الأمر قط. ربما... ربما تعجبني لأنني من هنا يمكنني أن أرى المدينة كلها، لكن المدينة لا يمكنها أن تراني.
- ماذا قلت الآن؟
- إيه؟ ماذا؟ أنا؟
- أجل، أنت يا (لو). ماذا قلت للتو؟
- إنني لم أفكر في هذا قط.
- ليس هذا، بعد هذا.
- «إنه يعجبني؛ لأنني من هنا أرى المدينة، لكن المدينة لا تراني»، لماذا؟
- لا، لا شيء.
- ما معنى «لا شيء»؟ وجهك لا يدل على «لا شيء».
- إنها قصة طويلة.
- يا (شيء)، ليست لدي أي التزامات هذا المساء.
- أوكي، لكنني اضطررت إلى أن أعد ألا أتحدث في هذا الأمر مع أحد، وإلا سأخاطر بأن أشكي.
- آه، حسناً، إذن لن أصر.
- حتى إذا...
- حتى إذا؟
- اسمك ليس (أحد)، أليس كذلك؟
- ماذا؟

- اسمك ليس (أحد)، هل هذا صحيح؟
- (شيء)، أشعر بأنك لستِ على ما يرام.
- هذا بالتأكيد، لكن أنت أگد لي أن اسمك ليس (أحد)، هل نحن متفقان؟
- لا، أشكر السماء أنه ليس لديّ أبوان ساديان ليطلقا عليّ اسماً بهذا الغباء...
- رائع، إذن سأطلعك عليها، لكن لا بد أن تعديني بالكتمان التام والأبدي.
- يمكنني أيضاً أن أقسم لكِ على هذا. ثقي بي، لن يسمعي أحد أبداً أتحدث عن ذلك الذي ستقولينه لي.
- لقد فعلت ذلك بالفعل؟ لقد أقسمت!
- إذن، هل قررتِ؟
- ها هي، خذ.
- ما هذا؟
- ألم ترَ آلة تصوير قط، يا أداة التعريف؟
- أي إنكِ تقولين لي إنه لا يزال هناك من يستخدم تلك الأجهزة؟
- هل أنتِ متأكدة من أنكِ لستِ من قرن آخر؟
- انظر إلى الصور التي في الداخل، واصمت من فضلك.
- أوه، هل التقطتها أنتِ؟
- لا، جدتي.
- حسناً، قولي إذن لجذتك إنها بارعة بالفعل. تعجبني.
- حقاً؟
- أجل، حتى إذا لم أفهم لماذا كلها لقطات من الخلف، لكنها تعجبني، أجل. كم عددها؟
- نحو مائة على ما أعتقد.

- كلها هكذا؟
- أجل كلها هكذا.
- ولم يلتفت أحد قط، وبدأ يصرخ فيك؟
- حتى الآن لا. أقصى ما حدث أن شخصاً ظريفاً ذهب ليخبر عني مدير المدرسة، الذي - بطبيعة الحال - استدعاني.
- مم، لكن لا يمكن أن تقولي إنهم أخطؤوا في ذلك؟
- في نهاية الأمر، أنا أحتفظ بها لنفسي.
- وهذه؟
- هذه التقطتها اليوم.
- جميلة جداً.
- هل تعجبك؟
- إلى أقصى حد.
- حقاً؟
- بالطبع. إنها جنازة، أليس كذلك؟
- أجل.
- انظري هنا، تلك الرؤوس الثلاثة، التي تنظر كلها في اتجاهات مختلفة، ولا تنظر أمامها. إن عربة الموتى هناك، وهم ينظرون في الاتجاه الآخر، كأنهم يريدون... لا أعلم، ربما ألا ينظروا إلى الموت في وجهه. أو الأسوأ... كأنهم يفكرون في أنه أمر لا يخصهم.
- هل هذا ما تراه في الصورة؟
- بالطبع، فهذا واضح تمام الوضوح. رائعة!
- ولهذا التقطتها هكذا.
- من الخلف تقصدين؟
- أجل؛ لأنه من الأمام... لا أعلم.
- بالطبع تعلمين يا (شيء).

- لا، حقاً. لا أعرف كيف أشرح ما الشيء الذي لا يعجبني من الأمام.

- يخيفك؟ كل شيء مباشر جداً... كل شيء واضح، هل هذا هو؟
- أجل، وأيضاً، ليس هذا كل شيء. انظر، كنت قد بدأت بأن ألتقط صور الأشخاص من خلال تأطير الوجوه جيداً، وكانت النتيجة أن الصور كانت تبدو لي دائماً مصطنعة.

- ربما كان من الأفضل أن تلتقطيها فجأة، أليس كذلك؟
- هذا ما حاولت أن أفعله. وقفت هناك، وأتذكر أنني كنت أنتظر، أحاول أن ألتقط صور الأشخاص عندما لا يدركون هذا، وبجانب واقع أن الأمر كان صعباً، أي، حتى عندما كنت أنجح...
فإن الصورة كانت تبدو لي دائماً، على الأقل بعض الشيء، مصطنعة.
- آه.

- هل تفهم؟ إن وجوه الأشخاص تكذب، تكذب دائماً. حتى عندما يقفون هناك «طبيعيين»؛ فهم ليسوا طبيعيين حقاً؛ فهم جميعاً متماسكون وحريصون على ألا يتركوا أي شيء يفلت منهم، ولا حتى أصغر تعبير غبي! لكن على العكس من الخلف، فمن الخلف...

- من الخلف؟

- من الخلف يقولون دائماً الحقيقة.

23

مرت الساعة الحادية عشرة، ولا تزال جوياء و(لو) هناك فوق الهضبة، وظهراهما مستندان إلى سور الكنيسة. ربما سيربطها أبواها، عندما تخطو بقدميهما داخل المنزل، بأحد الكراسي ويمطرانها بوابل من الأسئلة؛ لأنه ما دام أبوها خارج المنزل، يمكنها أيضاً أن تقول

إنها لدى تونيا وتختفي في اللا شيء لمدة يومين؛ لأن أمها لن تحرك رمشاً، فمنذ فترة وهي لا تنتبه لغياب أي شخص! لكن الآن كل منهما يجب أن يُظهر للآخر أنه مربّب مثالي، وأن يثبت أنه هو أيضاً حاسم في تحديد القواعد والمواعيد. كانت قد رأت تلك القصة من قبل: من المؤكد أن كلاّ منهما لديه في مخزنه خطبة جميلة، تلك المكونة من آلاف الأحرف والمسافات.

أو ربما لا، نظراً إلى أنها خرجت غاضبة منهما؛ ومن ثم لتصفح عنهما، سيتجنبان تماماً أن يصرخا فيها.

على كل حال، لا شيء يهم جويّا. الآن، ما يدور في رأسها شيء آخر. شيء آخر تماماً.

في النهاية، سألته. أجبرت نفسها، حاولت أن تحتفظ بيقظتها ثلاثين ثانية، وسألته عما أرادت.

لم تستخدم الكلمات، التي كانت قررت أن تستخدمها، لكن لا بأس. حاولت أن ترتجل بعض الشيء، فكرت في أنه ربما توجد طريقة يمكنها بها أن تسأله هذا السؤال دون أن تطرح أسئلة. وهكذا، وبينما كانا هناك، ظهراهما مستندان إلى سور الكنيسة الصغيرة، أحدهما بالقرب من الآخر، ينظران إلى المدينة، قالت له: اسمع، لماذا نتقابل دائماً هنا؟

- حسناً يا (شيء)، هذه المرة كنتِ أنتِ من طلب هذا!

- أجل أعلم هذا... وليس لأنني لا تعجبني تلك الأماكن، لكن...

- إن الخطأ خطأ والدَي. إنهما نازيان حقيقيان، أقسم لك.

يتركاني أخرج فقط في تلك الساعة، عندما أكون قد انتهيت من مذكرتي وكل شيء، وهكذا آتي دائماً إلى هنا، على الأقل أهدأ قليلاً.

- آه، فهمت.

- في الواقع، هذه المرة تأخرت جداً، وأعتقد أنتِ أيضاً؛ لذلك

- من الأفضل أن نهض.
- أجل، أعلم أنك مُحق.
- لكن، إذا استطعت، يوماً ما، أن أقنعهما، يمكننا أن نتقابل في مكان آخر، وفي ساعة أخرى، أعدك!
- أومأت جويًا موافقة، وهي تنقل نظرتها تجاه المدينة البعيدة، وتثني شفيتها في تعبير عن الإحباط بعض الشيء.
- (شيء؟) لا أرى أنكِ مقتنعة.
- لا، لكن...
- لكن ماذا؟
- لا يزال الوقت مبكراً.
- قولي هذا لأبوي، اللذين بمجرد رؤيتي سيعذبانني بالأسئلة!
- أومأت جويًا موافقة، مرة أخرى، لكن من جديد ببعض الإحباط.
- اقترب منها (لو) حتى أصبح على بُعد عشرة سنتيمترات من عينيها، ثم قال: لست خبيراً كبيراً بأمور النساء، لكن وجهكِ يوحي بالتأكيد أنكِ ترغبين في قول شيء ما!
- لم تقل جويًا أي شيء. يوجد جزء منها يرغب في التحدث، أن تقول له ما تريد، لكنّ جزءاً آخر؛ بسبب ما غامض، كأنه يرغب في أن يفهم هو بمفرده ما ترغب في أن تقوله، وأن يجيب هو بمفرده.
- أوكي، نظراً إلى أنني أؤمن أنكِ بحاجة إلى طرح بعض الأسئلة عليّ، فلنفعل هكذا.
- هكذا، كيف؟
- الآن سأشغل ساعة الإيقاف، لمدة ثلاث دقائق، وأنتِ في خلال تلك الدقائق الثلاث يمكنكِ أن تطرحي عليّ كل ما تريدين من

أسئلة وأنا سأجيب عنها.

- موافقة!

- لكن بعد ذلك يجب بالفعل أن أذهب، إنني أخطر الآن
بميتة بطيئة ومؤلمة.

- هل أبداً إذن؟

- انطلقني.

- حسناً. بحق السماء، ماذا تفعل بتلك الحجارة التي تحملها
دائماً معك في المرطبان؟ وأين تسكن؟ هل أنت متفوق في المدرسة؟
هل لديك فتاة، مثلاً؟ هل تحب فريق البيسك فلويد؟ وهل تعيرني
كنزتك مرة أخرى؟ ثم بعد ذلك سنرى.

- توقف يا (شيء)، لم أقصد أن لديك ثلاث دقائق من الأسئلة،
لكن سأمكث ثلاث دقائق أخرى، وسأجيب عن كل الأسئلة التي
تسألنيها في تلك الدقائق الثلاث.

- آه.

- لكن على كل حال سأحاول، حتى وإن بقيت فقط دقيقتان.

- أحسنت.

- فيما عدا السؤال المتعلق بالحجارة؛ فذلك سيستغرق وحده
عشر دقائق.

- أوكي، لكن لتسرع الآن.

- أسكن على بُعد كيلومترين من هنا، في واحد من المباني
الكبيرة البشعة، التي لا أعرف لماذا لم يهدموها بعد.

- حسناً.

- في المدرسة مستووي متوسط، يمكن أن نقول إنني على ما
يرام، فيما عدا بعض مشكلات النظام الصغيرة من حين إلى آخر،
أنت تعرفين الحال.

- أجل.

- بالنسبة إلى فريق بينك فلويد، أجل أحبه، لكن فقط في بعض اللحظات، مثلاً عندما أستحم، أو عندما أشعر بأنني أحتاج إلى أن أشعر ببعض التعاسة.

- لكن...

- سأهديك الكنزة، وكنت على وشك أن أقول لك هذا، ثم سنرى... هل كانت هناك أسئلة أخرى؟
- أشكرك و... أجل كان هناك سؤال.

نظر (لو) إلى جويوا وابتسم، فهم تماماً أي سؤال كان، وربما كان قد تركه عمداً. وهكذا، نهض، ومد لها يده ليساعدها على النهوض بدورها، وقال لها: لا توجد فتاة أخرى. والآن لنرحل، أرجوك!

24

إذا كان أحد أخبرها منذ ثلاثة أيام فقط، لم تكن ستصدق.
لم تكن تعرف حتى إنها قادرة على بعض الأشياء. لم تكن ستصدق أنها قادرة على أن تستيقظ نصف ساعة مبكرة عن المعتاد، سعيدة بأنها تفعل هذا، دون أن تؤجل المنبه ست مرات كما تفعل في العادة.

لم تكن ستصدق أنها ستقضي عشر دقائق كاملة - وليست الشواني الثلاثين المعتادة - لتقرر ما الذي سترتيديه.
لم تكن ستصدق أنها قادرة على أن تفكر - أوكي، فقط التفكير؛ فهي لم تفعل هذا - في أن تضع لمسة من قلم الكحل على عينيها قبل أن تخرج، وأن تأخذ حقيبة أمها، تبحث فيها وتحاول أن تصنع فارقاً في شعرها. فقط، مجرد التفكير.

ثم، وعلى وجه الخصوص، لم تكن ستصدق مطلقاً أنها قادرة على الذهاب إلى المدرسة دون أن ينتابها ذلك الخوف؛ فالذهاب إلى المدرسة في حد ذاته، يعجبها، لكن الأشخاص الذين تقابلهم هناك هم من يخيفونها. يخيفها ما يفعلونه، والطريقة التي يفعلونه بها.

مثلاً هو الحال عندما يكون شخص معروفاً كونياً بأنه تعيس الحظ، وربما يطلق مزحة مسلية، عندئذٍ يعلق الجميع بتلك الضحكة المزيفة، كأنهم يقولون له: هل يجب علينا أن نضحك؟ وإذا كانت المزحة نفسها يطلقها كازالي، أو أحد الذين يُعدون من المحظوظين، عندئذٍ يضحك الجميع. لا تضايقها تلك الأشياء، لكنها تخيفها بالفعل، الخوف من أنه لكي يشعر المرء بأنه أفضل لا بد أن ينتمي إلى جماعة ما، وأن يدخل في دائرة ما، وأن يكون عضواً في نادٍ خاص. ألا يمكن للمرء أن يشعر ببساطة بأنه بخير بمفرده؟ أو حينما يقف ثلاثتهم يتحدثون، وواحد أو واحدة من الثلاثة يرحل، وعندئذٍ ما يحدث دائماً، وبانتظام، يبدأ من بقي في قول شيء ما عن ذلك المبتعد. يخيفها أن الأشخاص ينتظرون ابتعادك ليتحدثوا عنك، وتتساءل: لماذا إذن لا تفعّل ذلك وأنا هنا معكما؟ أو عندما يسأل الأستاذ تلميذاً خجولاً جداً، وهذا التلميذ، ربما لا يستطيع أن يقول كثيراً، حتى إن كان من الواضح جداً أنه قد قضى أمسيته يستذكر، ثم يسأل شخصاً آخر؛ شخصاً حاضراً بمزاحه وكلامه الكثير، ويخترع الأخير مجموعة من الكذبات، وفي نهاية الأمر، يستطيع أن يقول شيئاً ما؛ ومن ثم تصبح الدرجة متساوية لكليهما. بالنسبة إلى جويو سبادا، تخيفها كل هذه الأشياء بشدة، تخيفها كثيراً بالفعل؛ لأن هناك شيئاً ما في داخلها يقول لها إن هناك في الخارج لن يتغير أي شيء، كثيرون في كل مكان مقتنعون أن المدرسة

ليست إلا فترة انتقالية صغيرة، وبعدها يصل المرء إلى الدبلوماسية أو الجامعة أو العمل؛ أي إنه هناك في الخارج سيكون العالم شيئاً مختلفاً، إلا أن جويًا تعرف جيداً أنه سيكون الأمر نفسه، في أماكن مختلفة، لكن الأشياء نفسها دائماً، الفروق تتكرر دائماً، والتصرفات الجبانة نفسها، وألعاب التفوق نفسها، بوجوه وملابس مختلفة، لكن دائماً الأشياء نفسها.

لكن اليوم لا. اليوم، لا تشعر بأي خوف.

اليوم تجد نفسها هناك، ولا تفكر في ذلك الذي يدور حولها؛ أي إنها ترى أن لا شيء قد تغير عن الأمس، وأن كازالي سيوجد دائماً، وسيتصرف ككازالي، وأن باتا والأخريات سيظلن هناك وسيتحدثن بطريقة سيئة عن شخص ما، وأن الأساتذة سيأتون دائماً إلى المدرسة على الرغم من أنهم يرغبون في الوجود في مكان مختلف تماماً. لم يتغير أي شيء حولها، لكنها هي من تغير.

وأيضاً إذا كانت تبذل بعض المجهود لتتعرف إلى نفسها، وتونيا خلفها مستلقية على الفراش تقول لها: ما هذا، منذ ثلاثة أيام كنتِ إيمي واينهاوس، والآن أصبحتِ كيتي بيرلي!

حتى إذا لم يكن في استطاعتها السيطرة على الأمر، وبينما تضبط مرة أخرى قميصها أمام المرأة، تكتشف جويًا سبادا، للمرة الأولى في حياتها، أنها لا تعرف أنها، في بعض الأحيان، يمكن أن تصبح جميلة جداً.

25

- إذن يا آنسة سبادا، عمّ ترغبن في سؤال اليوم؟

- اليوم صعب يا أستاذ. اليوم أعلم أنه حتى سيادتك لن تعرف أن تجيبني.

- أوه، أتمنى ذلك جداً. إنه لشيء رائع عندما يسألني أحد سؤالاً لا أعرف إجابته!

نظرت إليه جويًا، لم تكن متأكدة من أنها فهمت ماذا يرغب في أن يقول.

- لا تنظري إليّ بشك هكذا، يا آنسة: إن من يطرح عليك أسئلة لا يمكنك الإجابة عنها يجبرك على أن تبحثي، بشرط ألا تكوني مت بالفعل ودُفنت. وإنها نعمة في كل مرة نبدأ فيها رحلة البحث عن شيء ما، سواء بحثت عن امرأة، أرض أم إجابة!

وفي تلك اللحظة بالتحديد، عندما قال كلمة «إجابة»، عبر بوتشا وكازالي خلف الأستاذ، ومن ورائه أظهر الإصبع الأوسط، ففي الساعة السابقة، دوّن الأستاذ كليهما غياباً في حصة الفلسفة في الدفتر، لكن بوفه، دون أن يرفع عينيه عن عيني جويًا، ضرب ضربة إلى الخلف بعصاه الخشبية أصابتهما تماماً في الركب، عصفورين بحجر.

- آه، سامحاني، لا بد أنني أصبتكما بلا قصد! قال لهما، لكن في أثناء ذلك كان ينظر إلى جويًا مبتسماً. ورحل كل من بوتشا وكازالي وهما يعرجان، مُدركين تماماً أنهما استحقا ما حدث لهما.

- كنتِ تقولين يا آنسة؟ إذن، ما هذا السؤال الجريء جداً؟
- حسناً. لقد تحدثت اليوم عن هرقليطس، أليس كذلك؟
وقلت لنا عبارته تلك.

- «لا يمكن للمرء النزول في النهر نفسه مرتين»، أجل.
- تماماً؛ أي إن هرقليطس يقول إن كل شيء يتغير ويتطور، دائماً، ثم طرحت علينا حضرتك المثل الخاص بخلايانا، وبأن أغلبيتها، في لحظة ما، تفعل ذلك الشيء، كأنها تنتحر!
- أجل، الاستماتة. تفعل الخلايا ذلك تطوعاً؛ لتمنح الخلايا الأخرى مكاناً.

- أجل هذا. إذن، في حياتنا تقريباً خلايانا كلها تموت، ثم تحل محلها أخرى، وأغلبتنا يتغير في بضعة أعوام، مثل السيارة في أثناء السباق، تُفك وتُركَّب بقطع غيار، تقريباً شبه الأصلية تماماً، ثم تصل إلى نهاية السباق وقد أصابها الصدأ والعطب، لكن فيما عدا ذلك تكون مشابهة تماماً للحالة التي بدأت منها، حتى وإن تغيرت كلها بالكامل.

- هذا صحيح يا آنسة، لكن... أين السؤال؟

- ها هو ذا، فلتستعدّ: هل يمكن الشعور بأن في داخلك شخصاً ليس أنت، وفي الوقت نفسه تعلم أن هذا المخالف لك، هو أنت أيضاً؟

نظر البروفيسور بوفه إلى جويّا وهو يضم عينيه ويلف رأسه جانباً بعض الشيء. ضمت جويّا شفّتيها وقالت: هل أحاول أن أقوله بكلمات أقل فوضوية؟

- لا، لا، يا آنسة، لقد فهمت، لكن معكِ حق، إنه سؤال صعب جداً.

- أرايت؟ قلت هذا لحضرتك.

- الواقع أننا لسنا واحداً يا آنسة. نتمنى هذا، لكن هذا وهم كبير؛ ذلك أن نقول إن لدينا هوية واحدة وشخصية واحدة. - آه، إذن؟

- فكري في نفسك، ليس كصوت منفرد، لكن كجوقة تحاول كل يوم أن تغني الأغنية نفسها، لكنها نادراً ما تنجح. فهناك أصوات كثيرة في داخل النفس، أكثر من تلك الموجودة في مسرح ممتلئ؛ مسرح كبير بحجم العالم.

تخيلت جويّا مشهد مسرح ضخم، مليء بعدد من (تونيا)، تتحدث كل منهن بمفردها، وابتسمت.

- هل أجبت عن سؤالك يا آنسة؟
- أجل، أعتقد هذا.
- ضرب البروفيسور بوفه الأرض بعصاه، وكان على وشك الذهاب،
- لكن بعد خطوتين توقف، والتفت إليها قائلاً: آه، يا آنسة!
- تفضل يا أستاذ.
- استعدي؛ لأنه كثيراً في سنك، سيحدث لك أن الأصوات التي
- في داخلك ستبدأ في إنشاد أغنيات لن تعجبك بالمرّة. دعيها تفعل
- ذلك، ولا تطرديها؛ لأن تلك الأغنيات ستُحدّثك بطريقة أفضل عن
- نفسك من أي شخص آخر!

26

- يمكننا أن نلعب لعبة أنا وأنت.
- وحدهما في الظلام مرة أخرى، وظهراهما مستندان إلى سور
- الكنيسة الصغيرة، (لو) وهو يحمل المرطبان في يده، وجويا معها
- ورقة بين أصابعها، وبالنظر إليها في الضوء، كان القمر فوق جبهتها.
- أي لعبة؟
- لعبة المرة السابقة، لكن دون مسألة الدقائق الثلاث.
- أي؟
- سألها (لو) وهو يسرق الورقة من يدها.
- يسأل كل منا الآخر أسئلة. أنا أحب أن أسأل.
- مثل مسابقة؟
- شيء كهذا. أجل.
- على كل حال، أعلم بالفعل ماذا ترغبين في أن تسأليني.
- وكيف يمكنك أن تعرف هذا؟
- حسناً، أمر بسيط.

قال (لو)، وهو يضع أمام عينيها مرطبان الحجارة، كأنه يقول:
أعلم أنك تريدين أن تسأليني عن هذا.

- بالفعل، يمكن أن يكون هذا نقطة انطلاق جيدة. هل يمكن
أن أعرف ماذا، بحق السماء، يفعل صبي مثلك... انتظر، كم
عمرك؟

- ثمانية عشر.

- إذن، أن يسير صبي سنه ثمانية عشر عاماً دائماً ممسكاً
بمرطبان من الحجارة يحرص عليها كأنها شيء مقدس؟

- ربما هي مقدسة بالفعل، كيف يمكنك الحكم على هذا؟

قال لها وهو يهز المرطبان بعض الشيء فترن الحجارة في داخله.

- إذا كانت أشياء شخصية جداً، لا تقلق، لن أتوجه إليك بأي
كلمة عنها.

- لا، حسناً، أجل هو شيء شخصي، لكنني أرغب في أن أخبرك عنه
بشرط واحد.

- آه، ما الشرط؟

- أن تخبريني أنت كيف في كل مرة أراك، أرى أنك تحملين دائماً
تلك العبارة المكتوبة بالقلم الجاف على ذراعك.

- يبدو لي أنه شرط عادل.

نهض (لو)، وترك جويًا هناك جالسة في مكانها. تمشى قليلاً في
المتنزه الواقع أمام الكنيسة، وهو يحدق بنظره أرضاً.

سألته: هل فقدت شيئاً ما؟

استمر هو بضع ثوانٍ في النظر إلى أسفل كأنه يبحث عن شيء
ما، ثم التقط حجراً وعاد إلى الخلف، وجلس من جديد بجوارها،
وأطلعها عليه وهو يلفه أمام عينيها.

- هل تعلمين، هذا الكوكب موجود منذ خمسة مليارات سنة،

تقريباً، ومن الصعب جداً العثور على شيء ما، لم يتحطم، خلال ذلك الزمن، شيء لم يُفقد، شيء ينتمي بطريقة فعلية إلى تلك الفترة. راقبت جويًا الحجر، واللون القاتم اللامع الذي يظهر على السطح بفضل ضوء القمر.

- إن الحجارة هي الشيء الوحيد الذي، أجل، تهشم إلى آلاف القطع، تآثر، لكنها موجودة منذ آنذاك، وتُشعري دائماً بالجنون فكرة أن ألتقط حجراً، وأن أفكر أن هذا الشيء الصغير يسافر منذ خمسة مليارات سنة.

- إذن، أنت تجمع أجملها؟

- لا يا (شيء). أنا أجمع تلك التي تنتمي إلى أهم الأماكن التي زرتها.

قال (لو) وهو يفتح المرطبان، ويقلبه بينهما هما الاثنين.

- أحتاج إلى أن أتذكر الأشياء، وأن أتذكر من أنا. تقريباً من أين أتيت. هل تعرفين (عقلة الإصبع)؟

- تقصد الحكاية؟

- أجل، فلنقل إنني أحتاج إلى أن أعثر دائماً من جديد على طريق المنزل.

قال وبدأ يضحك وحده.

- إنني أتحدث مع تلك الحجارة. معها أحياناً نتحاور محاورات جميلة.

قال وهو مستمر في الضحك، أما جويًا، فقد أمسكت بقوة بالحجر، الذي أعطاه لها منذ قليل، وهي تحاول أن تشعر باللمس برودة سطحه، وتخيّل كم من الطرق قام بها؛ ذلك الشيء الذي بين يديها؛ ليصل إلى هناك، الآن.

- انظري، هذا مصدره حديقة منزلي الأول، عندما كنت صغيراً.

قال (لو) وهو يمسك بالحجارة في يده واحداً تلو الآخر، ثم يضعها مرة أخرى في المرطبان.

- أما هذا، فمن شاطئ بالقرب من دبلن، حيث ذهبت منذ عامين.

- هل هو شاطئ جميل؟

- جميل جداً. إذا أردت يوماً أن أودع الجميع، سأذهب إلى إيرلندا.

- وهذا؟

- هذا يأتي من مكان في الغابة، لا أعرف إذا كنت تعرفينه. بالقرب من هنا توجد البحيرات، وإحدى تلك البحيرات غريبة جداً؛ لأنها في نهاية كل صيف، تقريباً، تجف، ومن العمق تظهر قرية غارقة، اسمها بحيرة ريدونا⁽¹⁵⁾، هل تعرفونها؟

- لا، أنا لست من هنا، ولم أسمع عنها قط.

- كان أبي يأخذني إلى هناك في طفولتي. قال لي إنه أسفل البحيرة توجد مدينة شبح، حدث لها كما حدث لأطلنطيس؛ ففي يوم من الأيام، ارتفعت المياه، وغرق كل من يعيش فيها. قال لي إنها مثل الأطلنطيس، كانت مدينة خيالية، فيها فقط قاعدتان؛ قاعدتان فقط. الأولى: ألقى دائماً التحية على الجميع، والثانية، لا تتسبب أبداً في إيذاء أحد. في واقع الأمر، احترمت الجميع القاعدة الأولى لأنها سهلة، غاية في السهولة، احترموها بلا أي مشكلات؛ فلم يكن عليهم عمل شيء سوى أن يحيي بعضهم بعضاً، في المدينة الشبح، وكان هذا جميلاً؛ لأنه شيء جميل أن يحييك أحدهم حتى إن لم يعرفك. المشكلة ظهرت في القاعدة الثانية، فحتى أولئك المهرة، أولئك الطيبون، لم يستطيعوا احترامها طوال الوقت، حتى

إن حاولوا وحرصوا على ذلك، فإن آجلاً أم عاجلاً، دون أن تريدي، سيكون من الممكن أن تتسببي في إيلام الآخرين. كان أبي يقول لي إن الإله هو من أغرق تلك المدينة الشبح، هل تعرفين لماذا؟ لأنه عند لحظة ما أدرك الناس استحالة ألا يتسببوا في إيلام الآخرين، وأدرك الجميع أن لا أحد يمكنه هذا، وعندئذٍ، بدؤوا يقولون، نظراً إلى أنها قاعدة مستحيلة، ربما من الأفضل إذن عدم التمسك بها، وهكذا بعد فترة لم يعد أحد في المدينة يهتم بهذا، وأصبح بعضهم يؤلم بعضاً دون أن يفكروا في هذا.

قال لي أبي لهذا السبب أغرق الله المدينة الشبح. لأنه حقاً، من المستحيل ألا نتسبب مطلقاً في إيلام الآخرين، لكن الشيء الذي يمكننا عمله، كل ما يجب علينا عمله، ألا نتوقف أبداً عن المحاولة.

لم تقل جوياء أي شيء خلال الحكاية كلها، كانت جالسة بفمها شبه مفتوح تسمعها، وفي النهاية خرج فقط من فمها: واو!
- أجل، كنت أذهب إلى هناك مع أبي.

- كنت تذهب؟

فجأة، أظهر شيء ما في عيني (لو) حزناً ما، مختلطاً بشيء من الغضب. نوع من النظرات تعرفه جوياء حق المعرفة؛ لأنها رأته آلاف المرات بوضوح ودقة، منعكساً في المرأة. وهكذا لتجعله يفهم أنها قد فهمت قالت له: وأبي أيضاً.

- وأبوك أيضاً ماذا؟

- وأبي أيضاً... أريد أن أقول إنني أيضاً لا أستطيع أن أتفق معه.

قبل أن تنتهي جوياء من عبارتها، ألقى (لو) بكل الحجارة أرضاً، فوق البلاط الذي يجلسان فوقه، بحركة مفاجئة نهض وابتعد، أصبح فجأة غاضباً، وكأنها قالت شيئاً أهانه.

جويا، مندهشة، لم تتحرك من مكانها، ثم بعد لحظات، لم تستطع فيها أن تقول أو تفعل أي شيء، جمعت كل الحجارة حتى لا تتبعثر، ووضعتها بجوار المرطبان. وفي النهاية نهضت، وذهبت بجواره.

- هل قلت شيئاً تسبب...

- ماذا تظنين أن لديك أنت؟! أب لا يستمع إليك، لا يفهمك! ماذا إذن، أب يضربك؟ ماذا لديكم جميعاً لتشكوا من والديكم، إذا دققنا جميعاً النظر، سنجد أنهم الآباء المعتادون! لا بد أن تتوقفوا! عند عبارة معينة أصبح (لو) حرقياً شخصاً آخر. أظلمت عيناه وغطاهما حجاب من الغضب، وانتشرت على خديه بقع كبيرة قائمة من الدماء، وأصبح صوته خشناً، أكثر عمقاً، كأنه فجأة كبر أعواماً عدة. تقف جويا بجواره واستطاعت فقط أن ترى جانب وجهه؛ وذلك الجزء الضئيل يكفيها لتفهم في لحظة أن (لو) لم يعد (لو)؛ بل أصبح شخصاً آخر، ومن جهة، شعرت ببعض الفزع، ومن جهة أخرى، شعرت بالذنب البشع لأنها اقتربت من ذلك الموضوع، وفي داخلها شعرت بأن الخطأ كله خطؤها هي، وأنها كان لا بد أن تلتزم الصمت، وأنها إن لم تقل «وأبي أيضاً» لما حدث أي شيء. شعرت برغبة مجنونة في أن تحتضنه، في أن تُشعره بأنها موجودة، بأنها هنا، وأنه حتى إن لم يكن يصدق هذا، فإنها تعرف حق المعرفة بما يشعر، وهكذا حاولت بخجل أن تضع يدها على جنبه، إلا أنه نزعها فجأة بقوة كان وقعها على جويا كوقع اللكمة، ودون أن يقول أي شيء تقدم خطوة أخرى إلى الأمام لبيتعد عنها. كانت جويا تعرف، تعرف جيداً جداً، أنه عندما تهاجم المرء أفكار مثل تلك التي تراود (لو) في هذه اللحظة، فإن كل ما يرغب فيه هو أن يُترك لحاله، إلا أنه في الوقت نفسه يريد على

الأقل ألا يشعر أنه بمفرده؛ لأن المأساة في هذه اللحظة أنه يشعر بأنه وحيد إلى أقصى حد، ويريد أن يتركه الجميع في حاله، إلا أن ما يُشعره بالألم، في الوقت نفسه، هو الشعور بالوحدة، كأن المرء تكون في داخله رياح تعصف بقوة شديدة، ولا تسمح له بالتفكير، بالرؤية، يشعر في داخله برياح عاصفة تحرك الأشياء وتحطمها وتلقي بها في كل اتجاه، وهكذا، مجرد معرفته بأن هناك شيئاً ما يمكنه أن يتشبث به، ربما لا ينهي الرياح، لكنه على الأقل يمنعه من أن ينجرف بعيداً.

تحاول مرة أخرى، لكن يبعدها (لو) من جديد، ويقول لها: من فضلك.

هكذا تتراجع هي خطوتين إلى الوراء، ثم تعود لتجلس.

وجلست جویا هناك، مستندة إلى سور الكنيسة الصغيرة؛ لتتأمل الحجر الذي وضعه بين يديها، وانتظرت أن تعبر عنه هذه الحالة. ومن مكان ما، سمعت همس تونيا تقول لها: من المؤكد أنك حمقاء، أليس كذلك؟

لم تجبها جویا، أومأت فقط بالموافقة، فهمست تونيا من جديد: من الأفضل ألا تستحضري هذا الموضوع مرة أخرى، أيتها القبيحة الغبية!

- فعلاً.

ثم فجأة، كأن شيئاً لم يحدث، رأت (لو) يعود أدراجه ليجلس بجوارها، بابتسامة هادئة مطبوعة على وجهه.

قال لها: إذن؟ هل سنضع تلك الحجارة في الداخل أم لا؟

نظرت إليه جویا وهي تحني رأسها قليلاً إلى الخلف، مندهشة. لم تلتفت نحو تونيا، لكن تعرف تماماً أنها الآن على وجهها التعبير المعتاد الذي يعني: ما هذا!!

ربما هو هكذا. ربما يحتاج فقط إلى خمس دقائق لينفس عما به، ربما يكفي تركه حتى يهدأ ثم يعود كل شيء كما سبق.

- إذن؟ ما معنى هذا التعبير على وجهك؟

- لا، لا شيء.

وفي لحظة، بدا بالفعل كأن شيئاً لم يحدث، وكان هذا شيئاً غريباً جداً، لكنّه جميل أيضاً؛ لأن جويّا فكرت في ثانية أنها دمرت كل شيء، وأن كل شيء انتهى، لكن الآن كل شيء عاد كما سبق، وجعلها ذلك تتنفس، حتى ولو من الداخل، نفساً جميلاً مرتاحاً.

انتهى (لو) في ذلك الوقت من وضع كل الحجارة داخل المرطبان، وبينما كادت جويّا أن تلقي بذلك الذي بين يديها في الحديقة؛ الحجر الذي التقطه منذ قليل، أوقف يدها، وفتحها وأخذها منها. نظر إليها لثانية في عينيها، ابتسم لها، ووضع أيضاً ذلك الحجر مع تلك الأخرى في المرطبان. حجر يذكّره بها، مع كل تلك الأخرى.

إذا كان قد قال لها «أنا معجب بك»، أو «أريد أن تصبحي فتاتي» لما جعل هذا قلبها يدق بالشدة التي يدق بها الآن. - وأنتِ؟ ما قصة العبارة نفسها التي تكتبينها على ذراعك كل يوم؟

27

حدث ذلك في أحد الأيام في الصف الثاني الثانوي.

وفي أثناء الساعة المخصصة للمكتبة في المدرسة، أخذت جويّا من رف الشعراء الألمان كتاباً، انتقته عشوائياً، دون حتى أن تقرأ عنوانه، وعندئذٍ قرأت بيت الشعر هذا، وأدركت على الفور أنه

سيكون بيتها المفضل إلى الأبد؛ لأنه لا يمكن ترجمته، ولأن بين كل الكلمات التي لا يمكن ترجمتها؛ ذلك البيت هو ما يصف بالتحديد ما تشعر به، دائماً، كل يوم.

Wenn ein Glückliches fällt

وكان البيت الأخير من قصيدة لراينر ماريا ريكلمه، التي يمكن ترجمة جزئها الأخير، تقريباً هكذا:
ونحن نفكر في السعادة كشيء متصاعد
نشعر بلمستها

التي تكاد تجتاحنا

عندما يسقط الشيء سعيداً

يمكن ترجمة تلك الكلمات عندما يسقط الشيء سعيداً، أو عندما تكون السعادة شيئاً يسقط، لكن لا يمكن ذلك؛ فبيت الشعر يعني أكثر من ذلك بكثير، إذ لا يمكن ترجمته ببعض الكلمات. بالنسبة إلى جوياء، فلأن هذا البيت يتحدث عن جمال الأشياء الساقطة، عن جمال الأشياء التي لا يريدها أحد؛ فقد صار على الفور بيتها المفضل. لأن تلك الكلمات الأربع لريكله تحكي عن الحرارة التي تنبعث مما لا نراه، مما لا نضعه في الاعتبار، مما يبدو لنا بلا نفع، بالنسبة لجوياء، يكمن الجزء الأكبر من جمال العالم في ذلك، في الأشياء غير النافعة، في الأشياء التي تسقط، في الأشياء التي يلقي بها الجميع بعيداً.

28

ولماذا تكتبينه إذن كل يوم؟ أريد أن أقول، يا (شيء)، لا أعرف إذا كنت تعرفين عن الاختراع الذي يُدعى (وشم).

نظرت جوياء إلى (لو) وابتسمت ساخرة، ثم قالت له: «هل تعلم؟ أنت أول مَنْ يقول لي هذا الشيء».

- حقاً؟

- لا، أنت تقريباً المليون.

ابتلع (لو) السخرية، وابتسم وهو ينظر إلى أسفل، ثم استمر: لماذا إذن؟

- إن الأوشام تضعها مرة واحدة ثم تبقى هناك، وبعد فترة تنساها... تراها، لكن لا تنظر إليها، أما بالنسبة إلى الأشياء المهمة بالفعل...

توقفت جوياء، كأنها تبحث عن الكلمات على الأرض، في أطراف العشب أسفل حذاءيها.

- الأشياء المهمة؟

- لا أعلم، لكن لا بد من التشبث بالأشياء المهمة، ونجته في تذكراها كل يوم.

29

- آنسة سبادا، هل تسمحين بأن تكتبي ملحوظاتك، أم تفضلين الاستمرار في نقش أشكال بلا فائدة ولا معنى في دفترك؟

أعاد صوت أستاذ العلوم للحظة جوياء إلى الواقع في الساعة 9:37 صباحاً؛ فهي دون أن تدرك، وفي أثناء شرحه للجهاز المناعي وتنوع أمراض الإحباط المناعي، بدأت ترسم في دفترها سلسلة من (لو) بأكثر من شكل، ثلاثي الأبعاد، وثنائي الأبعاد، ممتلئ ومُفرغ. واحد منها كتبته فوق شيء يشبه الحجر، وآخر كتبته بالكامل: لورينزو.

هي فعلاً! جوياء سبادا، ترسم اسم فتى.

حتى أسبوع مضى، كانت الأسماء المذكورة الوحيدة التي رسمتها على دفاترها التي تجمع فيها الملاحظات، هي ديفيد جيلمور⁽¹⁶⁾، وروجر ووترز⁽¹⁷⁾. في الواقع، شعرت ببعض الخجل من نفسها.

لكن ربما لم يكن البدء هكذا، بتخطيط أفكارها في أثناء درس أمراض الإحباط المناعي فكرة عظيمة؛ ففي ذلك الوقت أدرك أحدهم أنها هي، مايوناجويا سبادا شخصياً، ترسم وهي منهمكة تماماً وتكرر الحرفين نفسيهما، وفي إحدى المرات، رسمت حولهما أيضاً إطاراً من الدوائر الصغيرة، التي تبدو عند رؤيتها من بعيد كأنها قلوب صغيرة. وعندما أدرك أحدهم ذلك الذي يحدث، في الواقع، وصل الخبر بالفعل إلى أقصى مكان في الفصل. رفعت عينها، واستدارت بحرص، ورأت جيداً جداً أن وجوه زملائها، خصوصاً زميلاتهن، بها شيء غريب، شيء كالابتسامة. جوليا باتاً كانت أكثرهم ابتساماً، وأخذت تنظر أكثر تجاهها.

وكادت أن تراهن بالبوستر الأصلي لألبوم The Wall المعلق في غرفتها أنهم كلهم الآن يعلقون على تلك النميمة المسلية جداً: «يا إلهي مايوناجويا تحب أحدهم!»، أو تكاد تسمعهن، في حمام البنات، وهن يقلن أشياء مثل: «ربما النسخة المذكورة منها!» أو «ربما يكون مدمن مخدرات!»، أو «من يدري إذا كان هو يدري!» أو «إذن فهي فتاة طبعية!».

لم تكن قط فتاة عنيفة، لكن فكرت في تلك اللحظة أن تطفئ بكل سرور، بلجمات من ممسحة السبورة المتسخة بالطباشير في وجوههم، تلك الابتسامة المطبوعة عليها.

(16) David Gilmour : عازف جيتار إنجليزي، وكان عضواً في فريق بينك فلويد.

(17) Roger Waters : مؤلف أغان، ومغّن ومُلحن، شارك في تأسيس فريق بينك فلويد.

لم تكن نطقتها منذ أيام، لكن كان الموقف كله ينتزع منها بكل تلقائية، لعنتها المفضلة: «كوكب قذر».

30

حتى الفسحة كن طبيبات، ففكرت جويا تقريباً في أنهن سيتركن الأمر برمته.

كادت تقنع نفسها بأنهن في نهاية الأمر قادرات أيضاً على الاهتمام بشؤونهن الخاصة، وأنهن ربما لسن بهذا السوء، ولا شيء يستدعي كل هذا الخوف.

ثم في أثناء الفسحة، وبينما تسير لتجلس في زاويتها المفضلة بجوار الجدار حيث تذهب دائماً، مرت بجوار مجموعة منهن، تقف باتاً في وسطها. لم يفعلن كثيراً: أخذن فقط يضحكن بصوت منخفض، وبدا لها أيضاً أنها سمعت إحداهن تحاول إسكاتهن. وهنا أدركت أن الأمر لن يكون بهذه السهولة، وأنها هي التي يجب عليها أن تحتس لما يحدث خلفها.

وعندما عادت إلى الفصل، تأكدت من ذلك: على دفتها، وأسفل تصميم (لو) الجميل ثلاثي الأبعاد بالنجوم والدوائر الصغيرة، كان مكتوباً باللون الأحمر:

- هل اسمه إذن لورينزو، عشيقك المتخيل؟

لم يكن الشيء السيئ هو المكتوب، لكن وجه الزملاء عند عودتها. جميعهم، حتى أولئك الذين في الأحوال العادية يتعاملون بحيادية، وتركوها دائماً في حال سبيلها، حتى أولئك الذين يدعونها باسمها، أو لا يدعونها على الإطلاق، كانوا جميعاً بتلك الابتسامة المكتومة، وتلك النظرات المتآمرة، والإشارات المتفق عليها. شيء عجيب، كيف يتغير الأشخاص فجأة بمجرد الاتفاق على أن يقفوا

جميعاً ضد واحد؟! يصبحون متماسكين، كجسد واحد. حتى زميلاتهما، أولئك اللاتي، حتى لحظة مضت، اهتممن بشؤونهن، بمجرد أن عثرن على عدو مشترك، تغيرت وجوههن على الفور، ارتدين زياً، وأصبحن تماماً كالباقين.

شيء عجيب، كيف لا يشعر أحد بأدنى قدر من الانزعاج عند التدخل في أمور الآخرين، هذا ما لا تستطيع جويا استيعابه، كأنه قد أصبح حقاً شرعياً تماماً للجميع أن يتحدثوا أو أن يمزحوا أو يكتبوا على دفترها: هل اسمه إذن لورينزو، عشيقك؟

هناك كلمة صينية تعبر عن ذلك الذي لا يستطيع زملاؤها عمله، عبارة تثير جنون جويا لأنها من ثلاثة حروف، إلا أنها عظيمة جداً؛ ومعناها: أن تضع الآخر في قلبك. بالنسبة إلى جويا، تحب كثيراً هذه الكلمة التي تعلمت أيضاً أن ترسم حروفها:

恕

في الكتاب؛ حيث عثرت عليها، كان نص من الفلسفة الشرقية أعاره لها بوفه منذ شهرين، وكان أيضاً يشرح أنه بالنسبة إلى الصينيين، من المستحيل التفكير في (أنا) بلا (أنت)، فبالنسبة إليهم الـ(أنا) يمكن تعريفها فقط بفضل (أنت)؛ ولهذا تعني هذه الكلمة ضرورة أن يستحضر المرء دائماً مشاعر الآخرين، وألا ينساها أبداً، وألا يطأها أبداً، لكن جويا ترى حولها، الصبية المحيطين بها، لا يفعلون شيئاً طوال الوقت سوى التفكير فقط في الـ(أنا)، كأنه لا وجود لأي (أنت).

حولها لم تكن ترى سوى صبية، وأيضاً ناضجين، ليست لديهم أي فكرة عما تعنيه كلمة (شو) الصينية.

31

- إذن يا آنسة سبادا، ماذا تريدان أن تسأليني اليوم؟
- اليوم، لا شيء يا أستاذ.
- ممم، متأكدة؟ يبدو لي أنني أرى في نظرتك لمحة حزن.
- ليست لديّ أسئلة فلسفية، يا أستاذ.
- إن الأسئلة كلها فلسفية يا آنسة، حتى اختيار البيتزا اختيار فلسفي!

- إذن، يبدو أنني اليوم ليست لديّ أسئلة، آسفة.
- فتاة في سنك بلا أسئلة مثل السماء بلا نجوم يا آنسة!
- صبراً يا أستاذ، فالسماوات أيضاً تكون بلا نجوم أحياناً!
- إن السماوات يمكن أن تكسوها السحب أو تصبح خالية منها،
لكنها لا يمكن أن تكون بلا نجوم. يبدو أنك في لحظة ملبدة بالسحب.

- أوكي، إذن لديّ سؤال.
- تحت أمرك يا آنسة.
- ماذا يمكنني أن أفعل ليتوقفوا؟
- معذرة؟

- تعرف حضرتك أيضاً الاسم الذي يطلقونه عليّ، وتعلم أنهم يتسلون بمعاملتي على أنني نوع من الأمراض المعدية. وحتى الآن تجاهلت هذا الشيء، ربما اعتدته بعض الشيء، ليس كثيراً، لكنني اعتدته، إلا أنه توجد بعض المرات التي فيها لا أفهم كيف يمكنهم أن...

- أن؟

- أن يستمتعوا بعمل هذا. وليس فقط معي. أرى أنني لست الوحيدة، وأنهم أيضاً يضايقون السمينات، والمجتهدين في دروسهم،

وكل من يبدو لهم غريباً بعض الشيء. وهناك أيام، مثل اليوم، فيها أتساءل: ماذا يمكنني أن أفعل لأوقفهم؟

- لديّ خبر سيئ لك يا آنسة سبادا. أولئك الذين تتحدثين عنهم لا يتوقفون أبداً.
- آه، كنت أعرف.

- وحتى إذا توقفوا معك، من المؤكد أنهم سيتفرغون لشخص آخر؛ لأنهم يحتاجون إلى ذلك ليقبهم من الغرق، بأن يضعوا الآخرين أسفلهم.

- تماماً! إنه بالتحديد ما أفكر فيه أنا و...
- لكن، إذا أردت أن يتوقفوا على الأقل معك، ليس لديك سوى طريقين: الأول أن تصبّحي مثلهم، وأن تختلطي بهم، وأن تفعل ما يفعلونه، وهكذا لا يشعرون بأنك كائن غريب عنهم، لكن إذا كنت أعرفك، حتى ولو بعض الشيء، أعلم أنك لن تتخذي هذا الطريق أبداً.
- وماذا عن الطريق الآخر؟

- الطريق الآخر أصعب قليلاً، ويتطلب مثابرة ورغبة في المغامرة والمخاطرة.

- في كل الأحوال، لا أعتقد أن الأمور يمكن أن تسوء أكثر مما هي عليه. إذن؟

- إذا لم تستطعي أن تكوني مثلهم، حاولي أن تكوني أفضل منهم.
- ماذا؟

- إذا كانوا هم دائماً يحاولون الإلقاء بك في الأسفل ليقوا على السطح، حاولي أنت أن تصعدي إلى أعلى؛ فلا يمكنهم الوصول إليك. في أثناء محاولتهم، سيضاعفون مجهودهم، وسيشعرون دائماً بثقلهم، لكنك عندما ستكونين في أعلى ستزين كيف أنهم، رويداً رويداً، سيضطرون إلى تركك في حال سبيلك.

- أجل، كل هذا جميل، لكن بشكل ملموس، ماذا يجب عليّ أن أفعل يا بروفيسور؟
- هذا شيء يمكنك أنتِ فقط معرفته. اختاري شيئاً تنافسينهم به، فيه تستطيعين أن تظهري للجميع قيمتك، ثم افعليه، ألقِي بنفسك فيه. ستجعلينهم يخرسون وأنوفهم في أسفل عندما يرونكِ تصبحين شيئاً لن يصبحوه أبداً.

32

- حسناً يا (شيء)، أنا أعتقد أنكِ غبية بعض الشيء.
- هذا شيء أعرفه، لكن لماذا؟
- صورك، ألا ترين؟
جويا و(لو) أسفل شرفة المشرب. في هذه المرة، لا يمكنها هي أن تمكث كثيراً؛ فقد طلبت منها أمها أن تعود إلى المنزل في التاسعة والنصف، عن طريق ورقة ألصقتها على المبرد. وعندما تفعل هذا، فهناك شيء من اثنين: إما لأنها تريد أن تبدو الأم، التي تعرف أيضاً أن تأمر وأن تُحترم، أو لأنها لا بد أن تتحدث معها. وكانت جويا تخشى الفرضية الثانية.
حكّت لـ(لو) ما حدث مع الأستاذ بوفه، وعن طقسهما الغريب أن يتوقفا ليتحدثا في الفسحة، وما قاله لها هذا الصباح.
- صورك، إنها الشيء الذي يتحدث عنه الأستاذ!
- أجل، لكنه يقول إنني يجب أن أستخدم هذا الشيء لأتفوق؛ لأن أريهم أنني أفضل منهم. ماذا أفعل؟ أفرش المدرسة بتلك الصور، وهكذا أتسبب لنفسِي بشكوى رسمية؟
يلقي (لو) وهو جالس سهماً تجاه الهدف، ويصل السهم مباشرةً إلى رقم 60.

- يمكنك أن ترسلها إلى قاعة عروض، أو إلى معرض ما، أو مسابقة ما.
عند سماع كلمة (مسابقة) أنار ضوء على وجهه جويًا.
سأل (لو): هل كانت فكرتي صائبة؟
- لا أعلم، إلا أنه في المدرسة، ستكون هناك قريباً مسابقة أسبوع
«ضع نفسك في الإطار».
- آه، جميل! وما هذا الشيء؟
- عملياً، يمكن للطلبة أن يعلقوا لمدة أسبوع في ردهات المدرسة
الرسوم أو الصور المؤطرة، وفي النهاية، يختار أساتذة الفن الأجمل
في الفئات المتنوعة، ويمنحونها جوائز.
- واو! رائع، أليس كذلك؟ وما الجائزة؟
- ليست لديّ أدنى فكرة، أعتقد أنها كتبٌ، أو أدوات مدرسة،
شيء من هذا القبيل، لكن ليس هذا هو الموضوع، الجائزة ليست
مهمة. يمكنني أن أفعل هذا فقط لأثبت مَنْ أنا لـ (باتّا) ومثيلاتها.
نظرت جويًا إلى الساعة، لا تزال أمامها خمس دقائق.
- إذن ستشاركين؟
- لا أعلم؛ حيث إنني لا بد أن أكبرّ إحدى صوري الجيدة، ثم
أضعها في إطار، ولا أعتقد أن لديّ النقود لذلك.
- حسناً! يمكنني أنا أن أعطيها لك!
- انطفأ بسرعة النور الذي أضاء منذ برهة وجه جويًا، وانخفضت
نظرتها، ونظرت إلى أسفل، كأنه قال لها شيئاً سيئاً جداً، وكأنه
أهانها. وحتى إن لم يفعل ذلك، إلا أن هذا ما شعرت به آنذاك.
- يا (شيء)؟ هل أنت هنا؟
- دعك من هذا، لا يهم.
- اسمعي، سيكون المبلغ قرضاً! هل تعتقدين أنني أريد أن
أهد...

- لا يهم، فعلاً. الآن سأذهب، معذرة.
نهضت جويًا لترحل، دون حتى أن تحضنه. في العادة الآن كانا يتبادلان الأحضان عندما يتبادلان التحية.
نظر إليها (لو) وهي تسير في الطريق برأس منخفض، وصاح: هيه. لكن جويًا لم تلتفت. وهكذا نظر (لو) قليلاً حوله، ثم تجاوز درجات شرفة المشرب، ولحق بها: هل يمكنني أن أصحبك إلى المنزل؟

33

طوال الرحلة، طوال الطريق حتى منزلها سارا في صمت. لم ينطق أي منهما بكلمة.
المرّة الأولى التي يصحبها إلى المنزل وهي تفسدها هكذا.
كل تلك القصة لبوفه حول أننا في أنفسنا لا يوجد صوت واحد، لكن جوقة بأكملها مليئة بالأصوات، التي يغني كلٌ منها بمفرده، تظهر بوضوح الآن أمام جويًا بكل واقعها الذي لا يمكن تغييره. يوجد في داخلها صوت سعيد بأنه هنا، إلا أنها لا تستطيع أن تُظهره له؛ لأن هناك صوتاً قوياً غاضباً معه؛ لأنه عرض عليها أن يقرضها النقود، نظراً إلى أن جويًا لديها، وسط المليون عيب، تلك الكبرياء الغبية التي ترفض الخدمات، خصوصاً فيما يتعلق بالنقود، ثم، بالإضافة إلى ذلك، يوجد أيضاً صوت يقول لها إنه من الغباء أن نشعر بالإهانة؛ لأن أحدهم أراد مساعدتنا، وإنها لا بد أن تعتذر له؛ لأنها أجابته بطريقة سيئة كما فعلت. المشكلة أن الأصوات كثيرة جداً، وجميعها تتحدث في الوقت نفسه، حتى إن جويًا في النهاية تقرر ألا تفعل شيئاً، وتستمر في السير بذلك التعبير الغاضب، دون حتى أن تدري لماذا.

أجل، هناك بالتأكيد أصوات أكثر مما ينبغي في داخل كل منا.
- إيه.

يقول هو، وهو يسير خلفها، ولا توجيه جويًا.
يصرّ هو: اسمعي! هل يمكن أن تتوقفي؟
- ماذا حدث؟

تتوقف جويًا، وتلتفت، وتجد (لو) يقف أمامها تمامًا، وهو يقدم إليها زهرة مارجريت صغيرة. حتى إن كانوا لا يزالون في شهر فبراير، فإن بعضها برز بين العشب هنا وهناك، لتظهر تلك البقع البيضاء والصفراء. لا بد أنه قطفها لجعلها تبتسم بعض الشيء؛ وليضع الأمور في نصابها، إلا أن جويًا رأت الزهرة الصغيرة، ونظرت إلى (لو) لثانية في عينيه، وأصبحت أكثر قتامة.

- ماذا، يا (شيء)، ألا تعجبك؟
- يجب أن تعرف أن من الأشياء التي أكرهها كثيرًا قطف الزهور.

- أوه، إذن، عليّ أن أفهم أنني ارتكبت خطأ صغيرًا، أليس كذلك؟
قالت له، وهي تلتفت وتبدأ في السير من جديد: لا يهم.
قالت له هذا، على الرغم من أن الأمر يهمها؛ لأن الزهور تكون جميلة مطمئنة، تعيش حياتها الخاصة، ثم فجأة، يمر الرجال من هناك، ويفكرون أنه يمكن نزعها من مكانها؛ لأنهم يرغبون في أن تسامحهم زوجاتهم على شيء ما، أو أن يقدموها كهدية صغيرة، لصالحهم، إلا أنهم في الوقت نفسه قطفوا الزهرة، وتلك الزهرة؛ بسببهم، ستموت بعد قليل.

تكره جويًا سبادة من يقطف الزهور؛ لأنها تكره ذلك الشيء، أن الناس أحيانًا يرتكبون الشر دون حتى أن يدركوا الأمر.
على كل، كلما أراد (لو) أن يصلح الأمور، كانت تزداد سوءًا.

- هل هناك طريقة يمكنني بها أن أحصل على الصفح؟
يقول (لو) وهو يلحق بها. الآن، وقد أصبحا عند منزلها، تضع
جويًا قدمًا على أحد السلام، تلتفت قليلاً، وحتى إن كان كل ما
تريده أن تذهب نحوه وتحضنه، تقول له، قبل أن تفتح الباب،
وتختفي في الداخل: اهدأ، الآن لا بد أن أذهب. أشكرك على اصطحابي.

34

- حسناً، قرّرت أن تعودني في النهاية يا جروتي!
كان كل ذلك التدليل الزائد مثيراً للشكوك؛ إذ لم تكن قط عذبة
معها بلا سبب. وفي الواقع هناك، يجلس في المطبخ، كان الأب
مبتسماً وهو يمزج رقائق السبرينج رولز الجاهزة.

قال هو، وهو يحرك لها المقعد: اجلسي، تعالي!
وهمست أمها وهي تمر أمامها وتدخل إلى المطبخ لتفتح علبة
كرتون صغيرة، مليئة، ربما، بمعكرونة إسباغيتي أو شيء صيني آخر:
لقد ابتعنا عشاءً لكِ أنتِ أيضاً.

- لست جائعة، شكراً.

- متأكدة؟ انظري كم هي شهية!

قال لها أبوها وفمه مليء بالخضراوات والرقائق المقلية.
لم يكن هناك داعٍ لأن يشرحا لها ما هما على وشك شرحه؛ فقد
فهمت جويًا بالفعل.

- يا جروتي، استطاع أبوك أن يعثر على عمل!

قالت أمها بصوت منتصر.

أجابت جويًا بلا أي حماس: واو!

- أجل، سيعمل في مصنع قريب من هنا! ألسنتِ مسرورة يا

جروتي؟

- عقد ثلاثة أشهر ثم سزى. لحسن الحظ توجد شركات للوظائف المؤقتة! قال هو، وهو ينظف ذقنه من خيوط صلصة الحامض الحلو. فجأة، ظهر جاكو؛ القط الشبح، من فوق المبرد، وهو يلقي نظرة جائعة إلى المائدة.

قالت جوييا وهي تتنهد: هل هذا فقط ما يجب أن نقوله لي؟ - لا يا جروي، لكنّ هناك شيئاً آخر... نظراً إلى أن المصنع قريب من هنا جداً، ونظراً إلى أنه في الوقت الحالي لا يوجد حل آخر، في الواقع، سيمكث أبوك معنا فترة أخرى.

كانت هي تعرف أنهما سيصلان إلى هذا الموضوع. إنه مشهد شاهدته على الأقل خمس أو ست مرات سابقة، منذ أن انفصلا. كانت الترجمة الدقيقة لعبارة أمها في الواقع هي: في الواقع لسنا بهذا السوء معاً، وقد قررنا أن نحاول من جديد!

ألقت جوييا من جديد نظرة إلى جاكو؛ القط الشبح، فوق المبرد، وهي تدعو السماء أن يهجم في أسرع وقت على طعامهما ويلقي بكل شيء أرضاً، ثم أومأت وهي تضم شفيتها، كأنها تقول: أوكي، فهمت. ونهضت وخرجت من المطبخ.

- حسناً، لكن إلى أين أنتِ ذاهبة الآن؟ قال أبوها، لكنها كانت بالفعل في الغرفة الصغيرة لجدها.

35

- أعلم، أعلم، اليوم لم أمكث معكِ ولا حتى خمس دقائق، أنا أسفة جداً يا جيماً.

- ججههه! ججههه!

- في الواقع، لم يكن يوماً جيداً اليوم، ولم أكن أرغب في أن آتي إلى هنا وأحضر إليك تعاساتي، هل تفهمين؟

- جهههه! جهههه!

- معك حق، لم أكن أرغب في أن أشعر باليأس بهذه الطريقة، لكن هل تعلمين؟ أحياناً أنا أيضاً أحتاج إلى أن أشعر باليأس، لا أدري كيف أشرح لك هذا، لكن هذا يفيدني. أسقط قليلاً إلى أسفل؛ لأنني هكذا أشعر بالرغبة في أن أنهض من جديد. هل تفهمينني؟
- جهههه! جهههه!

- أعلم أنه تفكير غبي.

وضعت جويًا في أذنيّ جدتها السامعتين بأغاني الأوبرا المفضلة لديها، ربتت برفق على وجنتها ثم ذهبت إلى غرفتها. نزعَت ملابسها وارتدت ملابس النوم، وألقت بنفسها خلف الأغطية. وهي تنظر إلى السقف، خطر في بالها أنها ربما بالغت بعض الشيء في تقييم علاقتها مع (لو). كل هذا من خيالها اللعين النشط، أو ربما من الأفضل استخدام الكلمة بالإيديش، الخطأ كله لأنها luftmensch «شخص يحلم بعينين مفتوحتين باستمرار». ربما رأت في (لو) شيئاً أكبر مما هو عليه بالفعل، تعرف أنه أحرق بعض الشيء، وبيالغ، لكن في الوقت نفسه لا تستطيع أن تمنع نفسها من أن تفكر في الوردة المقطوفة، وكلما زاد تفكيرها، بدا لها التصرف الأكثر تفاهة في العالم تصرفاً كان يمكن لأي فتى أن يقوم به في تلك اللحظة، ويمكن للجميع عمله، لكن ليس (لو)، أو على الأقل ليس (لو) كما تراه هي، وهكذا فكرت أن الصورة التي رسمتها هي عنه ربما لا تتوافق على الإطلاق مع (لو) الحقيقي والفعلي، و...
- توقفي!

سمعت صوت تونيا يصل من أسفل. كانت مستلقية فوق البلاط بجوار فراشها.
- كيف؟

- توقفي عن هذا الهراء.

- لماذا؟

مكثت تونيا هناك مستلقية بجوارها، ويدها خلف رأسها، وهي تنظر إلى السقف وتتحدث في الوقت نفسه.

- هذا الأمر التافه الخاص بزهرة مارجريت الصغيرة لا دخل له. وحكاية الصورة لا دخل لها. ولا حتى القصة التي تؤلفينها الآن الخاصة بالوهم، وما إلى ذلك، لا دخل لها. وأنتِ تعلمين.
- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنكِ تشعرين بخوف بشع من هذه المسابقة، تخافين من الاشتراك في اللعبة، من حكم الناس، أنتِ تعرفين في داخلكِ أن كل هذه الفوضى والطريقة السيئة، التي عاملتِ بها هذا الفتى المسكين ليس لها إلا سبب واحد: أنتِ خائفة!

اقتربت جويًا من حافة الفراش وحدقت في عيني تونيا دون أن تقول أي شيء. وقالت لها هي: إلى ماذا تنظرين؟ أنتِ تعرفين أنني على حق.

دارت جويًا إلى الناحية الأخرى، وأغلقت عينيها، وحاولت أن تنام، لكن كورال الأصوات في رأسها لم يسمح لها بذلك، لفترة طويلة جدًا، ثم دون أن تدري، نامت، وغرقت في سبات عميق تام، بلا أحلام.

في الصباح، في الساعة تمامًا، فُتحت عيناها وحدهما، بلا حاجة إلى المنبه. نهضت وارتدت الجينز، وفتحت نافذة غرفتها لتسمح بدخول كل الهواء الممكن إلى رئتيها، ثم وضعت يدها فوق حافة النافذة لتستنشق مزيداً من الهواء، وهنا عند طرف أصابعها شعرت بشيء ما: نظرت إلى أسفل ورأت حجراً.
أخذته بين يديها ونظرت إليه عن قرب.

أجل، لا يوجد أي شك، كان حجر (لو)، الذي أحضره من الشاطئ القريب من دبلن.

نظرت جويًا حولها، وتساءلت كيف يمكن أن يكون قد وصل إلى هنا؛ لأنه يوجد بالفعل إفريز أسفل النافذة يمكن لأحدهم، إذا كان يريد المخاطرة بالسقوط، أن يسير فوقه، ولكن كيف وصل إلى الإفريز؟ - «الشجرة الموجودة في زاوية المبنى». قالت لها تونيا، التي كانت في ذلك الوقت قد اقتربت هي الأخرى من حافة النافذة. - إذن؛ فقد تسلق الشجرة، ثم صعد على الإفريز، وسار نحو عشرة أمتار معلقاً، فقط ليضع لي حجراً على النافذة؟

قالت لها تونيا: من واحد إلى عشرة، كم تعطين لغبائك الآن؟ أسفل الحجر كانت توجد ورقة صغيرة.

« حاولت أن زهرة المارجريت أزرعها من جديد، ربما نجت، لكن في الوقت الحالي أهدي إليك هذا، وهكذا إذا شعرت بالحزن يمكنك دائماً أن تفكري في وجود شيء جميل في العالم اسمه إيرلندا، وستتحسن حالتك في الحال. ملحوظة: مساء اليوم في المشرب؟».

أخذت جويًا الحجر الصغير، ووضعتَه على الفور داخل جيب الجينز، وأعدت قراءة الرسالة على الأقل عشر مرات، وفي كل مرة من تلك المرات العشر كانت تشعر بأنها غبية جداً جداً.

36

- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة في هذا الجو؟

- اهدي يا ماما، معي المظلة هذه المرة.

قالت جويًا في طريقها للخروج، مع أصوات الرعود، التي تضيء السماء من بعيد، والقطرات الأولى للأمطار، التي تضرب فوق أغطية فتحات المجاري.

كانت الساعة التاسعة و10 دقائق تقريباً، ولم تكن تعرف إذا كانت ستجده في هذه العاصفة، التي على وشك الهبوب، لكن أرادت أن تذهب على الرغم من ذلك؛ لتعذر؛ لتحضنه؛ لتقول له إنها كانت غبية.

وفي الطريق، زادت قطرات المطر أكثر، حتى أصبحت في لحظة سيلاً حقيقياً، وبينما كانت تسرع الخطى وهي تقريباً تجري، شعرت جويًا بالمياه وهي تبل شفيتها وشعرها وتهاجمها من الأمام، وكانت تحب هذا، كانت تحبه كثيراً إلى حد أنها أقفلت المظلة، وبدأت تجري من دونها، شعرت بأنها مبللة تماماً بالمياه وخفيفة؛ ولسبب ما، لا تعرف ما هو، شعرت بأن الطريق إلى المشرب كان أطول من المعتاد.

صرخت فيها تونيا وهي تجري بجوارها: أنتِ بالتأكيد غبية لتأخذيني أنا أيضاً معكِ في هذا السيل!

- أليس شيئاً رائعاً؟! ألا تشعرين بشعور جميل؟

- آه، بالتأكيد، لا أعرف إذا كان هذا أفضل أم الحقنة الشرجية!

عندما وصلتا أمام المشرب، لم يكن هو موجوداً، لكن، فقط شخص مجنون سيخرج إلى الشارع في مثل هذا الجو.

قالت لها تونيا وهي منقطعة الأنفاس: هل أحضرتني إلى هنا لأشياء!

ذهبت جويًا عندئذٍ لتلتقط أنفاسها أسفل الشرفة. هزت رأسها بعض الشيء لتحرر شعرها من المياه، كما تفعل الكلاب، وعندما رفعت رأسها من جديد، كان هو هناك، أمامها، ظهر فجأة تقريباً كما يفعل جاكو؛ القط الشبح، أحياناً في المنزل.

- أهلاً يا (شيء). قال.

لم تحبه جويًا، بل سارت نحوه وتقريباً وهي تجري اندفعت نحوه واحتضنته بقوة، وشعرت بأن ملابسه أيضاً كانت مبتلة

تماماً، حتى إنه يمكن سماع صوتها كأنها إسفنج الماء، الذي يخرج من الأنسجة المتهللة، وكان الجو بارداً، لكنها لم تشعر بهذا، ولم يقل لها هو أي شيء، ثم انفصلا من العناق، وأخذ كل منهما ينظر إلى عيني الآخر، بشعرها الذي كانت المياها تتقاطر منه ويحجب عنها الرؤية بعض الشيء، وفي ذلك الوقت، استمرا في النظر كل منهما إلى الآخر في وسط صخب السيول، التي كانت تسقط من سقف الشرفة؛ صخب قوي جداً، حتى إنه إذا تحدث أحدهم الآن لن يفهم أي شيء. وهكذا، لم يفعلوا شيئاً سوى تبادل النظرات، وكانت لدى جوياء كلمة لهذا الوضع: manihlapinatapai. كلمة طويلة جداً لشعب أرض النار، عثرت عليها يوماً ما في مجلة الكلمات المتقاطعة؛ وتعني «أن ينظر شخصان إلى بعضهما، وتكون لديهما رغبة في أن يقبل أحدهما الآخر، لكن لا يملك أيّاً منهما الشجاعة الكافية ليخطو الخطوة الأولى». لا تعرف جوياء إذا كان (لو) يفكر أيضاً بالطريقة نفسها، وتمنت بكل قوتها أن يفعل هو شيئاً ما؛ لأنها كانت متأكدة أنها لن تفعل شيئاً، ولن تستطيع سوى الاستمرار في النظر إليه، حتى حدث ذلك في لحظة، أخذ هو وجهها بين يديه، وقرب شفثيه من جوياء وقبّلها، وكانت يداها هي ترتعشان، ليس من البرد، لكنها كانت تشعر كأن أحدهم خفض بالتدريج صوت الأمطار فوق السقف، وكأنها بدأت تنخفض رويداً رويداً؛ ليسود الصمت التام، ولا يتبقى سوى صوت أنفاسهما التي تتداخل، بينما تتزحلق شفاههما المبللة بالأمطار في قبلة، كان تأثيرها على تلك الشفاه يشبه ما فعلته الأمطار على تلك الأرض، هناك في الخارج.

كان شيئاً كالتلاشي؛ التلاشي والوجود المتزايد في الوقت نفسه. كأن المرء غير موجود، وموجود أكثر من أي وقت سابق.

مر بعض الوقت، لا تعرف مقداره، ربما كان وقتاً طويلاً، ربما أيضاً وجيزاً، ثم قال هو: كانت هذه هي قبلتك الأولى، أليس كذلك؟

لم تكن جويًا تتوقع على الإطلاق سؤالاً كهذا. أكانت بهذا السوء؟ هل أخطأت في شيء؟ أجابت: أجل. وهي تنتظر إجابة من نوع: «آه»، أو ربما «شعرت بهذا»، ثم نظر هو إليها في عينيها، ابتسم وقال: وأنا أيضاً.

37

- هل يمكنني أن أسألك سؤالاً يا حلوة؟
- تونيا، حتى إذا قلت لك لا...
- بـم شعرتِ؟
- ماذا؟
- أجل، بينما يقبل أحدهما الآخر، لماذا شعرتِ؟
- لنـ. هل تتذكرين كيف يبدأ عزف الجيتار في أغنية Fix You، لفريق Coldplay؟
- ماذا؟

- لا؟ إذن لنـ... هل تتذكرين ذلك المشهد في فيلم «الجمال الأمريكي»، مشهد الحقيبة البلاستيكية، عندما يتحدث هو عن الجمال؟

- هل يمكنكِ يا حلوة استخدام أمثلة أبسط؟
- لكن لا، اسمعيني! كان شيئاً كأنني كنت أنا الحقيبة البلاستيكية؛ شيئاً كأنني قد أُلقيت في وسط الرياح، ثم بدأت التحرك في وسطها، ثم تحولت تلك الحركات كأنني أرقص في

داخلها. هل تفهمين؟

- ربما.

- أي أن الرياح كانت هي ما تجعلني أرقص، كان هو يفعل كل شيء، لكن في النهاية كنت أنا من يرقص.

- حسناً.

- هل لديك تعليقات بخلاف (ربما) و(حسناً)؟

- لا يا حلوة، ليس لديّ سوى هذه. لا أعتقد أنه أروع شيء في الحياة أن يشعر المرء بأنه حقيقية بلاستيكية.

- تونيا؟

- قولي لي.

- إنه شعور جميل جداً أن يشعر المرء بأنه حقيقية بلاستيكية.

38

الجميع يستهلك صفحات وصفحات، روايات كاملة ليحي عن اللحظة السحرية، التي يتبادل فيها هو وهي قبلتهما الأولى، بكل ما يحيط ذلك من أشياء وأجواء ممكنة - لحظات غروب، شواطئ ذهبية، الثلج المتساقط، إلخ - لكن لا أحد قط استطاع أن يشرح جيداً ما اللحظة التي لا تتكرر، العجيبة، التي يمكن وصفها: عندما يعود المرء إلى بيته. الرحلة والطريق الذي تقطعه. القدمان اللتان لا تلمسان الأرض، والقلب الذي لا يتوقف مطلقاً.

لأنه عندما تحدث تلك الأشياء لمن يحلم بها حياته كلها، ولمن يبكي في أثناء الأفلام الرومانسية، ولمن لم ينتظروا شيئاً منذ طفولتهم سوى أن يعيشوا قصة رومانسية، يكون كل شيء جميلاً جداً مؤثراً بشدة، لكن عندما تحدث تلك الأشياء لفتاة في السابعة عشرة من عمرها، وُلدت العام 1999، وتسمع فريق بينك فلويد وموسيقى

التسعينيات، لمن لم ترتد تنورة مرة واحدة في حياتها، ولم تضع قط مساحيق على وجهها، وتفضّل فيلم Fight club على فيلم Twilight، لن تكون كلمة «مؤثر» هي الكلمة الصحيحة.

فما حدث يقلبك مثل الجورب، ينزع الأمعاء ويضعها مرة أخرى بطريقة عشوائية، يلقي أرضاً بكل اليقينيات والمعتقدات ككرة هدم البنايات؛ تلك هي الكلمات الصحيحة.

على سبيل المثال، جويًا تسير، لكنها لا تسير؛ بل تتزحلق على الأسفلت كأنها ترتدي عجلات تزلج غير مرئية، لا تزال عيناها تلمعان وممثلتين بحياه، وشفتاها ترتعشان برعشة مس كهربائي، وكانت كنزتها فوقها، تملؤها الأمطار ورائحته، وكانت تشعر في الوقت نفسه بأنها حمقاء تماماً، وذاتها تماماً، ضائعة تماماً، وفي مكانها تماماً.

كانت تقفز في تجمعات الأمطار، لم تكن تتجنبها كما تفعل في العادة، وعندما رأت واحدة منها كبيرة جداً، اندفعت نحوها وقفزت في داخلها، وقطرات المياه والظمي تتناثر في الخارج وتقفز فوقها، فوق ملابسها وعلى يديها ووجهها. كانت هناك كلمة آيسلندية لهذا، فعلاً: hoppípolla، والكلمة تعني بالفعل: القفز في داخل الوحل. كانت قد كتبتها وحفظتها أيضاً، رأتها في فيديو موسيقي في إحدى المرات، لكن لم تفكر قط في أنها ستنفذها بالفعل.

وكان ضوء تلك الليلة، وصمت المدينة، وصوت التلفزيونات في البيوت، كل هذا أصبح ذكرى، كل شيء بدأ يحفر في اللحظة نفسها في ذهنها - كل شيء أصبح شاهداً على شيء عظيم - حتى صناديق القمامة لم تعد فقط صناديق قمامة - والسيارات المتوقفة، ومصاريع المحلات المغلقة، كل شيء غداً شيئاً أكبر، كان كل شيء يتكلم، أصبح لكل شيء معنى، حتى إن المنطق تلاشى في هذه اللحظة.

كان الشيء الوحيد المنطقي، الذي استطاعت التفكير فيه، هو الآتي: إنها سعيدة بأن ذلك حدث معه هو؛ أي، لم تكن ترغب في أن يكون مع شخص آخر. هو يعجبها. فيما عدا ذلك كانت كل أفكارها عبارة عن فوضى. فوضى غبية، جميلة جداً.

دخلت وكان أبواها في حجرة المعيشة، في صمت غريب. نظرت فقط برأسها ورأتهمما نائمين، هو على أريكة وهي على الأخرى. وعلى المائدة ست علب فارغة من البيرة. تنهدت جویا، واقتربت ببطء، أخذت العلب الست، وألقت بها في القمامة.

ثم ذهبت إلى حجرة جدتها، أضاءت مصباح الأباجرة وقبلتها على جبهتها. فتحت الجدة عينيها ونظرت إليها. ابتسمت جویا، وربت عليها، وقالت لها: لقد قبلته!

ابتسمت جيماً أيضاً. لا أحد يعلم إذا كانت قد فهمت، أو لشيء آخر، لكنها ابتسمت، ثم قالت: جههه!

39

ربما لا يكون الأمر بالطريقة التي اقترحها عليها، لكن بوفه كان على حق بالفعل: الطريقة الوحيدة، التي يمكنها أن تقاوم إلقاء الآخرين لها أرضاً، أن ترتفع فوقهم.

تمر الأيام، وكلما تقابل (لو) وجویا، بنت هي حول نفسها درعاً ما، شيئاً كالرداء المضاد للرصاص، يحميها من ضحكاتهم ونكاتهم، ومن عبارات «ليست قط فرحة»، التي كانت تراها مكتوبة على منضدتها بمجرد أن تصل في الثامنة.

كان التفكير في (لو) يحملها بعيداً عن هناك، وله التأثير نفسه للسماعات عندما تضعها في أذنيها، وكونها Luftmensch، حاملة دائماً

بعينين مفتوحتين، لكن بطريقة أقوى، خصوصاً أن (لو) حقيقي، فتى من لحم ودم.

ويعرف كيف يقبل جيداً أيضاً.

منذ تلك الليلة أسفل شرفة المشرب، أصبحت العلاقة بينهما أكثر حميمية، وتسبب في ذلك أن (لو) في الأيام التالية كان مضطراً إلى أن يحدد خروجه من المنزل إلى يومين فقط في الأسبوع؛ بسبب سوء درجاته إلى حد كبير، وفرض عليه والداه جدولاً للدراسة أكثر قسوة؛ ومن ثم كانت لقاءاتهما لمرات أقل قد أدت إلى أن رغبتهما في أن ينظر كل منهما إلى الآخر ويلمسه، مثل رغبة أن يحاول أحدهما التوقف عن الشراب عند رؤيته لكوب نبيذ، أو مثل تأثير الخميرة في عجينة البيتزا. كان عندما ينجح هو في التحرر يهاثفها في المنزل، دائماً في الساعة التاسعة مساءً... كانت جويًا تهجم على التلفون كلاعب رجبي على الكرة البيضاء، وكان هو يقول لها فقط: «خلال عشر دقائق هناك»، ثم يضع السماعة. وعندما كانا يلتقيان أسفل الشرفة، كانا يتبادلان القبلات على الفور، ثم يجريان نحو الكنيسة الصغيرة ويمكثان هناك بجوار السور، بعيداً عن الجميع، في محاولة ليكتشف أحدهما الآخر.

من المؤكد، لم يكن الأمر كله وروداً وزهوراً. في بعض الأوقات، كان (لو) يبدو كئيباً، غضوباً، خصوصاً في المرات التي يتحدث فيها عن والديه، خصوصاً عن والده. كانت جويًا تحاول أن تتجنب هذا الموضوع، لكن أحياناً كانا ينتهيان إليه عن طريق الخطأ، ربما فقط بالإشارة، وعندئذٍ يتحول (لو) إلى شخص غريب، ولا تستطيع هي الاقتراب منه؛ فيتغير لون وجهه وتتغير نظرتة. في تلك اللحظات، يصبح مخيفاً، ثم بعد ذلك بخمس دقائق، أو أكثر بقليل، كان كل شيء يعود إلى طبيعته كأن شيئاً لم يحدث.

كانت تونيا تقول في أثناء عودتهما إلى المنزل: هذا الشخص غير طبيعي .

- معذرة! ربما لديه أب أسوأ من أبي!
- لا أحد في نصف الكرة الشمالي لديه أب أسوأ من أبيك.
- يا تونيا، أنا أيضاً أغضب عندما يسألني أحدهم عن أبوي.
- أجل، لكن أنتِ لا تتحولين مثلما يحدث لدكتور جيكل ومستر هايد! ثم في الحقيقة، جميل هو أمر أنكما تتقابلان فقط في المساء، و فقط في هذا المكان، جميل حقاً، لكنني لو كنت مكانكِ سأشعر بغضب شديد من أننا لا نلتقي مطلقاً سوى في الخفاء!
- يعجبني هذا! كأن لديّ سرّاً يخصني وحدي!
- إنه مثلما يكون المرء وحيداً مع شبح.
- ربما أنا أحب الأشباح.
- لا، أنتِ تحبين أن تعيشي مخدوعة!

كانت تونيا محقة في كلامها بعض الشيء، كانا يلتقيان الآن منذ شهرين تقريباً، ولم يحدث هذا لا في النهار ولا في أماكن غير المشرب والكنيسة الصغيرة. ربما كان سبب أنهما لم يستطيعا الدخول إلى أعماق من ذلك في علاقتهما أنها في داخلها تشعر بأن هناك أمراً ما لا يسير على ما يرام.

وهكذا، في مساء ليلة، الأخيرة، قالت له هذا بوضوح تام بصيغة تهديد: إما أن نتقابل في وقت الظهيرة في الحديقة، أو من الأفضل ألا نتقابل أبداً بعد ذلك. كان صعباً عليها جداً أن تقوم بدور الحاسمة، لكنها فعلت ذلك بالفعل. والمشكلة أنه أجابها: أنا آسف يا (شيء)، أنتِ تعرفين كيف هما أبوي.

وهنا، مع تلك العبارة، أغلق عليها هو الطريق. كانت تعرف أنها لا يمكنها أن تفعل أكثر من ذلك أو أن تطلب منه المزيد؛ لأنه

سيتصرف بشكل سيئ وستتدهور الأمور بينهما، وهكذا استطاعت فقط أن تقول: «حسناً، ربما من الأفضل ألا نلتقي لفترة، على الأقل حتى تستطيع أن تخرج في فترات الظهيرة».

ثم تصافحا بطريقة سيئة، ربما أسوأ من تلك المرة التي تشاجرا فيها على زهرة المارجريت، وفي أثناء عودتها إلى المنزل لم تفعل تونيا شيئاً سوى أنها رددت طوال الطريق: هل رأيت؟ لقد قلت لك! كان عذاباً.

ذهبت لتنام وهي تشعر بإحباط شديد في تلك الليلة، وكانت جوياء مدركة أنها بلا درعها الواقية من اليوم التالي - الذي سيكون أيضاً اليوم الأخير للاشتراك في المسابقة - ومن ثم لن تشعر بأنها محمية، ولن تشعر بأنه لا يمكن وصول إهانات زميلاتها وسخريتهن إليها. وفي صباح اليوم التالي، بعد أن خرجت من المنزل، ورأسها منخفض، في طريقها إلى المدرسة، مستعدة لأن تعود مرة أخرى «ليست فرحة على الإطلاق» كما هي العادة، لاحظت شيئاً غريباً... هناك، معلقاً على الجدار الخارجي لمبنى المنازل الشعبية، كان هناك خيط معلق على أحد مصابيح السقف المليئة بالأتربة والناموس الميت، تتدلى منه لوحة، أو من الأفضل أن نقول «إطار»، وفي داخله كانت توجد صورة؛ تلك التي التقطتها هي في أثناء الجنازة. وحتى إذا كان الخيط مصنوعاً من سلك قديم، وكان على حائط خارجي، فإنها بدت كأنها موجودة منذ الأزل.

شخص واحد في العالم كله يمكنه أن يفعل شيئاً من هذا القبيل؛ وذلك الشخص هو ذلك الفتى الذي يحمل اسماً غريباً من مقطع واحد، وبمحض المصادفة كان هو أيضاً الفتى نفسه الذي منحته جوياء قبلتها الأولى.

الآن يمكنها فعلاً أن تشترك، ويمكنها أن تأخذ صورتها إلى المدرسة، وأن تسجل نفسها في المسابقة! وهكذا، وبعد عشرين ثانية قضتها

وهي تسأل نفسها إذا كان هذا مجرد حلم، اقتربت لتتظر أفضل، ونزعتها برفق ومن خلفها سقطت ورقة، أمسكت بها على الفور، ثم قرأتها بصوت مرتفع:

«لم يكن يهمني مطلقاً أن تكون لدي فتاة، مثلهم، لكنك «التقطتني من الخلف». هل تحبين أن تستمري معي؟ ملحوظة: اليوم في الظهر، في الساعة الثالثة، سأكون في الحديقة، ربما يمكنك أن تمرى من هناك، إذا أردت».

40

كم يمكن أن تستمر الدقائق الخمس؟ في العادة تستمر خمس دقائق، لكن في بعض الأحيان تستمر لمدة ساعات، أيام، أسابيع. مثلما هو الحال الآن.

كانت جويًا تجلس هناك على مقعد الحديقة، وشعرها مفرد، ووضعت أيضاً خطأً بقلم الكحل على عينيها - أجل في النهاية استسلمت - وكان الميعاد مع (لو) في الثالثة، والآن الساعة الثالثة وخمس دقائق، لكن بعد الساعة الثالثة شعرت كأن خمسة أيام قد مرت عليها، وليس فقط خمس دقائق.

في الواقع، منذ أن تعرفت إليه أصبحت حياتها كلها انتظاراً؛ فهي تستيقظ في الصباح، تغسل أسنانها وترتدي ملابسها. تذهب إلى المدرسة، وتأخذ القلم، وتطلب أن تذهب إلى الحمام. كل الأشياء، التي كانت تفعلها منذ شهرين، كانت تؤديها فقط، لكنها الآن تفعلها لأنها في انتظاره هو. الآن كل شيء أصبح انتظاراً؛ لأن كل شيء أصبح يحدث بين المرة التي ستراه فيها والأخرى.

والآن أصبحت الساعة الثالثة وست دقائق، وهو لا يظهر، ولأول مرة بدأت جويًا تشعر بالخوف من أنه لن يأتي، وفي المساحة الوجيزة جدًا في الثواني التي تمر، استطاعت أن تحشر أكثر الأفكار السيئة، كلها مضغوطة معًا، واحدة فوق الأخرى: «إذن، تونيا بالفعل على حق، لن يأتي لأن لديه فتاة أخرى، ولا يريد أن يراه أحد، كان يخدعني، مثل دور الرومانسي على تلك الهضبة، ومجرد أن وصل إلى ما يريد اختفى، يا لي من غيبة لأني صدقته، ومجرد فكرة أنني وضعت المساحيق قليلًا على وجهي، أنا! لقد تركت أحدهم يخدعني مثل أي حمقاء أخرى من زميلاتي!»، مليون فكرة، الواحدة فوق الأخرى، بينما كانت تنظر أمامها وهي تحاول وسط كل هؤلاء الأشخاص أن تعثر عليه، ولمدة ثوانٍ كان يبدو لها عدد من الصبية، هو، ثم يتضح لها العكس.

ست دقائق، ولم تكن تشعر بأنها بمثل هذا الغباء مرات كثيرة في وقت وجيز هكذا.

ثم رفعت عينيها من جديد.

ومن بعيد، وفي كنزته السوداء ذات القلنسوة، رآته.

41

- إذن كيف تفعلين هذا؟ وأين تختبئين؟

كان عشب المتنزه له اللون الأخضر لأيام الربيع الأولى عندما تمر أشعة الشمس بين الفروع وتتسبب في komorebi شديد الجمال.

- لا أختبئ يا أبلي، أجلس هنا وأنتظر.

- جميل. وإذا لم يعطك أحد ظهره؟

- إذن، لن ألتقط أي صور.

عندئذٍ لم تستطع أن تصدق أنه موجود بالفعل، حتى وإن كانت

ترغب فقط في أن تصدر صرخة قوية من صرخات النصر المهتزة
الموجهة إلى تونيا وكل عباراتها التي رددتها «لقد قلت لك»، إلا أن
جويا أجابته، كالمعتاد، كأن كل شيء طبيعي.

وسألها (لو): وماذا تفعلين طوال الظهيرة؟

- أقرأ، وأستمع إلى الموسيقى. أشياء من هذا القبيل.

- واو! ألا تخاطرين بانفعالات زائدة؟ أليس كل هذا مثيراً جداً؟

نظرت إليه جويا وهي تغلق عينيها قليلاً بغضب، مهددة:
يقول هذا المغامر الكبير، الذي يقضي ليلته يلعب بالأسهم.

- مهلاً! فالأسهم رياضة!

- أجل وجاستن بيبر مغنٍّ عظيم!

- احترسي، لا تقتربي من جاستن⁽¹⁸⁾.

- هل يعجبك جاستن بيبر؟

- لماذا؟ ألا يعجبك؟

- أنت تمزح، أليس كذلك؟

- نعم، لماذا؟

- أرجوك، قل لي إنك تمزح.

- انظري هناك!

أخذ (لو) رأسها بيديه، وجعلها تلتفت تسعين درجة، نحو
وسط العشب.

- أين؟

- هذا الرجل ذو اللحية. إنه من ظهره. بسرعة!

- لحظة... ها هي!

التقطت جويا الصورة، ثم أنزلت آلة التصوير على الفور لترى
الصورة، ثم قالت: تبدو لي مهزوزة بعض الشيء.

(18) Justin Bieber مغنٍّ.

- لا، لا، جيدة. تعجبني. انظري إليه: في رأيي أنه طلب للتو من إحداهن أن تصبح فتاته، ورفضت هي. انظري كيف يضع رأسه، وكيف تكوّن يده اليسرى قبضة، كأنه يحاول أن يتمالك غضبه! علق (لو).

- حقاً، يمكن. أو ربما الموضوع أبسط من هذا، ربما قضى فقط يوماً سيئاً في عمله.

- لا، لا، أنا أرى أن السبب هو الفتاة. قال لها وهو ينظر مباشرةً في عينيها.

لم تكن جوياء قد أدركت بعد أنه في الحقيقة يحاول أن يقول لها شيئاً آخر؛ ومن ثم استمرت في طرح نظرياتها: حسناً، في نهاية الأمر يمكن أن يكون... - جوياء؟

قاطعها هو. لم يكن قد دعاها جوياء من قبل، ربما كانت هذه هي المرة الأولى.

الآن أدركت هي أن هناك شيئاً ما، فسألته في فزع: ماذا؟

- لقد طرحت عليك... أتعرفين شيئاً، كالطلب، في البطاقة؟

قال هو، وهو يحاول ألا يسرب إليها أي قلق، لكن لم ينجح في ذلك على الإطلاق، وعندما أدركت جوياء هذا القلق، اختبرت شعوراً غريباً، كأنها مستمتعة برؤيته هكذا، وقررت على الفور أن تفعل شيئاً، تعرف بالفعل أن تونيا بعد ذلك ستسبها مرات عديدة لأجله، قررت أن تتركه قليلاً في حالة التوجس تلك.

- سؤال؟ لا أعتقد أنني أتذكر، أتعرف؟ هل كانت هناك أسئلة؟

قالت له، وهي تلعب بآلة التصوير. مكث هو قليلاً بفم مفتوح، ثم قال لها: ألم يخبرك أحدهم من قبل أنك سخيقة؟ - أجل، في الحقيقة كثيرون جداً.

- حسناً، لقد كان لديهم بُعد نظر.
أجابها هو، والتفت إلى الجهة الأخرى.
كانت هناك كلمة بلغة التاميل، التي يتحدثونها في سريلانكا،
لتشرح ما يفعله الآن: oodal؛ ومعناها: التظاهر بالغضب بين
المحبين، لكن نظراً إلى أن مستوى مقاومة جويّا في تلك الحالات
تقريباً صفر، استغرقها الأمر فقط بضع ثوانٍ لتسند ذقنها إلى
كتفه وتقول له: هل ربما يكون ذلك السؤال المتعلق باقتراح، من
النوع الذي يمكن أن نقول عنه (عاطفي؟).
أجاب هو، وهو لا يزال يتظاهر بالغضب: ربما.
- إذن، في هذه الحالة، لا بد أن أقول لك إن إجابتي عن هذا
السؤال هي كلمة تبدأ بحرف الألف.
فكر (لو) لبضع ثوانٍ، ثم قال لها في فرح: إذن إجابتك هي
(أجل)؟

- ممم، لنكن أكثر دقة، يمكن أن تكون أيضاً: أعلم، إذا، إذن.
بدأ (لو) ينظر إليها شزراً، وهو يزار بصوت يكاد يُسمع.
في الواقع، لم تستطع جويّا أن تستمر أكثر من هذا، في النهاية
ابتسمت، وأومأت وهي تقول له بصوت منخفض: أجل يا أداة
التعريف. أجل، أحب أن أستمع معك، أن أكون فتاتك!

42

حدث كل شيء دون أن تكون له أي مقدمات.
في العادة، عندما تحدث الأمور، يكون لها بعض المقدمات. ربما
ليس دائماً، لكن بالتأكيد، في أثناء حدوثها، تشعر بأنها تحدث
بالفعل.
مثلما الحال عندما يكون لديك امتحان: أنت تعرف أنك هناك

لتفعل هذا، ثم تخلط كل شيء، وتتعذب من القلق، لكن على الأقل تعرف ماذا يحدث لك.

في هذه المرة، لا. حدث كل شيء، وفقط عندما حدث، أدركت جويًا حدوثه.

جويًا و(لو) في المتنزه جالسًا على مقعد.

جويًا و(لو) يتحدثان ويتحدثان، يتحدثان. لم يتحدث قط كثيرًا هكذا مع أحد، ولا حتى بمفردها، وجويًا تتحدث مع نفسها حياتها كلها.

صورة لطفل جالس على الأرض يتنقل بالعجلة الخلفية لدراجة ثلاثية.

ثم يتحدثان ويتحدثان ويتحدثان.

صورة لامرأة تكتب على هاتفها النقال.

ثم يتحدثان ويتحدثان ويتحدثان.

صورة لكلين ينظران أمامهما مباشرةً.

ثم يقول لها (لو) شيئاً على المقعد، ويسخر منها قائلاً: إيه، ألم يحدث أن وجدتِ خطوطاً في مقعدتك من جلوسك كل أيام الظهيرة هنا؟ عندئذٍ تجيبه جويًا بنبرة حادة، بكلمات مثل: حسناً، وأنت ليست لديك بعد خطوط على وجهك، إذن، لا. ومن هنا، تتذكر كيف صارت الأمور، وكيف أنها سألته بعد ذلك إذا كان يعرف مكاناً فيه منظر طبيعي أفضل من هذا، وهو يحكي لها قصة، ويقول لها عن يوم كان يسير فيه في الطريق، وسط البنايات، عبر أمام بناية بابها مفتوح، وهكذا، بلا أي سبب حقيقي، يدخل، ويأخذ المصعد. في البداية، أخذ يجول في البناية، وعندئذٍ سخرت منه جويًا - في داخلها كانت تفكر «كنت دائماً أحلم بأن أقابل شخصاً يفعل الأشياء بهذه الطريقة» - لكن تسخر منه على الرغم

من ذلك، وتقول له إذا كانت هي قد رأتَه لأبلغت الشرطة، ويستمر هو في الحكي، ويقول لها إنه عند لحظة ما، بعد عشر دقائق من الصعود والنزول في المصعد، يصل إلى الطابق الأخير، ويقول: تقريباً سأذهب لأرى إذا كانت هناك طريقة أصعد بها إلى السطح! وهكذا، يخرج (لو) من المصعد، ويبدأ في البحث عن الباب الذي يقود إلى السطح، ويعثر عليه، ولا يصدق نفسه عندما يجد الباب مفتوحاً. الباب المؤدي إلى السطح مفتوح، لا بد فقط أن يضع شيئاً حتى لا يغلقه على نفسه، ثم يخرج إلى السطح، ومن هناك، ينظر إلى المدينة كلها من علٍ، وقال لنفسه إن العالم قد فُتح أمامه، وإنه منذ الآن إذا كان هناك مكان يشعر فيه أنه في منزله، لن يكون منزله، لكن ستكون الأسطح، وإن مكانه فوق الأسطح، وإنه إذا استطاع أن يفعل ذلك، سيعيش فوق الأسطح فقط.

- فوق الأسطح!

- أجل.

- ولم يقل لك أحد أي شيء؟

- حتى الآن لم يمسك بي أحد.

جوياء، التي كانت تنظر إليه في عينيه، فهمت، تقريباً على الفور، أنه لا دخل له بجمال عينيه، بل إنه الضوء الذي يأتيه من الخارج، وأنها هي هذا الضوء، وهو قد سرقها.

- هل تريد أن تأتي معي؟

- متى؟

- الآن يا (شيء)، الآن. لقد تحولت مقعدتي إلى خطوط.

ثم بدأت هي وهو يسيران في وسط الأشخاص في أثناء خروجهم من عملهم في شوارع المدينة، يتقدمها (لو) بعض الشيء، دون حتى

أن يتحدث إليها، وهو يرتدي قلنسوته فوق رأسه ورأسه منخفض، وهي تتبعه على بُعد نصف خطوة، والأفكار تتتابع الواحدة تلو أخرى، وعيناها مثبتتان على ظهره، وظهور أخرى كانت ستتوقف لتلتقط لها الصور، لكن الآن لن تتوقف، فلم يعد هناك سواه، في مكان ما، ولم يكن هناك غيره.

وتوقفت جويا و(لو) أمام بناية مكونة من 10 طوابق.

- مرتفعة بعض الشيء، أليس كذلك؟

- كلما ارتفعت كان أفضل.

وكل شيء منذ تلك اللحظة بدأ في الحدوث، ولم يكن هناك حتى الوقت الكافي لفهم أين، ماذا، متى، كل شيء توالى بسرعة شديدة جداً، كل شيء دون تلك اللحظة التي فيها يسأل المرء نفسه أين أنت، ماذا تفعل، ماذا تريد، كل شيء حدث فحسب. كانت هي وهو على السطح، وجرت هي تجاه الحافة الأسمتية لتتطلع، رجال ونساء وأطفال وكلاب، كلهم هناك في أسفل، صغار جداً، وبعض السحب والغروب، وهو هناك يضع يده على جانبيها من الخلف، يرفع شعرها ويقبّل عنقها، وهي تغلق عينيها ولا تشعر بأي شيء، تسمع كل شيء، ولا تسمع أي شيء، تختفي الضوضاء، السماء هناك، لكنها ليست هناك، يمر بعض الوقت، ولا تدري كم من الوقت، كثير منه أم قليل، ثم ها هما مستلقيان يتعانقان، وتذكر جويا عندما كانت طفلة صغيرة وذهبت إلى ساحة فيرونا مع والديها، وعند لحظة ما توقفت لأنها شعرت بالدوار؛ لأن كل شيء حولها بدأ يدور، عندئذٍ توقفت جويا، وقالت: إيه.

أجابها هو: إيه؟

- هل كل شيء على ما يرام؟

- ماذا؟

- يبدو لي أن شيئاً ما ليس على ما يرام.
عندما تشعر جويًا بأنها متوترة جداً، تفعل الشيء نفسه دائماً،
تنطق بأي هراء.

- ربما.

- أتعلم؟ لقد سمعت أن الأشياء عندما تحدث بهذه الطريقة
ينتهي الأمر بالشخصين يتضاجعان.
- أعتقد أنني سمعت هذا أنا أيضاً.

توقفا عند هذا الحد، ثم بدأت أنفاسهما ترتعش. كانت
جويًا ترتعش خوفاً، ثم قالت له: وسمعت أيضاً أنه إذا لم يتوخَّ
الشخصان الحذر، ربما انتهى الأمر بواحدة أن تنجب طفلاً بعدها
بتسعة أشهر.

عندئذٍ ابتعد (لو) عنها بعض الشيء، واستلقيا أرضاً وهما
ينظران نحو السماء.

سألها هو: لا تريدين هذا، أليس كذلك؟

- ليس الأمر كذلك، فقط..

كانت جويًا تبحث عن الكلمات الصائبة، حتى إن كانت
تعلمها تماماً.

- فقط؟

مسحت جويًا ذقنها كأنها تفكر، وتنهدت مرتين، ثم بصوت
المثقفين قالت: فقط إنني، ولأستخدم لغة مهذبة ومجازية، أكاد أن
أبول على نفسي خوفاً، يا أداة التعريف!

وعندما قالت هذا بدأ (لو) يضحك، ثم ضحكت هي أيضاً،
ثم تلامست يدها اليسرى مع اليمنى، ثم تشابكا، بينما هما
يضحكان، واقترب هو منها وقبلها واستمرا في الضحك. كانت
تشعر بالبرد، وكانت أيضاً متأكدة أنه بين لحظة وأخرى سيظهر

أحدهم، وسيقول لهما أن يرحلا من هنا، أو سيبلغ عنهما بسبب فعل فاضح على سطح عام، وفي أثناء ذلك، استمر (لو) في تقبيلها، ولمسها، حتى أصبح فوقها. وإذا كانت في البداية تشعر بالخوف، أصبح ما تشعر به الآن هو الرعب. أغمضت عينيها وقالت له: ماذا تفعل؟ هل تفعل هذا بالفعل؟

- أجل يا (شيء)، إذا أردت أنت. أجل.

لم تستطع جويًا أن تجيب بصوتها، حاولت ولم تستطع، أو مات فقط، بسرعة بعضلات وجهها المتوترة كلها، وبطريقة يفهم بها أنها لا تقول فقط «أجل»، لكن «أجل، لكن لا تؤلمني أرجوك»، أو «أجل واحترس من فضلك». كل هذا بتعبير واحد على وجهها، ثم أغمضت عينيها، كأن عاصفة قوية من الريح تقترب من وجهها، وربما هذا ما يحدث بالفعل. شيء يشبه عندما كانت تدخل مع والديها في نفق مظلم، وتتوتر وتخفي رأسها بين المقعدين، ثم بعدها بفترة يظهر نصف دائرة من الضوء، صغيراً في البداية، ثم يكبر أكثر فأكثر، حتى تجد نفسها وقد خرجت إلى الضوء.

وأصبحت عينا جويًا الآن تنظران إلى أعلى، وفي السماء، كانت هناك سحابة على شكل ورقة شجرة، كانت تشعر بأن هذه الورقة ترقد فوقها، وبأن شيئاً ما غريباً، لكنه ممتع، يحدث، مؤلم، لكنه ممتع. لم تعد تفهم أي شيء، لكن شعرت بأن السماء فقط فوقها... السماء فقط.

ومر وقت طويل حتى إن السماء بدأت في الغروب خلف المنازل الأخيرة، وفي النهاية، أصبح كل شيء يميل إلى اللون البرتقالي فوقهما، وساد الصمت، وكانت وجنة جويًا اليسرى تستند إلى صدر (لو).

مكثت جويًا هكذا، دون أن تكون لديها أي نية لتتطرق بأي كلمة، ولا حتى أن تعود إلى المنزل، على الأقل لمدة عشر سنوات

أخرى، لكن في الوقت نفسه، كانت تفكر في أنه لا بد أن تكون هناك كلمة ما، كلمة جديدة تعبر عن ذلك الشيء، عن ذلك الوضع عندما تكون وجنتها مستندة إلى صدر أحدهم بعد المضاجعة، وفكرت إذا كانت هذه الكلمة بلا وجود ربما تطلق عليها هي اسميهما معاً، وبدءاً من اليوم، في كل مرة سيحدث لها أن تضع وجنتها على صدر (لو)، أو أي شخص آخر، ستطلق عليه هذا.

- محمية.

قالت فجأة. وأسفل في الشارع كانت تسمع أصوات الأطفال وهم يلعبون.

- ماذا؟

- محمية. أشعر أنني محمية، هنا، الآن. وأنت كيف تشعر؟

لم يجبها (لو)، رفعت جويًا وجنتها بعض الشيء لتفهم من تعبير وجهه ماذا يدور في رأسه، وأدركت على الفور أن (لو) به شيء ما.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- أجل.

أجاب هو، حتى إذا كان من الواضح تماماً أنه ليس كذلك.

- هل أنت متأكد من أن كل شيء على ما يرام؟ تبدو لي...

- اسمعي، يجب أن تذهبي الآن، الوقت تأخر. سأبقى أنا هنا قليلاً. أوكي؟

43

- فتاتي العزيزة، الأمر يبدو لي غير مريح بالمرة، غير مريح على الإطلاق.

- ماذا تقولين، يا تونيا؟! ربما أراد لحظة مفردة!
 - بالتأكيد، بالتأكيد. ثانيّتان بعد أن ضاجعكِ وكان عذباً وحنوناً،
 ثم يصبح بارداً مثل الثلج. هذا الشخص غير طبيعي، وسبق
 وقلت لك ذلك!

سارت جويًا ويداها في جيبها نحو البيت في الظلام الذي هبط
 بالفعل، وهي تركز الحصى عندما تقابله في أثناء مشيها.
 - ثم يجب أن تشرحي لي قصة أنه أراد أن يمكث هناك فوق،
 دون حتى أن يصحبكِ. هل يُعقل هذا؟

ليست تونيا، تماماً، الصديقة المتخيّلة الأفضل في العالم؛ فجويًا
 تريد أن تركز فقط على الأشياء الجميلة، وعلى واقع أنها أول مرة
 تختبر فعل الحب في حياتها، وترغب فقط في التفكير في واقع أن
 هذا حدث فوق أحد الأسطح، وأسفل الغروب، مع فتى يشبه في
 كل شيء، وتماماً، الفتى الذي طالما تمنته.

- لكن اهدي قليلاً يا تونيا! ثم إنه قال إننا غداً سنلتقي مرة
 أخرى في الحديقة. هذه علامة جيدة، أليس كذلك؟
 - أنا أعرفكِ، وأعرف أنك الآن تريدين فقط أن تفكري في حلمكِ
 الجميل، لكن أنا أقول لك أن تستعدي؛ لأنه بعد قليل ستصل
 القرصة التي ستوقظك فجأة!

قالت لها تونيا مرة أخرى، لكن كانت جويًا قد توقفت
 بالفعل عن الاستماع إليها.

44

كان اليوم التالي لليوم الذي فيه مارست فيه جويًا فعل الحب
 للمرة الأولى مليئاً بالسحب. لون رمادي قاتم يغطي السماء،
 وعواصف صغيرة من الرياح الباردة تحرك الأغصان خارج النافذة.

لا، لم يكن استيقاظاً محبباً.

لكن السبب لم يكن السماء ولا الرياح، ولا الأمطار، التي ستلحق بها بالتأكيد. السبب كان تلك القرصة. أجل، تلك القرصة التي تشعر جويًا باقترابها، من الاستيقاظ المفاجئ الذي سيحدث، من ذلك الحلم الذي سيكف عن كونه حلمًا؛ ليترك مساحة للواقع المعتاد الأحمق.

وكان الإعلان عن القرصة هناك يقترب من جويًا، ويصل إليها مع صوت تونيا، مع صوت المنبه، عندما كانت تفتح للتو عينيها المليئتين بالنوم، تقول لها: اسمعي، لكن... الآن عندما أفكر مرة أخرى، أليس غريباً أنه في المنتزه لم يحاول حتى أن يُقبِّلَكَ؟ بالتأكيد، كان سيكون جميلاً الاستيقاظ مع أشعة الشمس على الوسادة، والعصافير تغرد، ومشاهد جميلة أخرى على نمط (الأميرة والأقزام السبعة)، لكن الحقيقة هي أنها أغلقت ذهنها يوماً كاملاً، والآن عندما استيقظ، لا يستطيع إلا أن يتساءل: إيه، ما كل هذه الفوضى؟

هذا حقيقي، ولولا أن تونيا زرعت فيها الشك، ربما لم تكن جويًا لتلاحظ تلك التفصيلة، بل، بل ألم يبدُ لها شيئاً مبشراً بالخير: فتى لا يهتم فقط بتقبيلها؟ شخص يفَضُّل أن يمكث معها ساعتين في التحدث والتقاط الصور؟ رأت جويًا الأمر كأنه سبب أدعى لشق به أكثر، وأن تفتح له قلبها أكثر، لكن الآن وقد أسكت النوم كل هذه الفوضى من الفرح والرغبة والاشتياق والجوع والعذوبة للأمس التي تجري في عروقها بدلاً من الدماء، انطلقت تونيا بسلسلة من الأسئلة اللاذعة، التي نزعته من الحلم بقسوة: وماذا إذا لم يكن قد قبَّلَكَ خوفاً من أن يراه أحدهم؟ وإذا كان قد أخذكَ إلى السطح فقط؛ لأنه هو المكان الوحيد الذي

يمكنه أن يفعل ما أراحه في هدوء؟ وإذا كان قد اخترع كل هذا فقط ليبعدك عن الأعين؟ وإذا كان، بينما كنتما تسيران نحو البناية في وسط المدينة، يسير دائماً أمامك واضعاً القلنسوة على رأسه، لكيلا يراه أحد بجوارك؟

- أوه، أوه، أوه، اهدئي يا تونيا، لقد استيقظت للتو!

في إحدى المرات، في المدرسة الابتدائية، أعطتهم المعلمة صورة مليئة بالأشخاص والحيوانات والأدوات، وقالت للجميع أن ينظروا إليها جيداً لمدة دقيقة، وسألتهن إذا كان أحدهم قد رأى في الداخل بعض القطط. لا، لم تكن هناك قطط، لكن المعلمة قالت إنه توجد قطط في الصورة، بل عشر بالتحديد، لكنها مختبئة جيداً، وكانت اللعبة عبارة عن العثور على العشر. كان تدريباً يساعد على تقوية القدرة على الملاحظة.

الآن، وبعد مرور عشر سنوات، شعرت جويًا بالشيء نفسه: في البداية لم ترَ ولا واحدة من القطط، لكن الآن تشعر بأن عليها البحث عنها، وكلما ركزت، برزت واحدة من مكان ما. القط الأول: كيف أن (لو) لم يحاول إطلاقاً أن يعطيها رقم تلفونه؟

القط الثاني: هل يوجد فتية في سن الثامنة عشرة لا يملكون هاتفاً نقالاً، فيما عداها هي وتونيا؟

القط الثالث: لماذا صعب عليه إلى هذه الدرجة التحدث عن والديه؟ لماذا لم يقل لها أين يعيش، وإلى أي مدرسة يذهب، ومن أصدقائه؟ حسناً، هي أيضاً لم تسأله قط، لكنها هنا أمام (قط) في كل الأحوال، بل وواقع أنه لم يتحدث عن تلك الأشياء أبداً، الأمر الذي يجعلها أمام (قطط) كثيرة.

كانت تتمنى أن يكون (لو) هنا أمامها على الفور، كانت تتمنى أن تقول له كل ما يدور في ذهنها، وأن تطلب منه أن يشرح

لها مليون شيء تشعر بأنها ليس لديها تفسير كافٍ له.
قالت لتونيا وهي ترتدي ملابسها: يا للضيق، لم يكن ضرورياً
أن تسير الأمور بهذا الشكل!
- بالتأكيد لا.

لم تكن جوياء، بالفعل، قد فكرت تقريباً في الحب في سنوات
عمرها السبع عشرة، لكنها كانت متأكدة أنها إذا كانت قد فكرت
فيه، إذا كانت قد تخيلته، لم تكن ستراه قط كشيء لا بد أن يمنح
أحدهم تفسيراً له: فهي لا تعرف أي شيء عن الحب، لكن ما
تعرفه أنه لا يحتاج إلى أي تفسير.

- يكفي أن ينظر الحبيب إلى حبيبه، ينظر إليه فقط وسيفهم
كل شيء، بل يفهمه حتى دون أن ينظر إليه.

قالت لتونيا، التي كانت في ذلك الوقت تجلس إلى مكتبها
وتنظر إليها بينما ترتدي ملابسها.

أجل، لا بد أن تكون هناك القدرة على معرفة ما يحدث بالفعل،
معرفة دائماً، حتى من بعيد، حتى إن كانا منفصلين، بشكل مطلق،
معرفة من هو الآخر، وماذا يريد، وماذا يفعل، وبماذا يؤمن؛ لأنه
لا بد أن يكون مثل النظر إلى لوحة، أو الاستماع إلى أغنية أو قراءة
كتاب: إذا كان المرء بحاجة إلى التفسير؛ فهذا يعني أنها ليست قوية،
وليست واضحة، وليست حقيقية؛ لتتمكن من شرح نفسها بنفسها.

45

تدخل إلى الفصل، وتجلس في مكانها، ترتدي جوياء قلنسوة
الكنزة فوق رأسها، وفي نيتها ألا تتبادل كلمة مع أي مخلوق طوال
الصباح، بل والأفضل ألا يقترب منها أحد، ولا يحاول أي شكل من
الحوار؛ فاليوم لن ينتهي نهاية حسنة.

لكن من الواضح أنه عند تمني ألا يحدث شيء ما، تكون النتيجة دائماً واحدة: إنه يحدث. وتلتقط أذنا جويًا بالمصادفة حواراً خلف ظهرها، على بُعد صفين من المقاعد.

- تخيلي إذا كانت واحدة مثلها لديها فتى!

- إذا كان لديها فتى سيكون إما مدمن مخدرات أو مسناً!

- ليس لديها، ليس لديها.

كان الصوت صوت جوليا باتًا، وكان أول شعور لديها أن تنهض وتلقي بأشائها على الأرض. والثاني أن تصرخ بأعلى صوت يقوى عليه جسدها بأن يهتمن بما يخصهن، وأنها ليست مشكلة أحد إذا كان لديها فتى أم لا، وأن هناك أطفالاً يعانون في سريلانكا، وبائعى أعضاء بشرية في السودان، وألغاماً منتشرة في يوغسلافيا السابقة، أي إن هناك مليارات الأشياء أهم، لماذا يجلسن ليتناقشن ما إذا كانت جويًا سبادة لديها فتى أم لا؟

لكن، في النهاية، وكما يحدث في العادة، لم تستطع جويًا أن تقول أيًا من تلك الأشياء. ربما حدث هذا لها مليون مرة، تكون لديها الرغبة في أن تقول شيئاً ما، في أن تجيب، أن ترد، ولا تجد الكلمات. مثلما هي الحال الآن، كان سيكون سهلاً جداً، يكفي أن تقول شيئاً، مثل: «وأنتن، ماذا تعلمن عن هذا؟!»، إلا أن جويًا لا تستطيع هذا، لا تخرج الكلمات، تستطيع فقط أن تنظر إليهن بطريقة سيئة، وأن تقمع نهر السباب المتربح أن ينفجر في ثوانٍ قليلة جداً من الغضب لتكثفه في نظرة كراهية قاسية.

الشيء السيئ في هذا الأمر أنها عملياً، عندما ستعود إلى المنزل، ويكون الوقت متأخراً، سيأتيها النقاش الدقيق والتام، الذي كان لا بد أن تجريه مع باتًا وصديقاتها، لتخرسهن بشكل حاسم. توجد أيضاً كلمة لوصف هذا: trepverter، كلمة ياديشية تعني

بالتحديد: «الإجابة الصحيحة التي تأتي بعد فوات الأوان». وجويا من أولئك، الذين لديهم دائماً الإجابة الجاهزة، لكنها عندما تكون متوترة جداً، مثل الآن، يتحول الأمر إلى trepverter. كن هن الثلاثة جالسات هناك إلى مقاعدهن، جلسن هناك بأفواه مفتوحة لثلاث ثوانٍ، ثم عندما استطاعت جويا فقط أن تتنفس من أنفها دون أن تقول شيئاً، واستدارت لتضع السماعات في أذنيها، نظرن إلى بعضهن ثم هاجمن من جديد بضحكات صاخبة.

46

- ألا ينظفون هذه المرأة قط؟
- السؤال هو، ألا ينظفون قط هذا المرحاض؟!
- هل فتح أحدكم كتاب التاريخ؟
- فتحتة أجل، لكن فقط لأتظاهر أمام والدي!
- إذا دعاني لن أعرف أي شيء!
- هل رأيتِ (مايونا جويا) اليوم؟
- من؟
- يبدو أن شيئاً ما ليس على ما يرام.
- مشاكل جادة يا بنات، صدقني!
- وماذا تتوقعن بعائلة مثل عائلتها!
- الأب مدمن خمر.
- والأم كذلك.
- بل حتى القط الذي لديهم في المنزل أيضاً.
- لقد سمعت أن أبويها منفصلان.
- يقولون إنهما عادا ليعيشا معاً.

- من الواضح أنها تشعر باليأس الشديد حتى إنها اخترعت فتى لا وجود له!
- لكن، هل رأيت صورتها في الإطار؟ جميلة بالفعل!
- أجل، من المعروف أن الفنانين جميعهم مجانيين.
- سنجد تلك الفتاة يوماً ما بأذن مقطوعة، أؤكد لكم!
- مسكينة.
- لكن، ألا يجب أن يكون هناك نوع من الأماكن المخصصة لحالات مثلها؟
- أو معالج نفسي، أو شيء ما!
- مدرسة مقرفة، ثم يندهشون عندما يتخرج فيها مجرمون مختلون!
- ثم إنني، شيء غريب: بالأمس رأيتها تجلس على المقعد في الحديقة.
- وحدها؟
- وحيدة تماماً. ربما كانت الساعة الثالثة، وكانت تجلس هناك تحديق في الفراغ! ثم لا أدري إذا كانت قد جلست بمفردها كل الوقت، لكن في الثالثة لم يكن هناك أحد معها.
- هي بالتأكيد ليست فرحة من أي نوع.
- أعطني الراج الأحمر.
- أجل أجل، أنا أيضاً يليق بي جداً اللون الأحمر.
- لكنك تبدين به كالعاهرات!
- بالضبط!
- إذن، لا بد أن نفعل شيئاً ما من أجل «تلك التي ليست فرحة على الإطلاق» يا بنات.
- ماذا؟ نطلب لها شخصاً يُخرج الأرواح الشريرة؟

- لا يا غبية، يمكن أن نحاول أن نعثر لها على فتى!
- لكن من ستكون لديه الجرأة أن يخرج مع واحدة مثلها؟
- لا أعتقد أنها بهذا السوء.
- ربما إذا اغتسلت!
- يا لكن من دنيئات!
- هيا رن الجرس، لنذهب.
- لحظة، لحظة!
- إذا استدعاني في التاريخ لا أعرف شيئاً.

47

- إذن، يا آنسة سبادا، ماذا تريدان أن تسأليني اليوم؟
كان الجو مُمطراً في الخارج، وهكذا كانت الفسحة في الردهة.
تقف جوياء مستندة إلى الجدار، هذه المرة ليس لديها ما تأكله،
لقد نسيت أيضاً طعامها في المنزل، إلا أنها لم تكن تشعر بأي
جوع.

- هل يمكن أن تكون الأسئلة شخصية يا بروفيسور؟
- بأي معنى؟
- لا أعلم، لكنني لا أريد أن أتجاوز حدودي!
- أتعلمين، شخص يُدعى أوسكار وايلد قال يوماً ما: الأسئلة
ليست مطلقاً تتجاوزاً للحدود، لكن هكذا تكون الإجابات في بعض
الأحيان!

ابتسمت جوياء، وابتسم أيضاً البروفيسور في وسط تجاعيده التي
تمنحه على الأقل عشرين عاماً أكبر من سنه. على سترته الرمادية
الفاتحة كانت تظهر بقع الأمطار، وكانت جوياء تشعر برغبة في أن
تلمسها لتشعر بالرطوبة على أطراف أصابعها.

- هل وقعت في الحب من قبل؟ سألته. وانفجر الأستاذ حرقاً في الضحك أمامها. ضحك بقوة حتى إن الطلبة في الجوار التفتوا جميعهم نحوه.

قالت جويًا: هل أعتبر ذلك «أجل»؟

أجابها هو، وهو لا يزال يضحك: بل اعتبريها: إذا لم أكن قد وقعت في الحب لكنت الآن ميتاً أو في سجن ما.

- إذن، فأنا كنت أريد أن أسأل حضرتك... إنني في الحقيقة لا أعرف حتى ماذا كنت أريد أن أسأل.

- اسألي فقط يا آنسة، اسألي فقط!

عندئذ تنفسست جويًا بعمق وانطلقت: هل شعرت يوماً أن الشخص الذي أمامك ليس هو الشخص الذي أمامك؟

توقف البروفيسور بوفه فجأة عن الضحك: كيف، معذرة؟

- أجل، أقول... هل شعرت يوماً بالخوف من أن تكون من النوع الذي يخلق صورة خاصة بك عن الشخص الذي معك، صورة، ربما لا دخل لها على الإطلاق بالشخص الفعلي؟

نظر إليها البروفيسور مرتبكاً بعض الشيء، ثم تقدم نصف خطوة نحوه، وقال لها، بصوت منخفض: دائماً، يا آنسة، دائماً، لكن لا تقلقي! إذا كان الخيال والحقيقة لا يتفقان، ستدركين ذلك بسرعة شديدة!

48

حسناً، الهدوء، لا داعي للفرع.

بالأمس أيضاً تأخر خمس دقائق، بل، ستاً.

ربما يكون من نوع الفتية الذين لا يهتمون بالساعة.

نعم، ربما.

لكن جويًا كان لديها الوقت لتفكر، وفي تلك الحالات تُفضل ألا يكون لديها أي وقت؛ لأنه يكفي قليل من الوقت لتعود إليها مرة أخرى الشكوك؛ فهي تستغل أقل ثغرة لتظهر في العراء. ست دقائق من التأخير.

كانت تريد أن تسأله عن كل شيء، أن تفهم مرة واحدة ماذا يحدث مع والديه، ولا يهم إذا كان سيتصرف بطريقة سيئة أو حتى يتظاهر بالجنون؛ هذه المرة تريد أن تكتشفه؛ لأنها لا تريد أن تتقاسم معه الأشياء الجميلة فقط، لا تريد فقط الزهور والورود؛ لأن كل شيء سيكون مزيفاً إذا كان كله زهوراً ووروداً، وجويًا سبادا تقرف من الزهور والورود. سبع دقائق من التأخير.

ثم تريد أيضاً أن تنظر إليه في عينيه وأن تسأله، مباشرةً، وتقول له: هل أنت متأكد من أنه ليست لك فتاة أخرى؟ فهي تريد أن تعرف - إذا كان بالمصادفة - ليس سوى الذكر المعتاد، الذي عثر على تلك الساذجة، ويرغب في استغلال الفرصة.

ثماني دقائق من التأخير. توجد كلمة بلغة أهل الإسكيمو لتعبّر عما تشعر به في هذه اللحظة: iktsuarpok، التي تعني: الإحباط الذي يشعر به المرء عندما ينتظر شخصاً قد تأخر. من يدري إذا كان أهل الإسكيمو قد فكروا أيضاً في أن يشتقوا صفة تشير إلى «الرغبة في تحطيم وجه شخص ليس فقط متأخراً، لكنه قرر بالفعل ألا يصل في ميعاده». إذا لم تكن هناك، فربما اخترعتها هي بعد قليل.

ربما من الأفضل أن تستمع إلى بعض الموسيقى حتى لا تفكر كثيراً في الأمر... شيء ما يثير بعض الضجة، شيء يخفض من صوت أفكارها. أغنية 1979 لفريق Smashing Pumpkins. أجل، هذه ستفي بالغرض.

تسع دقائق من التأخير.

- (لو)، أين أنت؟

قالت عندما انتهت الأغنية التي لم تكن كافية لتسكت أفكارها.

قالت: (لو)، إذا لم تظهر هنا أمامي خلال خمس دقائق، أعرف أنك ميت لا محالة.

خمس عشرة دقيقة من التأخير.

عشرون دقيقة.

نصف ساعة.

ساعة.

لا شيء. لن يأتي. لم يأتِ.

نهضت جويًا، وانصرفت ببطء، وهي تفكر في أن بوفه قال لها بسرعة، لكنها لم تكن تتخيل أن هذا سيحدث بهذه السرعة.

49

الأنوار مطفأة في داخل المنزل. خبر جيد: أهلها في الخارج. يمكن لجويًا أن تذهب بهدوء لتيأس فوق وسادتها، دون أن يجبرها أي شخص على أن تتظاهر بأنها في حالة جيدة.

لكنها بمجرد أن أدارت المفتاح في الباب، وعند دخولها، أدركت أن هناك شيئاً ما ليس على ما يرام: توجد فوضى غريبة؛ أي إنه توجد فوضى أكثر من تلك المعتادة، ولم يأتِ جاكو، القط الشبح؛ ليقابلها كما يفعل تقريباً دائماً، ولا حتى يظهر في أي مكان كأنه مختبئ.

تسير جويًا ببطء في المنزل وهي تحاول أن تفهم ماذا حدث، تنير النور وتذهب إلى الصالة، ثم إلى المطبخ، ثم تذهب أيضاً إلى الحجرة الصغيرة لجدتها، وتجد عينيها جاحظتين كأنها مفزوعة.

وهكذا، تسير نحو غرفة أبويها، وهناك ترى أمها، تجلس على ضوء المصابيح الخارجية، منكمشة في وضع الجنين. ولم تكن بحاجة إلى أن تضيء النور، ولا إلى أن تقول لها: هل كل شيء على ما يرام؟ لأنها كانت تعلم بالفعل أن الرد هو «لا»، وأن لا شيء على ما يرام، وتعرف بالفعل أنه قد حدث من جديد، مرة أخرى، كما يحدث دائماً.

استدارت الأم ورفعت رأسها.

- أهلاً، أنت هنا؟ يوجد دجاج في المبرد.

- لا، لست جائعة.

- آسفة على الفوضى في الخارج. كان هناك... على كل حال...

- أعرف بالفعل ماذا كان هناك، لا داعي لأن تقولي لي.

- لكن لا، الأمر ليس كما تظنين أنت، فعلاً! لقد كنت أنا

التي...

ضغطت جويًا زر النور. أغلقت أمها عينيها لتحميها من

الضوء، كان وجهها كله أحمر اللون. وجنتها اليسرى، بصفة خاصة،

كانت عليها علامة، سبق لجويا أن رأتها مرات أخرى عديدة.

نظرت جويًا إلى أمها دون أن تقول أي شيء، ازداد فقط إيقاع

أنفاسها كأنها تشعر بالفزع. لا، الفزع ليس الكلمة المناسبة، لكن

الفزع والاشمئزاز معاً. إذا كان يمكنها اختراع كلمة ستكون فزعة

- مشمئزة.

- ماذا بك يا جروتي؟

- ماذا بي؟ ماذا بي؟

الآن تفتح أمها عينيها، والنور يؤلمها أكثر. تلمس وجهها،

والمناطق المصابة، كأنها تتذكر في تلك اللحظة فقط ما حدث. ثم

تقول فقط: آه، وتخفّض نظرها، ثم تستكمل: لكن حقاً يا جروتي،

أنا التي استفزته. كان هو فقط... وأنا لم يكن يجب أن...
 أو مات جوياب «لا» برأسها غير مصدقة، وكان يمكنها أن تدفع أي شيء ليكون ما تراه أمامها خلفية مسرح ما، تلك المصنوعة من الورق المقوى؛ لتتمكن من تمزيقها، وسحقها بقدميها؛ لتركل ما تراه أمامها، وجه أمها بتلك البقعة المثيرة للاشمئزاز، والملاءة التي لم تتغير منذ شهرين، والتراب على الطاولة الجانبية، والشعر المبعثر لتلك المرأة التي تثير الشفقة والرغبة في الصفح على وجهها معاً؛ صفعها على وجهها أكثر مما فعله فيها أبوها. كاتب السيناريو والمخرج أنتجا عملاً لا يمكن مشاهدته: حبكة مقرفة، والممثلون أسوأ. ليس بسبب الضرب ولا الدموع، ليس بسبب الكحول، وما إلى ذلك، لكن لأن كل شيء سهل التوقع. هذا هو بالتحديد الشيء الذي لا يسير على ما يرام. إن كل شيء يمكن توقعه، كل مشهد يمكن معرفة كيف سينتهي؛ وهذا هو الشيء المثير للحزن، أكثر شيء محزن.

- هل أعد لك شيئاً؟ هل أكلت؟

سألتها أمها، وكل ما استطاعت جوياب أن تفكر فيه هو أنها تريد بالفعل أن يكون (لو) موجوداً، أو يكون هناك، ربما لو استطاعت فقط أن تهاتفه، وأن تحكي له كل شيء، وتقول له ذلك الذي رآته، وأن تنهي مسألة «الأشياء الجميلة فقط» نهائياً، بل أن تحضره، وتصحبه ليرى الأشياء السيئة، وأن تحاول أن تصف له شكل عيني أمها المغلقتين بسبب النور، وذلك اللون الموجود على وجهها، وكم هو وغد أبوها، وكيف لا تستطيع غفران سذاجة أمها في تصديقه مرة أخرى، بعد أعوام يكرر فيها القصة الغبية نفسها.

إنها تفتقده.

تفتقد فتاها.

لكن أكثر من ذلك، تفتقد أن تطلع على بعض الأماكن، التي لم يأخذها إليها قط، وأن تذهب هي لترى الأماكن التي أزاحها بعيداً عنها.

للمرة الأولى، بطريقة تؤلم لها معدتها وذراعيها وقدميها، تشعر جويًا بأنها تريد (لو)، تريده هنا، وتريده الآن.

50

يدخل بوفه.

- صباح الخير يا أولاد. الآن أريد أن يأخذ كل منكم واحدة من تلك الأوراق.

يقول هذا وهو يمر بين المقاعد لتوزيعها. عندما يصل إليها، إلى جويًا، ويضع لها الورقة، يغمز لها، ثم يستمر في توزيعها على بقية الفصل.

يقول بوفه، وهو يقف أمام مكتبه: في أحد الأبحاث الإحصائية، نتج أن الأولاد، في الأعمار بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين، يعرف كل منهم، في المتوسط، 800 كلمة، كل منهم.

لا يوجد أي رد فعل في الفصل... بل لا، تشاءب أحدهم، وكانت باتًا تنظر في المرأة الصغيرة.

- للأسف لأن الإيطالي المثقف يعرف نحو 47 ألف كلمة. والخطورة هنا، أنه عندما تصبحون أنتم كبارًا، سيختفي عدد من تلك الكلمات. ستنقرض كما حدث للباندا ووحيد القرن.

قال بوفه، وهو ينظر إلى الوجوه الناعسة في الفصل. سأل أحدهم من نهاية الصف: أستاذ، هل وحيد القرن على وشك الانقراض؟

إلا أن بوفه لم يجبه.

- هل فهمتم، إذن، ما نحن بصدد عمله اليوم؟ وكانت وجوه الطلبة تقول: «لا، لم نفهم». نظر إليهم بوفه وكان يمكنه أن يغضب أو يتنفس بضيق، وأن يتصرف بالطريقة الكلاسيكية للأساتذة؛ وذلك من خلال تعبير يظهر على وجهه يعني: «يا له من فصل بشع! إنكم أسوأ من دراستهم، إلخ»، لكن بوفه هو بوفه: لا يفعل ذلك إطلاقاً، بل عندما يتجاوز جهل تلاميذه كل الحدود التي اكتشفها الإنسان، لا يتعامل معهم بطريقة سيئة مطلقاً، لا يسخر منهم، ولا يلقي بنكات لاذعة، بل يتسم، تقريباً كأب يرى ابنه يسقط متعثراً دون أن يؤذي نفسه.

- الآن، سنقوم بعمل شيء كالصندوق العالمي للطبيعة⁽¹⁹⁾، لكن للكلمات. سننقذ بعضها. كل واحد منكم سينقذ كلمة. كلمة سيتبناها كل منكم الآن، وستلتزمون بأن تستخدموها قدر استطاعتكم، وأن تشرحوا معناها لمن يسألهم عنها.

اعترض كازالي: لكن حضرتك لست أستاذ اللغة الإيطالية!

- «بالتأكيد يا سيد كازالي»، أجابه بوفه، وهو يتسم وينظر إلى زملائه، «لكن هل إذا أهديتك الآن 100 يورو ستقبلها؟».

- بالتأكيد يا أستاذ، هل هذا سؤال!

- حسناً، لكنني لست ورقة يانصيب!

تضحك جويًا، لكنها الوحيدة.

- أستاذ! لقد ألقيت عن طريق الخطأ بورقتي!

قال بوتشا، رفيق كازالي على المقعد، وذراعه اليمنى، إذا كان ذلك هو التعبير الأصح، نظراً إلى أن كازالي لا يعطيه سوى اعتبار الإصبع الصغير في قدمه اليسرى.

(19) WWF اختصار لـ WORLD WIDE FUND FOR NATURE؛ وهي منظمة دولية غير حكومية تعمل على الحفاظ على البيئة.

- حسناً، أيها السيد العزيز بوتشا، هذا يعني في تلك الحالة أن الكلمة التي ستتناها هي «ثلاث».

- لكن «ثلاث» يعرفونها جميعاً، وليست في طريقها إلى الانقراض! اعترض بوتشا، الذي لم يكن قد انتبه حتى هذه اللحظة؛ لأن الأستاذ قد فتح دفتر التسجيل. وانطلقت الضحكات، من الجميع هذه المرة.

سأله كازالي: لكن يا أستاذ، ماذا عن معناها؟

- «لنقل هكذا»، أجاب بوفه، بينما يُخرج من الخزانة معجماً ضخماً ويضعه بوضوح على مكتبه، «عندما يتبنى أبوان طفلاً، في رأيك، هل يذهبان لاستقباله في المطار أو يستلمانه من الملجأ، أم يرسله أحدهم لهما إلى المنزل؟».

- ماذا؟

- ستجد مُعجماً، وستبحث عن المعنى!

تنفس كازالي بضيق، والتفت نحو سارا كوستا، جهيذاً الفصل، وسألها: ما معنى «الذاتوية؟»، لكن كوستا لم تجبه.

أخذ باقي الفصل، في أثناء ذلك، كلٌّ في قراءة الكلمة المكتوبة على ورقته. بعضهم بدأ في همسها، آخرون سألوا مَنْ بجوارهم: وأنت ماذا لديك؟ وآخرون أخذوا يرددونها بصوت مرتفع، دون أن يعرفوا بالتحديد بما نطقوا. وهكذا، لبضع ثوانٍ، كانت تُسمع أصوات تقول أشياء، مثل: «يُناصر»، «فصاحة»، «رجعي»، «بوادر»، «تقطير»، «جسيم»، «اشراب»، «وفرة»، إلخ، ووقع ذلك يعجب جوياء، حتى إن كانت كلها كلمات لا تعرفها، لكنها كانت تجد مجرد الاستماع إليها جميلاً، ومعرفة أنها موجودة، وأنه توجد أشياء لا تعرفها ويمكنها تعلمها، يوماً ما، وهذا نزع عنها التفكير في (لو) لثوانٍ، أو على الأقل أبعد.

- وحضرتك يا آنسة سبادا، ما كلمتك؟
 سألها بوفه وهو يتسم، وعندئذٍ فقط تكتشف جويًا أنها
 لم تكن قد قرأتها بعد. وهكذا، تفتح الورقة التي تجد مكتوباً
 فوقها: «يُهر».
 - «إذن، ما يجب عمله الآن إنقاذ هذه الكلمة من الانقراض.
 اكتشفي معناها، ثم استخدمها كلما استطعت!» قال لها بوفه.
 ومن الصف الأخير يقول بوتشا: إذن، هل يجب عليّ أن أردد
 «ثلاث» باستمرار يا أستاذ؟

51

يُهر: فعل متعدّد، يعني ضوءاً قوياً يقترب من العين ويعوق
 الرؤية مجازياً؛ بمعنى الخداع: بعض الجمال يبهر الذهن، يستحوذ
 عليه ببريق مزيف. يمكن أن يكون مرادفه: يسطع أو يخدع.
 يسطع أو يخدع في كلمة واحدة: يبهر.
 - بعض الجمال يبهر الذهن، يستحوذ عليه ببريق مزيف.
 تسير جويًا سبادا في الردهة، وفي أثناء ذلك تكرر باستمرار
 «يبهر»، بصوت منخفض، كأنها تريد استيعاب معناها بطريقة
 أفضل، وأن تجعلها كلمتها. وأخذت تتساءل إذا كانت هذه الكلمة
 قد وصلت إليها بمحض المصادفة، لكن ما توصلت إليه، بينما
 تجبر نفسها على تناول بعض المقرمشات، وتعيد التفكير في ابتسامة
 بوفه وهو يقدم إليها الورقة، هو نفي هذا.
 ورأت من بعيد البروفيسور بوفه جالساً على مقعد يقرأ كتاباً:
 العالم كإرادة وتمثيل. ربما هذه المرة أخذته القراءة، ونسي أن يقوم
 بطقسهما اليومي، فذهبت هي إليه.
 - هل يمكن أن أجلس هنا دقيقتين يا أستاذ؟

- بالتأكيد يا آنسة سبادا.

- اليوم كنت أريد أن أسأل حضرتك...

- أجل.

قاطعها هو دون أن يرفع نظره عن الكتاب.

- أجل ماذا؟

- أجل، من الممكن.

نظرت إليه جويًا وهي تقطب حاجبيها.

وهو في هدوء، وعينه لا تزالان تنظران إلى الكتاب: أجل يمكن

أن يبرق شيء بشدة حتى يخدعنا. أي ضوء عندما يزيد على الحد؛

يتسبب في اضطراب في الرؤية.

نظرت إليه جويًا بفم مفتوح.

وعينه لا تزالان فوق الكتاب، أكمل: وأعطيتك هذه الكلمة؛

لأنني أعرف أنك مهووسة بالكلمات التي تصعب ترجمتها بكلمة واحدة.

- حقًا؟

- أجل؛ فهي كلمة تعني الضوء الشديد جدًا الذي يسبب الألم؛

وهذا أيضاً ممكن؛ ولهذا لا ننظر إلى الشمس مباشرة؛ لأن هذا

يؤلمنا. وليست مصادفة أن الإبهام يمكن أن يتحول إلى تعذيب؛

فالضوء الشديد عن اللازم، والسعادة الزائدة عن اللازم، يمكنهما

أيضاً أن يكونا نوعاً من التعذيب.

مكثت جويًا هناك، وقد خفضت عينيها، في وسط أصوات

الأكل والضحكات. كانت تريد أن تطرح عليه سؤالاً، لكنها لم تجد

الكلمات. تعرف أنها تريد أن تسأله عن شيء ما، لكنها لا تعرف

ما هو. وفي ذلك الوقت، أغلق بوفه الكتاب، نهض وقال، قبل

أن يذهب وهو يصفر: على كل حال، إذا تذكرت، كلنا نُخدع،

دائماً، وكل يوم، لكن من الأفضل أن نُخدع بالضوء الشديد وليس بالظلام.

52

أول مكان ذهبت إليه لتبحث عنه هو حانة فيها ركن لرمي السهام.

وصلت إلى هناك وفكرت كم يبدو مختلفاً تماماً في أثناء النهار... الضوء، المسنون الجالسون على الموائد في الخارج ويلعبون الورق. تدخل بخجل، وتتوجه إلى طاولة البيع؛ حيث توجد فتاة تغطيها الوشوم، منهمكة في تشغيل غسالة الأطباق.
- من فضلك.

- الحمام من هناك، لكن للدخول يجب أن تطلبني!
تقول لها دون حتى أن تلتفت.
- لا، في الحقيقة، أنا هنا لأنني بحاجة إلى معلومة.
الفتاة، التي تبدو كأنها النسخة النسائية من مغني روك، تتنفس بضيق، وتلتفت للمرة الأولى وتنظر إليها في وجهها، ويبدو عليها الضيق.

- ماذا تريدان؟
- أبحث عن... أبحث عن فتى.
- صغيرتي. لست الوحيدة، لكن إذا كان لديك أمل في العثور عليه في حجر عفن كهذا، سيكون بحثاً عسيراً! هنا لا يوجد غير أرباب المعاشات والمُدمنين!

- لا، في الحقيقة أنا...
- آه، حسناً، أجل، في بعض المرات يكونون أيضاً على المعاش ومُدمنين، لكن يجب أن تكوني محظوظة.

- لا، اعذريني، أنا لم أوضح نفسي جيداً. أعرف مَنْ الذي أبحث عنه، إنه فتى يأتي إلى هنا من حين إلى آخر ليلعب بالأسهم.
- آه فهمت، لا بد أنه أحد هؤلاء الذين يهربون من المدرسة ويأتون إلى هنا طوال الظهيرة، ويتسببون في ضوضاء لا أتمكن بسببها من وضع الطفلة لتنام. ما اسمه؟
- اسمه لورينزو، لكنهم ينادونه (لو).
- جري وانظري، ربما يكون أحد هؤلاء المنحوسين هناك.
- قالت لها فتاة البار وهي تشير إلى صبية يلعبون بالأسهم في الخارج.
- ألقت جovia نظرة، لكنها رأت على الفور أن (لو) ليس بينهم، لكنها لم تكن تتوقع أن تراه، على كل حال.
- لا، ليس هنا، لكنه يأتي إلى هنا في أثناء الليل فقط.
- رفعت فتاة البار عينيها نحو السماء. وحتى إن لم تنطق بها، فكان يمكن سماع كل اللعنات التي تمر في ذهنها.
- في الليل.
- أجل.
- إذن، فأنتِ تقولين لي، إذا لم أفهم خطأ، إنه يوجد وغد يأتي إلى هنا في الليل، ويتسلى بأن يلعب بالسهم في حانتي؟
- مم... أجل.
- ولنسمع هذا، هذا الغبي، الذي يحمل أغبى اسم سمعته على الإطلاق، يأتي كثيراً إلى هنا؟
- لا أعلم، لكني أعتقد هذا.
- حسناً، إذن، اصنعي لي معروفاً، وقولي له إنني إذا أمسكت به يلعب في حانتي، ليلاً، فإن الأسهم سأضعها في كل ثقب في جسده!
- وبينما تقول هذا كانت تبدو جادة جداً، بل لنقل إنها كانت

تبدو كشخص لم يمزح قط في حياته. وفهمت جويًا أن الأمر لا يسير على ما يرام، وتأهبت للرحيل، لكنها عندما وصلت إلى الباب توقفت وسألتها مرة أخرى: إذن فحضرتك لم تري قط أي شخص يُدعى لورينزو، أو (لو)، في تلك الأنحاء، في الفترات الأخيرة؟ تنفست فتاة المشرب، كأنها تتمالك أعصابها، ثم أجابتها: لا يا بنيتي. لا يوجد أي وغد يُدعى (لو). على كل حال، ابتعت المكان فقط منذ ستة أشهر. والآن، إذا لم يكن لديك مانع، ولن يتسبب في إزعاجك، أرجو أن تغربي عن وجهي.

53

في الحديقة، وفي شوارع وسط المدينة، وعلى سطح المنزل؛ حيث تضاجعا، في كل مكان.

وفي قائمة أرقام الهاتف، لا يوجد أي (فيتا). ربما سيكون الاسم الموجود على قائمة أرقام الهاتف اسم أمه، ولا يوجد أي أمل في أن تعثر على عنوانه.

ولا أثر له أيضاً على مواقع التواصل الاجتماعي. حاولت أن تبحث من خلال الحاسوب في المنزل، عن طريق حساب أمها، على «إنستغرام» و«فيسبوك»، وكل وسائل التواصل الاجتماعي الممكنة. فعلت ذلك في أثناء نومها، لكن لا شيء، لا يوجد أي شخص باسم لورينزو فيتا.

والآن هي هناك في الشارع، على أمل أن تلتقي به مصادفةً في أي مكان، على الرغم من أنها تعرف أن هذا لن يحدث.

جويًا سبادا، وقدمها تغليان في حذاءيها من المشي الكثير، وفي كل مرة يبدو هو هناك، في كل فتى يرتدي كنزة بقلنسوة، وجميعهم يكونون (لو) لمدة أقل من ثانية، جميعهم فتاهًا، ثم

يصبحون شخصاً آخر؛ ذلك الذي يقلب معدتها الآن، هو أن هذا يجعلها تشعر بأنها أغبى فتاة على وجه الأرض، بل في النظام الشمسي، والكون كله.

إلا أنها تعرف أنه موجود؛ لقد رآته ولمسته وقبّلتها، وشعرت به في داخلها. وأيضاً إذا كان الدليل الوحيد على وجوده هي تلك الكنزة التي أهداها إليها، فإن أدلة كثيرة محفورة عليها، ومحفورة في داخلها، على قلبها ورثتها؛ فهو في كل مكان.

وليست هذه فكرة جيدة، خصوصاً أن جويًا تشعر بأنها لا بد أن تكرهه، لكنها لا تستطيع ذلك. هناك شيء يحدث في الثانية السابقة للكراهية. مثل ذلك الشعور بأنها تريده هنا، وتشعر بالعطش والجوع نحوه، لطعم قبلته، ولون عينيه، لابتسامته تلك الساحرة، وعندما يناديها (شيء)! ليده في يدها، وعندما تكون السماء الزرقاء فوق رأسيهما، لقلنسوته السوداء، ونكاته، له هو نفسه.

لكنها ليست المرة الأولى التي يحدث هذا لها. أن تعرف أن عليها أن تشعر بشيء ما، لكنها لا تستطيع. إنه الشيء نفسه مع أمها. تعرف أن عليها أن تكرهها بسبب كل ما تفعله وفعلته وستفعله، لكن لا فائدة. في النهاية، في الثانية السابقة للكراهية، يحدث دائماً شيء آخر. وهكذا، بينما تسير وتشعر بالفعل بتعب قدميها، أدركت أنها تشعر بنوع من الحنين لفترة ما قبل وجود (لو)، قبل أن تعرفه وتتحدث معه وتقبّله ويتضاعفاً؛ لأنها في تلك الفترة السابقة لم تكن تشعر بأي ألم. لم تكن بخير، لكن على الأقل لم تشعر بمعدتها مقفولة هكذا، ولا بأي أمل أحمق بأنه خلف كل كنزة سوداء بالقلنسوة ستجده. وهذا الشيء يغضبها حالياً.

الآن تشعر بالغضب نحوه، ليس لأنه اختفى، ولا حتى لأنه ربما كل ما أراده منها أن يحملها إلى الفراش ثم يتركها هناك، لكن

لأنه جعلها تصدق في وجود ذلك الشيء، أنه ممكن، وليس مجرد كذبة اخترعها المؤلفون وكتّاب السيناريو، وأنه في مكان ما، يوجد شخص ما، والآن تلك الخدعة الكبرى، اختبرتها جويا، وتعرف أنه لا شيء يمكنه أن يقارن بهذا. الآن لن يعود أي شيء كما كان، في البداية كانت كل الأشياء متشابهة، الآن تعرف أن هناك شيئاً ما يمكنه تحريك الركود، هذا الشيء بالفعل موجود؛ وهذا هو ما يجعل معدتها تعتصر أكثر من أي شيء، فقد رأت النور الذي أبهرها؛ وهذا هو العذاب؛ فذلك الضوء الشديد جعلها تشعر فجأة بالحنين إلى الظلام، وتضغط على أسنانها، وتنفخ الهواء من أنفها، وتغضب أكثر وأكثر، وانتابها الرغبة في أن تكيل اللكمات لكل شيء، ولكل شخص. وعندئذٍ بدأت جويا، التي لا تستطيع أن تكيل اللكمات، في ما هو أقرب لذلك، أمسكت بآلة التصوير وبدأت في التقاط الصور، بطريقة عشوائية، بعصبية، وبغضب، ولم يهتمها إذا كانت من الوجه أو من الخلف، أخذت تضغط على الزر وتصور كل شيء والجميع، وهي تسير، بل تجري تقريباً. لاحظ الناس ذلك، بعضهم نظر إليها بغضب، لكنها لم تهتم، بل استمرت، وصورت أخرى صوراً بمنزلة لكمات ضد الريح، حتى أمسك شخص، تقريباً في الخمسين من عمره، يرتدي ربطة العنق ويمسك بحقيبة في يده - أمسك ذراعها وقال لها: أنت، لماذا التقطت لي صورة؟

أبعدته جويا عنها وهربت، أخذت تجري وآلة التصوير في يدها، وبينما هو يصيح بشيء ما، ذهبت هي، وفي أثناء هروبها استمرت في التقاط الصور، كلها عشوائية، بالمصادفة، حتى وصلت إلى الميدان المركزي، ووجدت مقعداً وجلست عليه.

أخذت جويا تتنفس بسرعة.

وبدأت نقطة ماء تسقط من عينها اليسرى، ولم تكن عرقاً.

أسندت رأسها إلى ظهر المقعد، ونظرت إلى أعلى.
ثلاث ثوانٍ.

ثم قالت: كم أنا حمقاء! وهي لا تزال تنظر إلى فوق.
وضعت آلة التصوير في حقيبتها. نهضت وذهبت مباشرة نحو
المبنى الذي كانا فيه معاً.

54

جلست على الأرض فوق السطح، تماماً في المكان الذي رأت فيه
منذ يومين، في جزء من الثانية، مخرج النفق.
كان لديها قلم رصاص في يدها وورقة. أخذت تعض القلم الرصاص،
وهي تنظر إلى أسطح البنايات الأخرى، وهوائيات التلفزيونات،
والأسلاك الكهربائية. وكانت الورقة صفحة نزعته من مفكرتها.
عندما انتهت من الكتابة، أخرجت عبوة من الألوان الرشاشة
كانت قد ذهبت لشرائها منذ خمس دقائق بالنقود القليلة التي
كانت في جيبها، ووضعتها في حقيبتها، ثم صعدت إلى فوق. كتبت
على الجدار: «إلى لو»، ورسمت سهماً يشير مباشرة إلى ثقب في
الجدار، ووضعت الورقة هناك في الداخل.

ماذا يا أداة التعريف!

أنا لا أعرف ماذا حدث.

ربما خطفك أحدهم وأخفاك في كهف ما أسفل الأرض في انتظار
أن يدفع أبواك الفدية، من يدري!

على كل حال، أحتاج إلى أن أتكلم معك. إذا أردت، وإذا كنت
ما زلت فتاتك، اتصل بي في المنزل، أو اكتب لي على هذه الورقة.

سلام

جويا

قبل أن تكتب «جوبا»، مكثت 10 دقائق كاملة لتفكر إذا كان يجب أن تكتب قبلها «فتاتك»، وخلفها فاصلة. ووضعت أيضاً طرف القلم الرصاص على الورقة على الأقل سبع مرات، دون أن تكتبها قط، ثم قررت ألا تضعها. حتى إذا كانت هي تشعر بذلك، لا تعرف إذا كانت كذلك بالفعل، وعلى كل حال، لم تكن تريد أن يعتقد هو أنها لا تزال فتاته. ليس بهذه السهولة.

وبينما تضع الورقة في الثقب، فكرت في أن تلك الحيل لا تعجبها على الإطلاق. ربما تسير الأمور هكذا بالنسبة إلى الجميع، ربما هكذا تسير الأمور ببساطة، ويجب أن يتظاهر المرء بأنه يهتم أقل من الحقيقة؛ لأنه إذا أظهر الاهتمام الحقيقي، ربما فقد الطرف الآخر اهتمامه. وبالتأكيد، هناك في أسفل الآن توجد آلاف الفتيات والفتية مأخوذتين بتلك الطريقة في التفكير، ويرسلون رسائل بالهاتف لأصدقائهن أو لصديقاتهن، بها عبارات مثل: «في رأيك، ماذا ينبغي أن أقول لها؟».

ربما هكذا تسير الأمور، لكن هذا لم ينجح في أن يمحو من وجهها تعبير ضيق وإحباط، وهي تعيد وضع الورقة المطوية في فتحة الجدار.

لا، لا تريد أن تسير الأمور هكذا، على الأقل بالنسبة إليها. لا تحب تلك الألعاب.

لكن في الوقت نفسه كان لديها الشعور بأنها ليست بحاجة إلى ألعاب. (لو) سيقراً الورقة، لكنه لن يكتب لها. كانت تشعر بهذا. ربما يتقابلان بالمصادفة، يوماً ما... عندئذٍ سيتظاهر كل منهما بأنه لم ير الآخر، وسيلتفت كل منهما إلى الجهة الأخرى، وسيضع كل منهما على وجهه تعبير اللامبالية، ثم سيذهب كل منهما في طريقه.

هذه هي النهاية.

ألقت جويًا نظرة أخيرة على السطح، كأنها تودعه، ورحلت.

55

مرت سبعة أيام.

وإذا أردنا التصنيف، كانت أبشع سبعة أيام في حياة جويًا سبادا، وكان صراعاً رهيباً في التصنيف، نظراً إلى الأيام البشعة الأخرى التي عاشتها جويًا في حياتها، وكان من الصعب أن يكون هناك شيء أبشع، لكن (لو) استطاع ذلك. عبقري.

قالت جويًا وهي بمفردها في الفراش، تنظر إلى شاشة المنبه التي تشير إلى العاشرة واثنيتي عشرة دقيقة مساءً: تهائياً يا (لو)، لقد استطعت أن تهزم الخبيرين النائمين على الأريكة!

ثم العاشرة وثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة. لا توجد أي مكالمات، لا يوجد أي أثر.

وفي اليوم التالي، عادت جويًا إلى السطح بعد الانتهاء من المدرسة، لم تمر حتى على المنزل. كان المصعد مُعطلاً، وصعدت السلم ثلاث درجات في الخطوة الواحد حتى الطابق الأخير، ووصلت إلى فوق وكانت رثتها، عملياً، في حنجرتها، يغرقها العرق، وفي الثقب كانت هناك ورقة مطوية، ورقتها، وفي أسفل كان يوجد رد:

«لقد أخطأت، أنا آسف.

لم يكن عليّ أن أسرع الخطى بهذه الطريقة، لم يكن عليّ أن أخدعك.

أنا أمر بلحظة مجنونة، ربما لاحظتِ هذا أنتِ أيضاً. لا أريد أن أخذكِ معي داخل ظلامي. أؤكد لكِ أنه ليس مكاناً جميلاً. آسف مرة أخرى.

لو».

لم يخطفوه إذن، ولا يوجد كهف أسفل الأرض، ولا فدية، ولا توجد موانع لا يمكن تجاوزها، مثل الموت المفاجئ للأهل، أو طائرة سقطت في وسط حجرته. (لو) كان ببساطة شخصاً مثل أي إنسان آخر، أو كما قالت لها تونيا: وغد مثل كل الآخرين. بل، وربما أسوأ؛ لأنه من بين كل مَنْ كان يمكنه خداعهن، إغواؤهن، ثم تركهن بلا تحفظ، اختار الوحيدة التي لم تكن تعرف أي شيء عن هذه الأمور، وعن تلك الألعاب.

وبهذا العذر السخيف والمثير للشفقة: لا أريد أن آخذكِ معي إلى ظلمتي. كأنها هي، جويا، لم تكن تنتظر أن تقفز في ظلامه، وأن تُطلعه على ظلمتها الخاصة.

لم يكن الأمر مثل سرقة الحلوى من طفل. لقد اختار (لو) أن يذهب ليسرق الحلوى من طفل أصم، أعمى وقعيد.

- حيوان.

علقت تونيا.

- هيا، تسلي يا تونيا.

- أتسلي بماذا؟

- بأن تقولي لي «لقد قلت لك». إنها فرصتك الكبيرة، لا تضيعيها!

ولكن حتى تونيا لم تشعر بالرغبة في التصرف بقسوة. كانت جويا بمفردها تفكر بالفعل في أنها مثلها مثل أي غبية.

وكانت فكرة «أي» تلك هي التي تؤلمها أكثر. أن تكتشف أنها ليست مختلفة. كانت جويا تشعر طوال حياتها بأنها مختلفة، لكن أن تكتشف أنها تماماً مثل كل الأخريات، هو تقريباً مثل الاشتراك في مسابقة شعر، وأن يعتقد المرء أنه كتب قصيدة شعر جميلة وفريدة من نوعها؛ ليصل إلى هناك ويجد أن جميع المتسابقين قد كتبوا القصيدة نفسها.

وهكذا أيضاً في تلك الليلة، بعد سبع ليالٍ، تجمدت جويًا هناك في فراشها، بالتأكيد تعرف أن هذا سينتهي عاجلاً أو آجلاً، بأنها ستستيقظ ولن تفكر في هذا الأمر، إلا أنها كانت ممددة هناك؛ لتذوق تلك السعادة اللا متناهية بأن تشعر بأنها استُغلت ثم أُلقي بها.

- لكن...

تسمع صوت تونيا، في لحظة ما، من مكانها المعتاد على الأرض بجوار الفراش.

- ماذا حدث؟ هل قررت أن تضايقيني في النهاية؟
- لا، الأمر أنه... أريد القول... ربما كان فلان بالفعل في وضع مزر!

- بالتأكيد. أرى هذا بالفعل، شخص مثله، متورط في عملية دولية لتهديب المخدرات! أو يبحث عنه جواسيس المخابرات الروسية!

- لكن لا. ربما موضوعه هذا مع أبيه شيء جاد بالفعل، ربما فهم أنه يخاطر بأن يعرضك للخطر، أو شيء من هذا القبيل! ربما أراد حمايتك!

تنهدت جويًا سبادة بقوة تجاه السقف، وهي تفكر في أنها في المرة القادمة ستختار صديقة متخيلة تتركها لتنام في الليل، ثم أصدرت حفيفاً، وهي تنظر إلى السقف: كفى! ونهضت فجأة، ارتدت ملابس سوداء، فتحت باب غرفتها، وكانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة وأربعين دقيقة.

56

ترتدي سترة، وتنزل السلم على أطراف أصابعها، ممسكةً حذاءيها في يدها. هناك في الصالون والداها في حالة شبه غيبوبة،

والتلفزيون يعرض أحد الأفلام. تضع يدها على مقبض الباب، وتخفضه بحذر ببطء شديد، ثم تذهب إلى الخارج، نحو المشرب. الوقت متأخر، ومن الصعب أن يكون هناك، لكن ربما. تشعر جويًا بأنه سيكون هناك، لا تعرف لماذا، تشعر بذلك فحسب. وهكذا تذهب جرياً.

عندما تصل على بُعد مائة متر تتوقف عن الجري. لا تريد أن يسمعها، إذا كان هناك يلعب بالأسهم. تبدأ بالسير على أطراف أصابعها، وهي حريصة على ألا تطأ أوراق شجر أو لحاء، أو أي شيء يمكن أن يتسبب في ضوضاء.

هذه المرة هو موجود، تشعر بذلك. هذه المرة ستراه، وأخيراً ستتمكن من أن تسأله ماذا يحدث، وأي المصائب حلت عليه؛ لأنها لا تخاف من الظلام، ربما تخاف من أشياء كثيرة، لكن ليس الظلام. ولكن لو اكتشفت أنه كان بالفعل يخدعها، يمكنها أن تغطيه باللكمات والصفعات وتبصق في وجهه.

- لأنه يمكن أن يحدث أن يخدعنا أحد، وربما نستطيع أن نتقبل الألم والخجل من النظر في المرأة ورؤية أنها ليست سوى واحدة سقطت مثل الأخريات، لكن على الأقل يمكنها أن تحصل على بعض الراحة عند إهانتها، وربما تحطيم وجهه واستخدامه كهدف للأسهم. هذا من حقي.

قالت هذا لتونيا، في أثناء سيرها. اقتربت أكثر، وعلى بُعد عشرة أمتار، ثم على بُعد خطوة من مدخل الشرفة.

ضوضاء، ربما لخطوات.

إنه هو، هي متأكدة من ذلك. سمعها تصل، وها هو الآن يحاول أن يهرب من الخلف. عندئذٍ دخلت جويًا جرياً، كأنها

تتبعه، خطت بقوة فوق الألواح الخشبية للشرفة، وتجاوزت السور الذي يوجد بعده جهاز اللعب بالأسهم، وبمجرد أن التفتت واثقة بأنه هناك يحاول الهروب، ودون أن تعرف، وجدت نفسها ووجهها على الأرض، وأنفها أفتس في أحد الألواح. ما هذا الذي حدث؟ كيف وقعت؟ لم يكن هنا أي شيء لتتعث فيه.

ثم سمعت صوتاً يقول من خلفها: آه، أخيراً! أنتظر هذه اللحظة منذ أسبوع!

كان صوت امرأة، وشعرت جويًا بأنها تعرف هذا الصوت. رفعت وجهها من الأرض، بشفتيها تغطيها بالأتربة، ومن يدري بماذا أيضاً، أخذت تنظف نفسها بيديها، والتفتت، ووصل ضوء مصباح مباشرةً إلى عينيها.

57

قال الصوت، الذي تعرفت إليه جويًا الآن بالتأكيد: آه، لكن إنها أنت! يا... يا للواقعة!

- لماذا، من كان يجب أن أكون؟

- لا أعلم، أنا هنا؛ لأنني أنتظر أحد الذين حطموا جهاز الأسهم. هؤلاء الأوغاد!

رفعت جويًا نظرها وكانت المرأة المغطاة بالوشم، صاحبة المشرب، تشير بالضوء تجاه الجهاز وقد تحطم بالكامل.

سألت جويًا: لكن متى حدث هذا؟

- الأسبوع الماضي، وصلت في الصباح، وعثرت على هذه الهدية الجميلة، وتذكرت أنك قلت لي إن هناك أحداً يأتي ليتسلى باللعب هنا ليلاً. وهكذا، منذ أسبوع أنام هنا مختبئة في انتظاره؛ ليتذوق هذه.

قالت هذا ورفعت عصا يبسبول يغطيها الغراء ملتصقة عليها
قطع معدنية.

وسألته جويًا: وكيف تعرفين أنني لست أنا من فعل هذا؟
- أعرف هذا لأنني أعرفه. لا يبدو عليك أنك ممّن يفعلون
هذا. أعمل في الحانات منذ عشرين عاماً، ويمكنني أن أميز وجوه
الأشخاص.

أجابته المرأة وهي قد لها يدها لتساعدها على النهوض، ثم
جلست أمام مائدة، وضعت المصباح وأخذت تعبث بشيء ما.
اقتربت منها جويًا وفهمت أنها تلف سيجارة.
سألته المرأة: وأنتِ اشرحي لي ماذا جاء بكِ إلى هنا في هذه
الساعة من الليل؟

أجابت جويًا: إيه...
- آه، فهمت. ما زلتِ خلف ذلك الشخص ذي الاسم الغبي.
لم تقل جويًا شيئًا، فالإجابة معروفة.
بدأت المرأة تقول لها وهي تشعل السيجارة: اسمعي، يمكن
لأي شخص أن يقول لكِ إنكِ غبية؛ لأنكِ تجرين خلف شخص
اختفى، أما أنا فلا!

قالت وهي تنفخ سحباً من الدخان.
- يسعدني هذا؛ لأنني أول من يقول لنفسه هذا.
قالت جويًا، التي اندهشت مما خرج للتو من فمها، خصوصاً
من واقع أنها تحدثت أمام امرأة لا تعرفها. من يدري، ربما يكون
السّر في تلك الشرفة السخيفة. ربما تكون مسحورة؛ لذلك تفتح
هي فيها على الغرباء.
- لا يا... قالت المرأة، ثم صمتت لتقول لها اسمها.
- جويًا.

- لا يا جويا، بالنسبة إليّ لست غيبة على الإطلاق، إنكِ فقط تتبعين قلبك، كما هو واضح، والقلب ليس غيباً، حتى إن كان الجميع يقولون لنا عكس هذا. هل تريدین؟

سألتهما وهي تقدم إليها السيارة. أشارت جويا لا برأسها، ثم من جديد، ومن دون أن تعرف جيداً السبب، حكّت لها كل شيء، منذ اللقاء الأول في هذا المشرب، حتى الإطار الذي أهدها لها، وصولاً إلى الرسالة الأخيرة التي تركها. حذفت فقط التفاصيل الحميمة، والوصف الدقيق لما حدث فوق السطح.

في النهاية، قالت لها صاحبة المشرب: آه، ليست سيئة كأول قصة في حياتك، لنبدأ على الفور بوضع الكرامة في السلة، حسناً جداً. أنا مخطئة، أليس كذلك؟ سألتها جويا.

- لا، على الإطلاق! كل هذا سيفيدك في أن تفهمي، سترين.

- ماذا؟

- من يستحق ومن لا يستحق؛ لأنه سيكون هناك شخص ما يستحق منك أن تتنازلي قليلاً عن كبريائك.

- آه فعلاً؟

- بالتأكيد، ليس لدرجة أن تخرجي في الليل للبحث عنه، لكن

يوجد.

قالت المرأة، وضحكت جويا، ثم ضحكت المرأة. ضحكت جويا؛ لأنها بمجرد أن حكّت القصة كلها شعرت بأنها خفيفة بعض الشيء، وربما ضحكت المرأة بسبب السيارة. وكلما زادت المرأة في الضحك، ضحكت جويا، ومكثتا هكذا تضحكان هناك في الظلام، وتعالى صوتهما، حتى إن النور أضاء في بعض المنازل أمام الباب.

- عودوا إلى سباتكم، يا أيها الأموات الأحياء!

صاحت المرأة، وهي تطفئ السيارة.

- على كل حال اسمي جوفانا، ويمكننا أن نتعامل بلا ألقاب.
 قالت وهي تمد إليها يدها.
 تصافحتا، ثم نهضت جويًا لترحل.
 - بمناسبة هذا الشخص، ذي الاسم القصير.
 - (لو).

- أجل هو. لقد اشتريت هذا البار منذ ستة أشهر، لكنني
 فكرت ربما يعرفه المالك السابق؛ الشخص الذي باعه لي. اسمه
 ماريو بريندا، ويعيش في آخر هذا الشارع؛ ذلك المنزل القديم
 جدًّا الذي يبدو مهجورًا.
 - في رأيك، لا بد أن أذهب إليه؟
 - ربما تكتشفين أنه اختفى بهذه الطريقة؛ لأنه بالفعل في
 كارثة، أو ربما تكتشفين أنه مجرد وغد، لكن من الأفضل أن تنزعي
 عنك أي شك، أليس كذلك؟

58

يشبه المنزل ذلك الذي سكنه نورمان بيتس في فيلم «سايكو»⁽²⁰⁾،
 إلا أنه يبدو أقدم: مرتفع، ضيق، بسقف ذي طرف حادّ، كأن المبنى
 كله تكثف وضُغَط رأسيًّا، وعلى البوابة قرأت جويًا لافتة:
 الرب يسامح، توبي لا.
 وكانت الصورة لكلب دوبرمان، أنياه واضحة جدًّا، والنظرة
 المربعة لكلب مزق للتو ساعي البريد إربًا.
 كانت الأعشاب مرتفعة في الحديقة الصغيرة، ربما كانت المرة
 الأخيرة، التي قطعوها فيها هي عندما مات كيرت كوبان⁽²¹⁾.

(20) Phsyco: فيلم رعب أمريكي من إخراج وإنتاج ألفريد هيتشكوك العام 1960.

(21) Kurt Cobain: مغن أمريكي مات العام 1994.

الخلاصة، لم ييّد البيت مسكوناً من حالته السيئة. كانت جويّا على وشك أن تضغط الجرس عندما سمعت كلباً صغيراً ينبح، لكنه كان مثل نباح مزيف، وكان الكلب في الواقع نوعاً من الكلاب الضالة مغطى بالشعر وحجمه مثل الجرو، اقترب منها ووقف على قدميه أمام المدخل، واستمر في النباح، كأنهم قد خصوه للتو.

فكرت: ربما كان كلباً آخر لديهم، بخلاف تويي الدوبرمان السفاح.

من يدري كيف يمكن لكلبين مختلفين هكذا في الحجم أن يتعايشا؟! تساءلت جويّا، بينما تحييه، وتربت عليه، وأجابها الكلب بأن هز ذيله ولحق كف يدها.

- أنت أيها الصغير، كيف حالك؟ وأين صاحبك؟

- اتركي تويي في حاله!

سمعت صرخات من الباب، صوتاً أجش لمسّن، قرين مورجان فريمان⁽²²⁾، إلا أنه أقصر بكثير، ولون بشرته أبيض.

نظرت جويّا لثانية إلى الكلب الصغير، الذي لا يزال واقفاً يهز ذيله، ثم إلى صورة الدوبرمان ذي الأنياب، ثم مرة أخرى إلى الكلب الصغير.

- قلت لك إنني لا أصدق ديانتك! اتركوني في حالي!

سبق واعتقد بعضهم أنها مدمنة مخدرات، أو متشرّدة، لكن لم يحدث لها قط أن اعتقد أحدهم أنها من شهود يهوه.

- لا، انتظر، إنه سوء تفاهم، أنا لست من...

- في كل الأحوال لا يهمني؛ فأنا لا أبتاع شيئاً، لا ديانات، ولا

مكانس كهربائية. ولا تلمسي تويي!

(22)Morgan Freeman: ممثل أمريكي.

صاح فيها من جديد وهو يقترب: توبي! تعال هنا!
 أنزل الكلب أذنيه وذهب ليختبئ في سلة صغيرة تشبه عشب
 الطيور، بالقرب من سلام المدخل.
 قالت جويًا: أريد فقط أن أسأل سيادتك عن معلومة، حقاً، ثم
 سأذهب على الفور، أعدك.
 نظر إليها الممس، ونزل، وهو يعرج بعض الشيء، الدرجات
 الأخيرة، ووصل إلى البوابة.
 - لديّ طريقتي في التخلص من المندوبين أمثالك، أتعرفين؟
 نظرت إليه جويًا، لم تفهم، ثم أشار الممس برأسه وسألها: هل
 لديك خمسون يورو في جيبك؟
 تعرف جويًا أنه ليس لديها هذا المبلغ، أقصى شيء عشرة، وكلها
 عملات معدنية، أخرجتها، ولم تكّد تخرجها من جيبها حتى أمسك
 الممس بيدها وأخذ العملات في يده بسرعة وخفة مقامر في لاس
 فيغاس.
 - أنا الآن أسمعك. إذا فهمت في النهاية أنك تريد أن تبقي
 لي شيئاً ستصبح كل النقود لي، إذا لم تكوني كذلك، سأعيدها إليك.
 اتفقنا؟
 ألقت جويًا نظرة على النقود، كانت شبه متأكدة أنها لن
 تراها مرة أخرى.
 - أوكي، اتفقنا.
 - هيا، قولي، ماذا تريدان؟
 - سيادتك كنت مالك المشرب الواقع في آخر الشارع، BarAonda،
 أليس كذلك؟
 - أجل، بعته منذ ستة أشهر لمجنونة تغطيها الوشوم.
 - حسناً، كنت أريد فقط أن أسأل سيادتك إذا كنت تعرف فتى

كان يلعب دائماً بالأسهم، واسمه لورينزو.
أمال المسن رأسه إلى الخلف: لا، لم أسمع عنه قط.
- «طوله هكذا تقريباً». وأشارت جويا بالطول بيدها. «ويرتدي دائماً كنزة بقلنسوة سوداء، كل الأيام الكنزة نفسها، واسمه لورينزو فيتا».

- قلت لك لم أعرف قط شخصاً اسمه لورينزو! وإذا كنت قد سمعته لتذكرت، أنا مُسن، لكنني لست فاقداً للذاكرة!
قال لها، ثم استدار ليتوجه نحو منزله، دون حتى أن تكون لديه النية أن يحييها.

- إحم. ألمحت جويا.

- ماذا أيضاً؟

قال المسن وهو يستدير قليلاً.

- اليوروهات العشرة.

- آه بالفعل.

قال هو، وأخرجها من جيبه، ووضعها في يدها، بإحباط. أخذتها جويا ورحلت. وبعد عشرين متراً، أخرجتها من جيبها لتحصيلها، واكتشفت أنها سبعة فقط.

59

لا تعرف لماذا فعلت هذا.

أي إنها يمكن أن تجد مليون سبب وألا تجد سبباً واحداً.
رهما لو كان أبوها هنا الآن وعرف ذلك الذي فعلته للتو،
لسألها بالحاح: ما السبب؟ قولي لي يا جويا؟ ما السبب؟
منذ الأزل وأبوها، كلما فعلت شيئاً خطأ، يسألها، ما السبب.
يفعل ذلك في كل مرة، وتفكر جويا في أن المشكلة ليست السبب،

لكن التفاصيل. تلك الأشياء التي لا تحظى باهتمام كبير، لكنها تغير الأشياء. إذا تغيرت تلك التفاصيل، مثل تغيير مكان الفاصلة في العبارة، ربما غيرت المعنى بالكامل؛ وهذا ما تعلمته من أستاذ اللغة الإيطالية.

فالسبب مثل نقطة النهاية، يكون دائماً في النهاية، ولا يغير كثيراً من الأشياء، لكن الفواصل تكون في الداخل، وتغير كل شيء؛ ومن ثم لن تستطيع أن تشرح لأبيها أي شيء إذا سألتها؛ لأن الأسباب كثيرة، لا تنتهي مطلقاً.

السبب أنه قبل (لو) كانت الأمور بالنسبة إليها فقط بيضاء وسوداء، وبعده جاءت الألوان. وجرب أن تقول لمن شاهد فيلماً جميلاً ملوناً إنه لن يشاهد سوى أفلام «أبيض وأسود» لما تبقى من حياته.

السبب هو أن الفتية والفتيات في سنها يبدون جميعهم رائعين، بلا هموم، وغاية في الجمال، وواثقين بأنفسهم.

السبب هو أن الأساتذة لا يدرون كثيراً عن الطلبة، فيما عدا بوفه طبعاً.

السبب أنه لا يوجد فتى استطاع إضحاكها بهذه الطريقة.

السبب أنه ليس من العدل أن يختفي فتى يضحك بهذا الشكل، قائلاً: معذرة، أنت تعرفين الأمر؛ فحياتي فيها مشكلات معقدة الآن.

السبب يجب ألا يكون دائماً شرعياً، لكنه شيء من هذا القبيل.

السبب أن جويلا لا تمتلك مطلقاً أكثر من عشرة يوروها في جيبها - حسناً - حتى إذا كانت النقود لا تهملها، إلا أن هذه مشكلة؛ لأنه في الكوكب الذي تعيش فيه لا يمكنها أن تفعل كثيراً بهذا المبلغ.

السبب هو تلك الابتسامة الساحرة.

السبب هو أنها لا تستطيع أن تنزع (لو) من ذهنها.

السبب هو أن المقعد والسطح، وتلك الهضبة كلها لا تزال موجودة، أما هو فلا. من يدري أين هو؟ ربما لم يكن له وجود قط.

السبب هو أن الغضب وليس الدم هو ما يسري في عروقها، وعندما مرت جوليا باتًا خلفها، خلفها تمامًا في الميدان، وأمام الجميع، وكانت تتحرك كثيرًا، حتى إنها سمعتها وهي تضحك، ولم يكن مهمًا إذا كانت تضحك عليها أم على شيء آخر، لكنها ضحكت بصوت مسموع، وعندئذٍ قامت جوليا، وجرت وراءها، وأمسكتها من شعرها، وقالت لها: ماذا يضحكُ هكذا؟ وجوليا في العادة لا تفعل تلك الأشياء، لم تفعلها قط، ربما أرادت بعض المرات أن تفعلها، لكنها لم تجرؤ، أما في هذه المرة فهذا ما حدث، وهي لا تعرف السبب، شدت شعر جوليا باتًا، وجرتّها، أوقعتها أرضاً، ثم رحلت.

السبب هو أن جوليا تشعر بأنها تتغير، وهذا لا يعجبها، لا يعجبها على الإطلاق، لكنها على الرغم من ذلك لا تتوقف عن التغير.

السبب هو أنه وسط كل هذه الفوضى، كالمعتاد، وكما يحدث منذ الأزل، تجد جوليا نفسها وحيدة، مثلما تعبّر عن حالتها تلك الكلمة الألمانية، التي لا يمكن ترجمتها بكلمة واحدة *waldeinsamkeit*، والتي تعني: شعور المرء عندما يكون وحيداً في الغابة؛ لأنه عندما يشعر المرء بأنه وحده في سن السابعة عشرة، ليس مثلما يكون في الثلاثين أو الأربعين أو السبعين، لكنه في كل الأحوال شعور سخيّف. فعندما يكون المرء وحده وهو أكبر في

السن؛ فهذا معناه أنه ضد العالم؛ وهو شيء سيئ، لكن على الأقل يعرف مَنْ عدوه، ويذهب كل منهما لحال سبيله. لكن أن يكون المرء وحده في سن السابعة عشرة؛ يعني عدم وضوح أين يكمن العدو؛ لأن العدو في هذه الحالة يصبح العالم، الآخرين جميعاً، الأم والأب، جوليا باتًا، وكازالي وسوء الحظ، الأساتذة وكل الأشياء الأخرى، لكن في سن السابعة عشرة يكون العدو الأول، قبل كل شيء وقبل الجميع، هو ذاتك.

60

في الطابق الأسفل يسود صمت غريب... أو الأفضل أن نقول «صمت مريب».

إذا ساد الصمت منزل سبادا في السابعة مساءً؛ فهذا يعني شيئاً من ثلاثة: إما أن أبويها غير موجودين، أو أنهما سقطا مخمورين على الأريكة، أو...

قالت جويًا: أتمنى بالفعل ألا يكون هذا.

لا تستطيع جويًا أن تفهم كثيراً عن الكبار؛ عن هوسهم بالزمن الذي يمرّ، والتجاعيد، والشعر الأبيض، وعن مجهوداتهم المضحكة في إخفاء هذا، وعن شعورهم بأنهم محصنون ضد أي نوع من النقد؛ بسبب غير معروف، عند التقدم في السن، القلق الجنوني تجاه كيف يراهم الآخرون، بل هم أسوأ بكثير من زملائها المراهقين المتشردين.

لكن على الأخص، لا تفهم على الإطلاق ما بهم من تناقض.

فالكبار نوعية خاصة من الكائنات الإنسانية؛ فهم يقولون على سبيل المثال: آه، لكم أكره الجبل! ثم تجدهم بعد يومين سعداء ويضحكون على جبال الألب السويسرية. الكبار يرددون دائماً أنهم

لا يريدون أن يكفوا عن الحلم والسفر وما إلى ذلك، ثم تجدهم وقد عملوا موظفين في بنك، وعلّقوا على الحواجز التي تفصل مكاتبهم (بوستر) لجزر المالديف. إنهم مثل أولئك الأطباء، الذين يضعون عشرات اللافئات، التي تتحدث عن مساوئ التدخين، ثم تجدهم يجولون دائماً والسجائر في أفواههم.

الكبار مثل أبويها، يكره أحدهما الآخر، ويقولون للجميع إن أحدهما يكره الآخر، ثم يتضاجعان في صمت؛ لأنهما يخجلان أن تسمعهما ابنتهما، لكن أيضاً لأن هذا الشعور باليمنوع يمتعهما أكثر.

الكبار ليسوا سوى أطفال طويلي القامة بعض الشيء، لكن في أعماقهم ليسوا سوى أطفال.

بالنسبة إلى جوياء، الاستماع إلى ذلك الصمت أسوأ من صرير عشرة آلاف ظفر على عشرة آلاف سبورة؛ ولهذا تذهب نحو الاستريو، وتقرر أن تشغله على أقصى درجة صوت، وبينما تضع يدها على زر التشغيل، رأّت فجأة من النافذة أضواء زرقاء، ثم سيارة تتوقف أسفل منزلها.

- اللعنة! قالت.

61

- حضرتك السيد جورجو سبادا؟

- أجل، أنا. هل فعلت شيئاً ما؟

- لا، ليس حضرتك. في الحقيقة نحن نبحت عن ابنتك. ابنتك

اسمها جوياء سبادا، أليس كذلك؟

كان الشرطيان طويلي القامة، كل منهما كان طوله مترين تقريباً.

ربما عدلوا لهما مقعدَي السيارة حتى لا يلمس رأساهما السقف.

- إذن، هل جويبا سبادا تسكن هنا؟

من أعلى السلام، رأت جويبا أباهما في ملابس النوم وقد تحول إلى حجر، وفقد قدرته على النطق لثانية، ثم التفت ليطلق صيحة من صيحاته: جويبييا!

قالت هي: أنا هنا يا بابا، ثم نزلت السلام، وكانت كل درجة تشبه الصعود وليس الهبوط.

مكث الشرطيان طويلاً القامة أمام العتبة، وضعاً في يد أبي جويبا ورقة. والآن وقد اقتربت أكثر، رأت أنه يضع روب أمها. من الصعب التفكير في لحظة أكثر إحراجاً.

رأتهما يتحدثون بصوت منخفض، هما وأبوهما، وقد تحول تعبير وجهه في بضع ثوانٍ من مندهش جداً إلى غاضب جداً. تقدم الشرطيان قليلاً من المنزل، نظراً إلى جويبا وكل منهما يضع يديه خلف ظهره.

سألها أبوها، بشعره المبعثر: هل هذا حقيقي يا جويبا؟

لم تكن تحتاج إلى كثير لتفهم عمّا يتحدث؛ ولهذا وصلت جويبا لتقف أمامهم، وأشارت فقط برأسها.

سألها: لماذا فعلتِ هذا؟

حدقت جويبا في الأرض ولم تقل شيئاً. كان صمتاً يكشف بوضوح عن الشعور بأنه لولا وجود اثنين من ممثلي النظام هناك أمامهما، لكان أبوها الآن قد أوسعها صفعاً.

كمشهد سينمائي، وكما يحدث في كل لحظات الصمت المخجل في هذا المنزل، ظهر من اللا شيء في وسطهم جاكو؛ القط الشبح، وتوقف هناك لينظر إلى المشهد، بلا حركة. أحد الشرطين، خلع قبعته، وتدخل: نحن هنا لأننا تلقينا مكالمة، ووصلنا إلى الموقع، ووجدنا تلك الفتاة في حالة من الانفعال الشديد وعليها آثار بعض

الرضوض. هل تؤكدين لنا يا جوياء أنكِ مَن فعل هذا؟
جوياء، وهي مستمرة في التحديق في الأطراف اللامعة من أحذية الشرطيين، اكتفت بأن تشير بنعم برأسها. واستمر الشرطي.
- حسناً، في طريقنا إلى هنا قمنا ببعض المكالمات، وأعلمونا أن هذه العائلة بالفعل تحت الملاحظة لدى الشؤون الاجتماعية، ونظراً إلى أن الفتاة قد عبّرت بوضوح عن رغبتها في تقديم بلاغ... وعندما نطق كلمة «بلاغ» تغير لون وجه أبي جوياء على الفور، تقريباً كأن أحدهم ألقي دلواً من الدهان الأبيض على وجهه.
- كنت أقول إنه نظراً إلى أنها ستقدم بلاغاً بالتأكيد، توقعوا إذن مكاملة من هيئة الشؤون الاجتماعية هذه الأيام.
كان وجهها الشرطيين هادئين وفي سلام. ربما يكون هذا المشهد بالنسبة إليهما من المشاهد المعتادة، شيئاً مثلما يشعل الفرن الفرن، أو يقلب العجينة. وكان الأمر تقريباً كأن أمام المنزل زوجين من وحيدَي القرن يرتديان زي الشرطة.
- نحن هنا فقط للتأكد، لكن يبدو لي أننا بالفعل تأكدنا من كل شيء.

قال أحد وحيدَي القرن. وتحجر أبو جوياء، يحدق فيها دون أن يقول أي شيء.

ثم قال الآخر: ولهذا سنذهب الآن.
لم يجب الأب. وقف ساكناً كأنه تمثال.
- عمّما مساءً.

قالا بصوت واحد وذهبا.

ومن غرفة المعيشة، حضرت الأم وهي ترتدي روباً آخر. شعرت جوياء بنوع من الاشمئزاز الداخلي، ولثوانٍ نسيت البلاغ والشرطيين. وتولى أبوها مهمة إرجاعها إلى الواقع، قائلاً: أتمنى أن يكون الأمر

مجرد مزحة!

لم تعرف جويا كيف تجيبه. كانت تعرف أنها لا بد أن تقول شيئاً مثل: «لا، ليست مزحة، لقد فعلت ذلك بالفعل»، لكنها لم تستطع النطق، كأن الطريق قد سُد بزوبعة الكلمات، تماماً عند مدخل الحنجرة، مثلما يحدث تعرقل في المرور وتتوقف عشرات السيارات وتدق النفير.

سألها أبوها: هل ضربتِ تلك الفتاة، في وسط المدينة، أمام شهود؟

سيارات، زوبعة، نفير.

سألها أبوها: لماذا فعلتِ ذلك يا جويا؟

- جويا ماذا حدث؟ ماذا بكِ؟ جويا تحدثي مع أمك، انظري إليّ!

سيارات، زوبعة، نفير.

صرخ الأب: جويا، قولي ماذا فعلتِ! وقولي لماذا!

كانت ترغب في أن تقول لهما، أجل. كانت ترغب في أن تقول إن السبب لم يكن جوليا باتًا، ولا حتى الضحكات والسخرية، لكن الأمر كله يقبع في مبدأ الديناميكية الثالث: «لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه»، هذا كل ما في الأمر، لم تكن جوليا ولا رفيقاتها، ولم يكن هو ولا أمها، لقد آذاها «العالم»، وكان رد فعلها هو أن تؤلمه، وفي تلك اللحظة، كان العالم أمامها هو جوليا باتًا، ليس إلا الأمر بسيط جداً.

سألها أمها: جويا يمكنك أن تصارحيني، ماذا حدث لكِ؟

استطاعت جويا فقط أن تفكر في أنها لا ترغب في البكاء، أي شيء إلا البكاء، كانت هناك ثمانية لترات تقريباً من الدموع جاهزة للخروج، لكنها أرادت أن تحبسها كلها في الداخل. ليس أمامهما،

ليس أمام الاثنين الواقفين هناك، ليس أمام أبيها، الذي تناول
بيديه على أمها منذ أسبوع فقط، والآن يشعر بالغضب؛ لأنها
فعلت الشيء نفسه مع إحدى زميلاتهما في الفصل، وليس أمام
أمها العارية أسفل الروب بعد أن انتهت للتو من مضاجعة الرجل
الذي ضربها منذ بضعة أيام فقط.

لا، ليس أمامهما.

- جويا!

- جويا!

- جويا!

- جويا، لماذا يا جويا؟ هه؟ ما السبب؟

62

- من واحد إلى عشرة، كم أنتِ في حالة مزرية؟

- لنرَ مليون يا تونيا؟

- لا بد أن تبكي، استمعي إليّ. التنفيس عن الغضب سيساعدك.

- الآن أنتِ وحيدة في حجرتك ويمكنك ذلك!

- أعلم، أعلم! لكنني بمجرد أن صعدت إلى هنا، جفت كل

دموعي!

- والآن، ماذا ستفعلين إذا أبلغت عنكِ؟ هل ستطلعين القاضي

على صورك، لتبتي له أنكِ لستِ في كامل قواكِ العقلية؟

- إليك، بعضها ليس سيئاً على الإطلاق، انظري إلى هذه!

- أجل، أجل، جميلة. لكن ماذا ستفعلين؟

- انتظري لحظة.

- ماذا حدث؟

- انظري هنا! هذه الصورة!

- أوه، اللعنة!

- اللعنة فعلاً!

63

كانت جويبا سبادا تجلس فوق الفراش والقط الشبح جاكوب بين قدميها وفي يدها آلة التصوير الرقمية، وعلى الشاشة تجري الصور التي التقطتها في تلك الظهيرة التي عادت فيها إلى السطح: عابرون صوّرتهم عشوائياً، وجوه تضحك، ووجوه بلا أي تعبير، كان لديها قليل من كل شيء. الجزء الأكبر منها كان مهزوزاً، وربما لهذا بدت بعض الصور جميلة جداً، واندھشت جويبا من أنها استطاعت تصوير صور بهذا الجمال بمجرد تحريك العدسة عشوائياً. ثم، أمام الصورة السابعة والثلاثين توقفت جويبا. إنه هو.

(لو).

هو بعينه.

كانت الصورة من ضمن تلك الأقل شحوباً. كان هناك في المستوى الأول شخصان بحقيبة، يرتديان ألواناً قاتمة، يسيران ويتحدث كل منهما في هاتفه، وفي الخلفية، على بُعد بضعة أمتار، كان هو يرتدي القلنسوة على رأسه.

وكان ينظر بالتحديد نحوها، نحو العدسة، كأنه يريد أن يقول لها شيئاً ما، يتحدث معها، لكن لم تكن لديه الشجاعة، أو على الأقل هكذا بدا لها.

تساءلت جويبا سبادا كيف بحق السماء لم تره، في ذلك اليوم. بالتأكيد، كانت مضطربة بما يكفي. بالتأكيد، في تلك اللحظة بعينها كانت الرؤية منعقدة، لكنه هو كان هناك، ربما على بُعد خمسة أو ستة أمتار منها. وهي لم تره.

لكنه كان هناك.

نهضت جويًا من فوق الفراش، ونسيت كل شيء حدث للتو عن الشرطين والبلاغ والشؤون الاجتماعية. الآن تريد أن تفعل شيئاً واحداً.

64

- أنتِ مرة أخرى! اسمعي، لم تعد لديّ اليوروهات الثلاثة.
- لا، لست هنا لهذا السبب يا سيد بريدا.
- إذن، ماذا تريدان؟ لقد قلت لكِ إنني لا أعرف ذلك الشخص!
- أعلم، أعلم. أريد فقط أن أطلعك على شيء.
نزل المسن الدرجات الثلاث واقترب. عندئذٍ أخرجت آلة التصوير من حقيبتها، وضغطت على الزر وأعطتها له.
- هذا هو. هو ذلك الفتى هنا. هل رأيته من قبل؟
قرَّب المسن وجهه من الشاشة الرقمية، ورفع نظارتيه إلى جبهته.
- لم أره قط في حياتي! والآن اذهبي من هنا!
قال لها هذا، وهو يعطيها آلة التصوير في يدها بحركة فجائية.
- لكن، هل حضرتك متأكد؟ هل نظرت جيداً؟
أصرت هي، وهي تضع مرة أخرى الشاشة أمامه. أما هو دون حتى أن ينظر مرة أخرى، قال لها بصوت خشن، يحمل نبرة تهديد: اسمعي يا آنسة، إذا لم تخرجي حالاً من بوابتي، سأتصل بالشرطة، هل فهمتِ؟

65

- إذن؟ ماذا قال لكِ؟
- طردني بطريقة سيئة. من أي عينة هذا الشخص؟

كانت جويًا جالسة عند طاولة المشرب، بينما تعد جوفانا للمرة الثالثة كابوتشينو للسيدة التي أعادته إليها؛ لأنه كله تنقصه الرغبة.

- الآن، سأضع لها رغوة فقط، وأريد أن أرى ماذا ستقول.

قالت وهي تدفع بالبخار المغلي داخل الفنجان السيراميك.

- كنتِ تقولين؟

- كنت أسألك من أي عينة بريدًا، أنتِ تعرفينه.

- آه، دعيه وشأنه المسكين. ليست كل صواميله في مكانها

المضبوط في عقله. يقولون إنه فقد ابنًا شابًا، منذ عشرين عامًا تقريبًا، ومنذ ذلك الحين اختل عقليًا. إنه خطؤه أيضًا أنه لا أحد يتردد على هذا المشرب سوى المسنين المملي...

قالت جوفانا وهي لا تزال تنظر إلى ماكينة القهوة، ولم تكن

تدري أن العجوز في ذلك الوقت قد اقتربت من الطاولة لتقول لها: كثير من الرغبة، من فضلك!

واستدارت جوفانا نحوها، ثم همست لجويًا: هذا بالتحديد.

وضعت الكابوتشينو على صينية التقديم، وأخذته إلى المائدة.

وعندما عادت سألت جويًا:

- وأنتِ ماذا ستفعلين، بهذه الأناقة؟

- لديّ ميعاد في مكتب أحد المحامين، لا بد أن أكون هناك

خلال نصف ساعة.

- آه، إذن أنتِ أيضًا لست فتاة هادئة تمامًا، أليس كذلك؟ هيا،

أطلعيني على هذه الصورة!

أخرجت جويًا آلة التصوير من حقيبتها، ووضعتها فوق

الطاولة. فحصدت جوفانا بانتباه الصورة، وهي تتمتم بشيء ما، ثم

قالت: أتعرفين؟ هذا الوجه ليس غريبًا عليّ.

- حقاً؟ هل تعرفينه؟ أتعرفين أين يسكن؟
- لا، لا أعرف. أعرف فقط أنها ليست المرة الأولى التي أراه فيها. تلك العينان اللتان تشبهان اللوز... هذا الوجه الذي نصفه لفتى ماهر ونصفه لوغد.
عادت العجوز من جديد لتظهر خلف جویا، ووضعت يدها على الطاولة: سيدتي، اسمحي لي... هل يمكن أن تضعي لي مزيداً من الرغوة؟
استطاعت جویا أن تقرأ على الأقل اثنين من السباب الثقيل على شفّتي جوفانا. ابتسمت، ثم قالت لها صاحبة المشرب: لنفعل هكذا، إذا استطعت أن أتذكر أين رأيته سأخبرك. وأنتِ اتركي لي رقم هاتفك.

66

لم تكن قد رأت أباهاً قط بالسترة وربطة العنق إلا في صورة الزواج.
لم تكن سوى صور سخيّة، مع مجموعة من الأقارب، المخرجين بوضوح، ويبدو أنهم جميعاً يفكرون: لا بد أن أجد الفرصة المناسبة لأجري إلى المنزل وأشهد المباراة!
الوحيدة، التي كانت تبدو مبتسمة في تلك الصور، هي أمها، كانت متألّقة، كأنها كانت مقتنعة أنها في أجمل يوم في حياتها. والشيء الحزين، أنه ربما كان اليوم الأجمل بالفعل في حياتها. من المؤكد أنه كان الأفضل من كل الأيام التي تلتها.
عندما كانت جویا صغيرة، كانت تنظر كثيراً إلى ذلك الألبوم. كانت تضعه في حجرها، بعد أن تحمله بصعوبة، وتقلب الصفحات وهي تبتسم... كان شيئاً مسلياً رؤية أبويها شابين، وكانت تبدو

صور أشخاص آخرين، وليس هما، وكانت هي تتخيل في كل مرة قصصاً مختلفة؛ مرة أنه الأمير، الذي تزوج عاملة، أو أنها كانت وارثة ثرية وهو مغنٌ مُفلس. عادةً كانت خلفية تلك الأفلام الذهنية هي المشاجرات الصارخة بين الشخصين بعينيهما الخالدين في تلك الصور، وكان حمل جويًا للألبوم على ركبتيها، والتظاهر بأنها تتحدث مع أصواتهما، الطريقة التي تصم بها أذنيها عن سماعهما.

- يمكن أن تنتظرا هنا.

قالت لهما سكرتيرة ترتدي تنورة قصيرة وقميصاً ونظارات إطارها ضخم، وهي أكثر من كونها سكرتيرة محام كانت تبدو موديل نظارات تتخذ وضعاً لصورة ستوضع على كل أغلفة المجلات النسائية. قالت هذا بابتسامة رسمية جداً، وأشارت إلى مقعدين من الجلد على يسارها، ثمَّنهما يساوي ثمن كل الأثاث في منزل جويًا. في الواقع، شعرت بأنها داخل منتجع صحي وليس مكتب محامٍ، بتلك الأرضية المصنوعة من الباركيه والحوائط من خشب الماهوجني اللامع، والإضاءة من أسفل ورائحة الفانيлия.

بعد قليل سيناديها أحدهم لتدخل إلى الحجرة، التي ستكون فيها باتًا ومحاميها والاختصاصية الاجتماعية؛ ليقولوا لها إن البلاغ أخذ مجراه بالفعل، وإن مستقبلها ينتظر محاكمة القاصرين، وتجريم بسبب «الرضوض العنيفة»، وستوصم حياتها كلها بسبب لحظة صغيرة فقدت فيها صوابها.

لهذا يرتدي الأب السترة وربطة العنق، لا بد أن يوحى للاختصاصية الاجتماعية أنه قد أصبح شخصاً يوثق به، نظيفاً ومهذباً. «وهو الهدف -فكرت جويًا- الذي ولا حتى بدلة من تصميم (أرماني) ويوماً كاملاً في منتجع للتجميل سيكفيان له».

- بعد قليل سينادون عليكِ، اجلسي هنا، وأنا سأخرج للحظة.

قال لها أبوها، وهو يشير بيده إشارة التدخين، ثم ابتعد.

- «عليكِ» وليس «علينا».

عندئذٍ جلست جويا وهي تفكر في أنه بعد قليل ستدخل إلى

غرفة سيتحدد فيها مصيرها، وأنها كالمعتاد، ستفعل ذلك بمفردها.

67

- تلك القبيحة المقرفة!

استطاعت جويا أن تسمع بوضوح صوت تونيا وهي تقول تلك

الكلمات، بل تنطقها بوضوح، بمجرد أن دخلت مكتب المحامي.

- تلك القبيحة المقرفة!

وكانت تونيا تتحدث عن جوليا باتًا؛ زميلة جويا في الفصل،

التي حضرت إلى الميعاد مع شاهديها (صديقتيها المقربتين، ربما

حضرنا بالتهديد)، وفعلت ذلك بأن وضعت ضمادة على ذراعها

وأخرى حول رأسها، كأنها كانت ضحية معركة حربية. بالقرب

منها، يسند ذراعها، نظرياً أبوها، وبالقرب منهما، الاختصاصية

الاجتماعية: فتاة في الثلاثين تقريباً، بعلامات التجاعيد على تعبيرات

وجهها، وشعرها الطويل مصبوغ باللون الأحمر، وعرفتُها جويا،

فقد مرت على منزلهم في اليوم التالي للحادثة، وتحدثت معها

ومع أبويها.

- لكن أين المحامي؟

سألت تونيا، هناك على العتبة معها (الأب لا يزال في الخارج)،

وهي ترى أن الحجرة ليس فيها سوى خمسة أفراد إضافة إلى

جويا.

قالت لها الاختصاصية الاجتماعية: تفضلي، ادخلي، استريحي.

تقدمت جويًا بخطوات بطيئة، وهي تشتم قليلاً معطر الغرفة، لا توجد فانيليا هنا، بل عسل وقرفة، وجلست أمامهم، وبدأ لها كأنها في امتحان التخرج.

سألته الاختصاصية الاجتماعية: ووالدك؟

- إنه هنا في الخارج، سيصل حالاً.

كان الأشخاص الخمسة الجالسون أمامها ينظرون إليها، تقريباً، كأنهم ينظرون إلى حيوان في حديقة الحيوانات.

استمرت الاختصاصية: حسناً، يمكننا في هذا الوقت أن نتعارف. أنا الاختصاصية الاجتماعية المسؤولة عن حالتك. وهكذا، كما تعرفين، أن والد جوليا هو أيضاً محاميها، الدكتور فلافيو باتا. علقت تونيا، وهي جالسة بالقرب من جويًا: أوكي، أنت ضائعة رسمياً.

في الواقع، لم تكن حركة ألا تذهب إلى المدرسة لأسبوع أذكى حركة في العالم؛ كان لا بد على الأقل أن تتحرى بعض الشيء، أو أن تحاول العثور على بعض المعلومات الضرورية، على سبيل المثال، أن تعرف أن والد الفتاة، التي دفعته وأوقعته في وسط الميدان العام، محام في مكتب حوائطه من الماهوجني اللامع، ومُعطر بعطور مختلفة في كل حجرة.

استمرت تونيا: أنت لست فقط في حالة مزرية، بل انتهى أمرك في تلك الفضلات الصناعية، من تلك التي تفوح رائحتها على بُعد كيلومترات، وليست رائحة عطرة بالتأكيد.

وهكذا، وحتى إن كان الوضع قماماً كما وصفته صديقتها المتخيلة، وحتى إذا كانت موجودة أمام شيء ككتيبة الإعدام، دون أثر لأبيها بجوارها؛ لأنه لا يزال في الخارج، مَنْ يدري؟ ربما لا يجرؤ على الدخول، فإنها فعلت الشيء الأخير، الذي كان يجب أن تفعله

في هذه اللحظة، في البداية بصوت خافت، ثم بصوت أقوى، بدأت جويًا سبادًا، الجالسة على ذلك المقعد، في الضحك.

أخذ الأشخاص الخمسة الجالسون أمامها يتبادلون النظرات، ثم يعودون للنظر إليها، ثم يتبادلون النظرات، غير قادرين على قول شيء. استمر هذا المشهد على الأقل دقيقة كاملة، مع محاولتين إستراتيجيتين من الاختصاصية الاجتماعية للتغطية على الموضوع، ودسته من النظرات شزراً من جهة المحامي فلافيو باتًا... لم يكن يبدو أن أحدهم لديه الشجاعة لأن يتدخل، حتى شعروا بمقبض الباب يتحرك، ثم دخل على الفور أبو جويًا، وعلى فمه كلمة «معذرة» على الفور، إلا أنه لم يستطع حتى أن ينهيها، وهو على عتبة الباب، وهو ينظر إلى ابنته وهي تضحك، ويشعر بالخجل، وهو الشيء الذي حدث مرات نادرة في حياته.

قال لها أبوها، وهو يقف بالقرب منها: جويًا، هل يمكن معرفة علامَ تضحكين؟
- لا، لا شيء، آسفة.

أجابت جويًا، وهي تمسح دموعها.

وبينما الأب على وشك الجلوس، بدأت الاختصاصية الكلام: كما شرحت بالفعل للمحامي وأبي جوليا، فالوضع العائلي لجويًا ليس من أبسط الأوضاع، وربما تسبب هذا الوضع في توتر واضطراب تصعب السيطرة عليه، وأنا أعتقد أن هذا هو السبب الوحيد لرد الفعل غير المسؤول هذا.

علقت تونيا: لهذا، ولأن الأنسة باتًا شديدة السفالة والانحطاط أيضاً. وكادت جويًا تقفز في ضحكة أخرى، لكنها هذه المرة، لحسن الحظ، نجحت في قمعها على الفور. نظرت إليها صديقتها باتًا نظرة احتقار وأومأتا بلا، تكاد لا تُرى، برأسيهما.

في ذلك الوقت، استمرت الاختصاصية: إن جويا مستاءة جداً لما حدث. أليس كذلك يا جويا؟
 نظر إليها كل من في الغرفة. أجابت جويا للنظرات، ثم قالت،
 بلا قناعة شديدة: أجل مستاءة جداً.
 - تماماً. ولهذا السبب، فكرت في أن أطلب من والد جوليا، الذي
 بدوره قد استاء جداً مما حدث، أن يسحب البلاغ المُقدَّم.
 - تماماً، أجل، أن يسحبه؛ فهذه الأشياء يمكن أن نحلها فيما
 بيننا.

قال والد جويا وهو يشير بيديه ليقول «لنحاول أن نتفق».
 - إذا قررنا أن نسحبه...
 قال المحامي فلافيو باتّا، محدداً موقفه، وهو يقلد مسرحياً
 حركة اليد التي قام بها للتو والد جويا.
 - لن يكون هذا لنحل الأشياء بيننا، كما تقول سيادتك، لكن
 سنفعل ذلك فقط؛ لأننا نفهم أن ذلك سيؤدي إلى مزيد من المآسي
 التي تسيء إلى حالة ابنتك!
 - حسناً، حسناً، يكفي ألا نضخم الأشياء. في نهاية الأمر، لقد
 كانت مجرد مشادة بين فتيات!
 كان لا بد لجورج سبادا، والد جويا، أن يفكر جدياً في أن يسجل
 نفسه في أي مسابقة دولية لـ«ردود غير مناسبة». كان سيحصل
 بالتأكيد على عدد من الجوائز وميداليات الشرف.
 - مشادة بين فتيات؟ لقد قضت ابنتي ليلتها في الطوارئ!
 أجاب المحامي، وهو ينهض ويضرب بقبضتيه على المكتب.
 وكان وجهه، تقريباً، وجه مَنْ على وشك أن يغير رأيه في أمر
 سحب البلاغ. وما إن حاولت الاختصاصية أن تتحدث وتهديئ
 النفوس، تدخلت جويا، بشكل غير متوقع: لا يا بابا، هو على

حق. إن ما فعلته أنا لا يمكن تبريره. لقد فعلت الشر بلا أي سبب. وإذا كان عليهم مقاضاتي؛ فذلك أقل ما يفعلون. كنت أنا سأقاضي نفسي لو كنت مكانهم.

علقت تونيا: يا سلام! يا لها من خطبة!

ابتسمت جويا، حتى إن لم يلحظ أحد هذا.

- جوليا ووالدها لا يرغبان في مقاضاتك يا جويا. إنهما يرغبان فقط في أن تدري فداحة ما فعلته، وأن تتابعي المسيرة معنا في الشؤون الاجتماعية.

- مسيرة؟

سألها جويا بصوت منخفض.

- شيء معتاد. لا بد أن تقومي بحوارات أسبوعية مع الاختصاصية النفسية، التي ستساعدك على أن تجتازي الفترة الصعبة الأكثر تعقيداً في حياتك.

سألت جويا: أسبوعية؟

- رائع! إذن، كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟

تدخل كالمعتاد والد جويا، وهو يستعد للنهوض والرحيل.

علق ساخراً المحامي فلافيو باتًا وهو ينظر إليه مباشرةً في عينيه: لا، ليس كل شيء.

- أجل يا سيد سبادا. تدخلت الاختصاصية، لقد طالب الأستاذ والآنسة باتًا بوضوح بأن تكون المصروفات الطبية مسؤوليتكم.

- آه. قال والد جويا، وكم...

أجاب المحامي دون أن يتركه ليكمل: ثمانمائة يورو.

- ثمانمائة؟ ما هذا الهراء الذي تقوله؟

- أحب أن أذكّر سيادتكم، إذا نسيت، أن البلاغ، الذي سنسحبه، مقدّم في ابنتك، لكن نظراً إلى أنها قاصر، فإن المسؤولية الكاملة تقع عليك.

نظر والد جويا إليها كأنها السبب في كل مصائبه، وربما أيضاً مصائب الكوكب بكامله. تنهد، ثم نظر إلى المحامي وقال له: هل يمكن أن ندفع بالتقسيط؟

68

توجد كلمة يابانية معناها «هبة الريح الأولى الباردة، التي تُنبئك بحلول الشتاء» وتُتطق: كوجاراشي kogarashi؛ وهذا ليس اسم ريح مثل السيروكو والمسترال⁽²³⁾، لكنه بالتحديد هبوب الريح هناك؛ ذلك الذي ينبئك بأن الصيف قد انتهى، وستبدأ الأجواء القاسية. الآن، أتى الربيع، لكن جويا، في أثناء خروجها من مكتب المحامي مع أبيها، الذي كان يخلع ربطة العنق، شعرت على خديها بهبة الريح تلك.

لم تكن تحب الذهاب إلى الاختصاصيين النفسيين، ليس بسببهم هم، فغالباً يكونون جيدين، وأحياناً لطفاء أيضاً. المشكلة هي الهدف. الاختصاصيون النفسيون، وفق ما رأته هي حتى الآن، ليس لديهم سوى هدف ضئيل جداً.

والمفهوم غاية في البساطة، في خلال بضعة لقاءات، ستخرج أسباب الضيق التي يمكن العثور على جزء كبير منها لدى أبويها. حسناً، رائع، ممتاز، لكن ماذا يحدث بعد ذلك؟ إن هي من يجب عليها أن تستمر في الذهاب، وأنها هي التي تذهب إلى اللقاءات، وهي من يحتاج إلى المساعدة. تقريباً مثل الشرطي الذي يوجد أمام خاطف؛ أحد أولئك الملتزمين في أثناء خروجه من سرقة بنك، وهو يجبر خلفه رهينة، بمجرد التعرف إلى الخاطف، يسدّد الهدف، ويطلق الرصاص على الرهينة.

(23) يُقال عنها أيضاً الرياح الجنوبية الشرقية والرياح الشمالية (بالترتيب).

ليست هي من يجب أن يذهب إلى تلك الزيارات، هي تشعر أنها سليمة تماماً. غريبة الأطوار، بالتأكيد. فريسة لملايين الانفعالات والتناقضات، حسناً، لكنها سليمة. إن أبيها هما من يحتاجان إلى زيارات، هما المرضى، وهما «الخاطف».

تشعر بالريح الباردة؛ لأن كل شيء يبدو كأنها قد عاد كما كان، لأن الصورة التي قدمتها للمسابقة، لم يبلغوها عنها شيئاً، ولأن هذا الصباح عندما سألت جدتها: اليوم؟ لم تقل شيئاً.

(منذ بضعة أيام، وقبل الذهاب إلى المدرسة، وعندما تذهب إلى الحجرة الصغيرة لتعطي قبلة الصباح لحيماً، كانت تتبع ذلك الطقس بأن تنظر إليها في عينيها وتقول: اليوم؟ فهي مقتنعة أنه إن عاجلاً أو آجلاً ستقول لها شيئاً، ستعطيها إشارة ما، وأنه في ذلك اليوم سيظهر (لو)، وكل شيء سيعود على ما يرام، لكن حتى هذا الصباح، لا شيء، كوجاراشي).

- جروي، تلفون.

نادتها أمها من الطابق الأسفل.

نزلت جويًا جرياً وأسرعت إلى غرفة الجلوس. ربما لم يكن وقت الكوجاراشي بعد. ربما قرر (لو) أخيراً أن يهاتفها. ربما شيء ما سيستقيم اليوم.

- آلو؟

- لقد عثرت عليه!

لم يكن صوت (لو)، كان صوت امرأة، خشناً بعض الشيء وذكورياً.

- جو... جوفانا؟

- تعالي حالاً إلى هنا! لقد تذكرت أين رأيته!

69

وصلت إلى المشرب متقطعة الأنفاس.
 سألتها بمجرد أن دخلت: إذن؟ ماذا اكتشفت؟
 وكانت سيدة الكابوتشينو هناك أيضاً.
 - ما هذا؟ ألن تلقي السلام!
 - عندك حق. آسفة، كيف حالك؟ قالت لها وهي تحاول أن
 تلتقط أنفاسها، هل رأيته؟
 - أجل، بطريقة ما. تعالي معي.
 أجابتها جوفانا، وهي تشير إليها أن تتبعها إلى المخزن الخلفي.
 صعدت جويًا خلف الطاولة، وحركت ستارة من اللآلئ البلاستيكية،
 ودخلت إلى غرفة صغيرة مظلمة، مليئة بالزجاجات، ومُعلبات
 الحلوى، وصناديق من الورق المقوى.
 - سأشرح لك. قالت لها جوفانا وهي تأخذ صندوق زجاجات
 فارغاً وتقلبه لتجلس فوقه.
 - لديّ ذاكرة فوتوغرافية غير عادية. تركت المدرسة وأنا صغيرة؛
 بسبب حملي في سن السادسة عشرة، لكن كان يكفيني أن أُلقي
 نظرة على الكتب لأحفظ الأشياء. كنت عبقرية صغيرة، أقسم لك!
 على كل حال، عندما أطلعتني على تلك الصورة، لاحظت على
 الفور وجهاً مألوفاً بالنسبة إلي.
 تسمعها جويًا، لكنها في الوقت نفسه تتساءل: لماذا لكي تحكي
 لها هذه القصة أخذتها إلى المخزن الخلفي؟ فهمست، وهي جالسة
 على الأرض أمامها: إذن...
 - إذن فكرت وفكرت، وتذكرت فجأة أن المسن قد ترك هنا في
 المخزن صندوقاً مليئاً بالكراكيب... وفي آخره، ماذا وجدت لك؟
 قالت وقد رفعت من الأرض صندوقاً من الورق المقوى،

وعندئذٍ فتحته ووضعتَه تحت عيني جويًا.

- صورة؟

- أفضل من ذلك بكثير جدًّا.

قالت جوفانا وهي تضحك وتُخرج منه شيئاً كاللافتة المصنوعة باليد، أو بالتحديد مستطيل من الكرتون، وفوقه كُتبت أشياء كثيرة بقلم التحديد، وعدد من الصور. أخذتها جويًا من يدها وأخذت تنظر إليها، وازدحمت إليها على ركبتيها. لم تلاحظ أي شيء غريب: كانت لوحة خاصة بدورة لعبة الأسهم، وعليها كُتبت بخط اليد النقاط التي حصل عليها كل لاعب، وصور الفائزين، ثم بعض صور المجموعة متفرقة، ويوجد أيضاً الفائز بشيء يُدعى كأس كيوسكو، من الواضح أنه الاعتراف بأكثر من يشرب في المسابقة. قالت جويًا واللوحة لا تزال على ركبتيها: لكنني لا أجد شيئاً غريباً!

- لكن هل أنت غبية أم ماذا؟ انظري إلى أسفل!

تجول جويًا بنظرها في آخر اللوحة الكبيرة وتلاحظ صورة مقصوفة بالمقص، صورة شخص يظهر فقط وجهه، وكان هو، (لو). إنه هو بالتأكيد، بشعر أطول، ووجه بالتأكيد أصغر، لكنه هو. - آه اللعنة.

- تمامًا، هذا ما قلته أنا أيضاً!

كانت الصورة مؤطرة بقلم التحديد، وكانت هناك بالونة حوار كارتونية خارجة من فمه ومكتوب فيها: أنا فخور بهذا المركز الأخير، لقد تعبت كثيراً، وعملت بجهد شديد!

قالت جويًا: «إذن، فقد كان في المركز الأخير!» وهي تضع السبابة فوق بالونة الحوار، وفكرت في ذلك الذي قاله لها في الليلة الأولى، عن أنه إذا نظر إليه أحد وهو يلعب يصبح فاشلاً.

- بالفعل، وليس هذا كل شيء. انظري ما اسم مَنْ وصل إلى المركز الأخير!

اقترحت عليها جوفانا، بنصف ابتسامة.

فكرت جويًا بينها وبين نفسها «حسنًا، بحظي التعس هذا، لتتخيل إذا كان المكتوب اسمه!»، ثم ألقت بعينها على التصنيف النهائي وصاحت: ما معنى هذا؟

- هذا يعني أن صديقك الصغير قص عليك كثيرًا من الكذبات يا فتاة!

- هنا مكتوب لوكا دي باولو! مَنْ لوكا دي باولو هذا؟!

قالت جويًا بفم مفتوح، وهي تنظر إلى الأسماء العشرين الأخرى في الجدول، لم يكن هناك أي لورينزو، ولا حتى جزءًا من الاسم.

- الأمر في غاية البساطة يا جويًا العزيزة. فتاك (لو) في الحقيقة ليس اسمه لورينزو، لكن لوكا، ولم يعطك اسم العائلة فقط خطأ، لكن اسمه هو أيضاً. يا له من خبيث!

- لكن معذرة، ما دخل الاسم (لو) بالاسم لوكا؟

نهضت جوفانا من فوق الصندوق وذهبت لتجلس على الأرض بالقرب من جويًا. ومن المشرب يصل صوت العجوز: يا آنسة، هل يمكن أن تضيفي لي بعض الرغبة في الكابوتشينو؟ - حالاً!

صاحت جوفانا، وفي الوقت نفسه، أخرجت قلمًا من جيبتها، وبالقلم رسمت دائرة صغيرة على الحرفين الأخيرين من اللقب، ثم قالت لها: في رأيي هكذا اختار اسمه. من الحرفين الأخيرين.

- يا آنسة! الكابوتشينو الذي معي بلا رغبة!

- آاااه!

صاحت جوفانا وهي تنهض لتعود إلى المشرب، وتركت القلم في يد جوياء. أعادت جوياء رسم الدائرة حول الحرفين الأخيرين من اللقب، وفي الوقت نفسه، فكرت في أن الأمر يمكن أن يصدر من (لو)، أن يختار الحرفين الأخيرين وليس كالجميع، الحروف الأولى. وفي الوقت نفسه، بينما تجلس أرضاً أعادت النظر إلى الجدول والصورة والاسم. عادت جوفانا وجلست مرة أخرى فوق الصندوق.

- أقسم إنني سأقتل تلك العجوز إن عاجلاً أو آجلاً!

سألتها جوياء: لكن اسمعي، في رأيك...

رأيت في ماذا؟

- لماذا يعطيك فتى اسماً غير اسمه؟ أقصد ماذا يمكن أن

يدفعه إلى هذا؟

- صغيرتي، يبدو لي أن من كان عليه أن يخبرك، منذ فترة طويلة،

عن بعض الأشياء الأساسية فيما يخص عالم الذكور، لم يفعل ذلك

كما ينبغي. أتعلمين هذا؟

- هل تقصدين أن...

- اسمعي، لنفعل ذلك، الآن، سأطرح عليكِ سؤالين مباشرين

وأنتِ أجيبيني، ما رأيك؟

- اتفقنا، ربما يفيد هذا.

- لنرَ: هل تردد هو بعض الشيء قبل أن يقول لك الاسم

المزيف؟ أي هل تأخر، وجعلكِ تتمينين هذا؟

- أجل، لكن لماذا...

- ثم... هل بحث دائماً عن أماكن منعزلة؟ هل أراد دائماً

ألا يظهر معك كثيراً؟

- أجل، لكن...

- السؤال الأخير: هل اختفى قبل أم بعد أن أخذ منك أغلى ما لديك؟

- أغلى ما لدي! ماذا؟

- هل نام معك ثم تبخر؟

خففت جويًا رأسها، كأنه يوجد على أرضية المخزن الخلفي للمشرب كثير من القوالب التي عليها ترتيبها، ولم تجب عن هذا السؤال الأخير، لكن كان صمتها في حد ذاته إجابة، وهكذا ختمت جوفانا قائلة: عزيزي، لدي شكوك قوية أن فتاك الوسيم الغامض قد لعب بك. لنقل إذن إنه أحد أولئك الذين ينتمون إلى نادي من يستحقون أن يمزقه أحدهم جيداً. وفي حالة العثور عليه، اعرفني أنني أ تطوع لذلك بكل سرور!

وفي ذلك الوقت، من داخل المشرب، نادى العجوز مرة أخرى، وتظاهرت جوفانا بأنها لا تسمعها. مكثت جويًا على الأرض وهي تجز على أسنانها من الغضب والذهول.

يصعب عليها جداً، بالفعل، أن تفكر في أن كل ذلك الذي حدث، الحجرة، والصورة المؤطرة، وكل الأمسيات التي قضياها معاً، فعل هو كل هذا فقط لكي يأخذها إلى الفراش. وهكذا وبينما جوفانا على وشك أن تعود إلى المشرب لتضع مرة أخرى الرغبة للعجوز، نهضت جويًا، ولمست ذراعها وسألتها: هل لديك دليل تلفون؟

70

- آلو، منزل عائلة دي باولو؟

- أجل، من يتكلم؟

- صباح الخير، اسمي جويًا سبادا.

- اسمعي، إذا كانت مكاملة تجارية، أريد فقط أن أقول لك على الفور إننا لا نبتاع شيئاً.
- لا، لا، لا تقلقي، ليس شيئاً من هذا. أتصل من أجل لوكا.
- ...
- آلو؟ هل لا تزالين معي؟
- تفضلي.
- لا شيء. كنت أريد فقط أن أعرف إذا كان في المنزل.
- من؟
- لوكا، لوكا دي باولو... هل هو في المنزل؟
- هل يمكنك أن تقولي لي مرة أخرى مَنْ أنتِ، من فضلك؟
- اسمي جويبا سبادا، وأنا صديقة لوكا، هل هو في المنزل؟
- ما هذا؟ مزحة؟
- لا، على الإطلاق.
- إذا كانت مزحة، أحب أن أقول لك إنها مزحة ثقيلة جداً، هل تعرفين؟
- لكن لا، أنا فقط أريد أن أتحدث دقيقتين مع لوكا. هل يمكنك أن تعطيه الهاتف، أو أن تقولي له فقط إنني أتصل؟
- كليك!

71

عادةً تجري بهذه الطريقة في الطريق العكسي، من المنزل إلى المشرب، لكن في هذه المرة تجري جويبا بأقصى سرعة باتجاه منزلها. ستشغل الحاسوب العتيق؛ ذلك الذي عندما يبدأ يُحدث ضوضاء أكثر من ضوضاء شاحنة في حالة صعود جبل، وستعثر عليه. ستذهب إلى محركات بحث «غوغل» و«ياهو» وغيرهما

وكل مكان؛ وهي مستعدة أيضاً للعودة إلى حساب أمها على الـ«فيسبوك»، لكنها يجب أن تعثر عليه.

لا بد أن تعرف السبب، لماذا قال لها اسماً مستعاراً؟ ولماذا اختفى؟ وإذا كان بالفعل في مصيبة ما ويحتاج إليها. لا بد أن تُسكت الأصوات الكثيرة، صوت تونيا، وصوت جوفانا، التي تقدم إليها حلولاً بسيطة، إنه كان يتسلى، أو أن لديه صديقة بالفعل وكان بحاجة إلى التغيير.

- هيه أنت! ما حكاية أنكِ تدخلين وتخرجين كما يحلو لكِ؟!
تسمع صوت أبيها وهو يصرخ بمجرد أن تضع قدمها في المنزل، لكن لم تجبه جويًا، وأسرعت لتشغيل الحاسوب. وفوق لوحة المفاتيح تجد جاكو القط الشبح نائمًا؛ فتضعه برفق فوق الفراش وتضغط زر التشغيل.

يُفتح باب غرفتها بعنف، ويظهر وجه أبيها، لم يعد يرتدي ربطة العنق، وكان ينظر إليها بغضب.
- لقد طرحت عليكِ سؤالاً!

كان الرد التلقائي لديها هو أن تقول له: «ألا يجب أن تطرق الباب؟»، لكن لون وجهه جعلها تختار نبرات ومحتويات أكثر حذرًا.

- أجل، آسفة، لم أسمعك.
- لقد سألتكِ كيف تدخلين وتخرجين من المنزل كما يحلو لكِ؟
وهنا أيضاً أرسل إليها مخها معطيات، مثل: «أنت لم تهتم من قبل بما كنت أفعله، ماذا حدث لتبدأ الآن؟»، لكن نظراً إلى أنها بهذا تخاطر بأن تتلقى العقاب المثالي، مثل أن يقطع الإنترنت، أو أن يصفعها بقوة كما كان يحدث في الماضي، اختارت جويًا أن تقول: لقد ذهبت سريعاً إلى إحدى الزميلات لتعطيني بعض الملحوظات

الخاصة ببحث. وفي الواقع، لا بد الآن أن أذهب إلى «غوغل» حتى...
- لن تستطيعي، قطعوا خط التلفون.

- ماذا؟

- ليس خطأي، بل خطأ أمك التي لم تدفع الفاتورة في موعدها!
غداً صباحاً سأذهب لأدفعها أنا، لكن قبل أن يعيدوه إلينا
سيستغرق الأمر بعض الوقت.

- آه، أوك، إذن سأذهب لأقوم بهذا البع...

حاولت جويًا أن تقول، وهي تفكر في الذهاب للبحث عن
إجابات في أي مركز إنترنت، إذا كانت لا تزال موجودة.

- لن تذهبي إلى أي مكان، إذا كنتِ قد فعلتِ ما فعلته؛ فهذا
أيضاً لأنه لا يوجد أحد هنا ليعلمك بعض القواعد. من الآن
فصاعداً تغير هذا!

قال أبوها، وهو يغلق الباب ويعود إلى أسفل، دون أن ينتظر أي رد.
وهكذا مكثت جويًا بمفردها في الحجرة مع القط وتونيا، وعلى
الأقل بعض الأطنان من الشكوك.
وبطريقة عفوية، طبيعية، وواضحة تقريباً، خرجت من جديد
لعتها المفضلة: «كوكب قذر!».

72

المنزل جميل بالفعل. فيلا من تلك الحديثة جداً، مصنوعة
بدقة، الجدران الخارجية بالأحمر الزاهي، وعلى واجهة موقف
السيارات نوع من الموزاييك المصنوع من قطع معدنية على شكل
نجوم.

قررت جويًا، بعد المدرسة، أنها ستعرج على العنوان، الذي
عثرت عليه في قائمة الأمس لدى جوفانا.

- لم يكن يبدو ابن أثرياء.

قالت جويا لتونيا وهي تتوقف لتتنظر إلى المنزل.

- ولم يكن يبدو أيضاً كشخص يمكن أن يعطيك اسماً مستعاراً.

أجابتها بدقة صديقتها لاعبة الكرة الطائرة، وهي ترفع رأسها قليلاً لتتنظر جيداً إلى الجزء الخارجي من المنزل، ثم أضافت: خلال نصف ساعة لا بد أن تكوني لدى المحللة النفسية، تعرفين، أليس كذلك؟

- أعرف، أعرف.

فحصت جويا من الخارج الحديقة المعتنى بها جيداً، وألقت نظرة نحو السور الكبير الذي يحيط بالمنزل، والذي استطاعت من ورائه أن ترى، ضمن أشياء أخرى، حمام سباحة. أضافت: لديه كل هذه النقود ويرتدي ملابسه دائماً بالطريقة نفسها! حتى تونيا احتارت.

من يدري لماذا يستطيع بعض الأبناء الأغنياء، أحياناً، أن يجعلوا الآخرين يعتقدون أنهم أبناء عمال أو ميكانيكيين؛ أي إن بعضهم يحرص على ذلك بالفعل، أن يبدو على خلاف حقيقته. يجتهد جداً في هذا، يذهب إلى المدرسة بأحذية مقطعة، وجينز متسخ، ودائماً التي شيرت نفسه، بينما في المنزل لديه سيارات ثمنها يفوق ثمن شقق، ولديه الوصيفة، والجاكوزي، مقتنعاً أنه يكفي هذا لينزع عن نفسه رخصة الثراء، كأن هناك شيئاً ما يخلج منه.

همست لتونيا: الفقراء لا يريدون أن يظهروا كفقراء، والأغنياء لا يريدون أن يبدو كأغنياء، في النهاية لا أحد يريد أن يُظهر حقيقته، يا للخداع!

تتمنى جويا سبباً فقط ألا يكون (لو) من هؤلاء، وأن ارتداه دائماً ملابس متشابهة وقديمة بعض الشيء؛ لأنه يحب ذلك. ربما

سيؤولها أكثر من قصة الاسم المزيف أن تشعر أن الأمر كله كان مجرد عرض.

ترن الجرس.

لا يجيب أحد.

ترن الجرس من جديد.

لا أحد.

تضع للمرة الثالثة إصبعها على الزر، وهي على استعداد لأن ترنه، عندما ترى خلف النوافذ ستارة تتحرك، كأن أحدهم يتلصص ولا يريد أن يراه أحد. ربما تكون المرأة التي أجابت بالأمس على الهاتف، أو ربما...

- إذا كان هو، سيكون بالفعل...

- ماذا؟

- لا داعي، لكن ماذا يفعل بحق الجحيم، هل يلعب الاستغماية؟

قالت وهي تنظر نحو الستائر.

أجابت تونيا: يبدو هذا.

عندئذٍ رنت جويًا الجرس من جديد، وهذه المرة لفترة أطول، وأخذت تعلق وتقول: لنرَ من سيفوز!

لا شيء، لم يرد أحد. ولم تتحرك الستائر من جديد.

حاولت جويًا من جديد، ثلاث، أربع، خمس مرات، لا شيء.

قالت لتونيا: هيا، ربما كانت الأم. ربما يكونون كلهم مصابين بالصمم

في هذا المنزل، أو ربما يكونون كلهم أوغادًا، دققت أكثر... وابتعدتا.

73

تتشابه الملتصقات على الحوائط مع مواقف رأتها جويًا، بطريقة ما، خلال سنوات عمرها السبع عشرة: يوجد ذلك الخاص بالعنف

ضد القاصرين؛ وذلك الخاص بهدمني الخمر المجهولين، والزيجات المتأزمة، وأخيراً ذلك الذي يدعو السيدات ضحايا العنف للإبلاغ عن أزواجهن. عملياً، كانت قصة حياتها موجودة على الجدران الأربعة.

حاولت جويًا أن تُركز على الملصقات، لكن الرفاق في صالة الانتظار لم يشعروها بارتياح.

يوجد رجل في الأربعين تقريباً، يتحدث بمفرده، ويهمس دائماً بالعبارة نفسها: شيء ما ليس على ما يرام! وقتاة نحيفة جداً، لكنها نحيفة لدرجة مخيفة، تتصفح مجلة بهدوء.

وقتى لم يفعل شيئاً سوى النهوض، يدور بعض المرات في صالة الانتظار، ثم يعود ليجلس، ثم ينهض من جديد.

الوحيدان اللذان بطريقة أو بأخرى لم يسببا القلق، كانا رجلاً وامرأة، هو في السبعين تقريباً وهي في الأربعين تقريباً، ربما زوجاً وزوجته، جالسين أمامها، لكن بإمعان النظر إليه يوجد شيء ما في نظرتة لا يعجبها، نظرة غامضة، كأنه لم يكن صادقاً تماماً. يرتدي ملابس أنيقة ويمسك بيدها. أما هي، فتعبرها مُفرغ تقريباً، ضائعة، ومتعبة. تبدو كمن يشاهد التلفزيون، أو مثل من لا يخلد إلى النوم طوال الليل. على الرغم من أنهما؛ حيث هما، لا يوجد أي تلفزيون.

- سبادا! سمعتهم ينادون من الداخل. جاء دورها. نهضت جويًا.

كانت تتوقع المكتب الكلاسيكي المكتظ بنسخ من لوحات مشهورة، إلا أنها لم تجد على الجدران سوى تصميمات ورسومات جديدة من نوعها. كانت هناك واحدة منها جميلة بالفعل: كان

مرسوماً فيها قلب كبير جداً أحمر اللون، لكن إذا اقتربت منها تكتشف أن خطوط القلب مصنوعة من أسماء أشخاص ومدن، مكتوبة بخط صغير جداً.

سألتها الطبيبة الجالسة على مكتبها أمامها: هل تعجبكِ؟ هي أيضاً كانت تتوقعها مختلفة: كانت فتاة في الثلاثين تقريباً، فتاة جميلة، شعرها أسود، ترتدي النظارات، لديها قصة شعر أمامية، وبعض النمش.

- جميعها من إبداع صبية يشتغلون بمركز الصحة العقلية. وهذه التي تنظرين إليها الآن فازت في مسابقة.

- بالتأكيد، كنت سأصوّت لها أنا أيضاً.

قالت جوياء وهي تقترب من اللوحة.

- ماذا يعجبكِ في هذه اللوحة؟

- تعجبني لأنه يقول لنا إن قلبه مصنوع من الآخرين؛ من الأشخاص الذين عرفهم، من الأماكن التي زارها. قالت جوياء وهي تشير بإصبعها نحو خطوط القلب.

سألتها الطبيبة، وهي تنهض وتقترب منها بعض الشيء: وهل هذا جميل، في رأيك؟

- لنقل جميل وسيئ.

- آه، سيئ؟

- أن نترك الناس ليدخلوا هكذا في قلوبنا يمكنه أن يكون سيئاً جداً، كأننا لا نقوم بأي تفتيش من أي نوع في مدخل متحف غاية في الأهمية، مثل اللوفر. ففي لحظة يمكنك أن تجدي الجيوكاندا مسروقة. تقترح عليها بينما لا تزالان تنظران إلى اللوحة: لكن ربما قام هو بالتفتيش، ثم قرر، في كل الأحوال، أن يدخل عدداً من الأشخاص. - يمكن، لكن انتهى به الأمر في مركز الصحة العقلية.

نقلت المحللة النفسية نظرتها من اللوحة إلى جويا، ثم أفلتت منها ابتسامة، وقالت لها: تفضلي اجلسي.

جلست جويا وهي تنظر بسرعة إلى صورتين مؤطرتين موضوعتين فوق المكتب: الفتاة نفسها مع رجل، أكبر منها بكثير (الأب؟)، ثم صورة أخرى مع طفلة صغيرة (الابنة؟). ولا توجد صورة مع الزوج. لا بد أنها مطلقة، أو متزوجة من شخص أكبر منها. تدور الاختصاصية النفسية حول المكتب لتجلس أمامها.

تقول لها: هل تعرفين أن اسمكِ جميل؟ لديها نغمة في لهجتها لا تبدو إيطالية. روسية ربما!

- أشكرك. تجيبها جويا.

تسألها: إذن، كيف حالك؟

اسمها على البطاقة المعلقة على القميص: فيروشكا روفيريدو. ربما تكون أجنبية متزوجة من إيطالي، الذي بعد ذلك...

- جويا؟

- أجل؟

- هل تريد أن تخبريني كيف حالك؟ كيف تشعرين؟

بكل صدق، لم تكن تتوقع أن تطرح عليها سؤالاً من هذا القبيل. كانت مستعدة لشيء مختلف تماماً، كانت تتوقع تلك الاختبارات الغبية ذات الصور المجردة، وسلسلة لا نهائية من لماذا فعلت هذا؟ وكيف هي علاقتك مع أبويك؟ وليس مجرد سؤال بسيط، وتافه، وطبيعي جداً: كيف حالك؟

ليس من السهل الإجابة عن هذا السؤال أبداً.

إذا صنفوا الأسئلة، التي يرد عليها الناس بكذبة، فسؤال «كيف حالك؟» سيكون بالتأكيد في أول القائمة. لا أحد يجيب عن هذا السؤال مطلقاً قائلًا الحقيقة كلها.

لكن جويلا لا تعرف لماذا، إلا أنها أرادت أن تجيب بصدق. واليوم، الآن، هنا، كان الرد الصادق عليها: لست بخير. نظرت إليها الدكتورة روفريدو، وضمت شفيتها لثانية، ثم قالت: أعلم هذا.

لم تعرف جويلا ماذا تقول. لم تكن تتوقع حتى هذا، ثم استمرت الدكتورة بلهجة روسية بعض الشيء؛ وهو ما جعلها أكثر لطفاً: «كل شيء مقرف، أليس كذلك؟». فكرت جويلا لحظة في الأمر: «لا، ليس كل شيء مقرفاً. الحقيقة...»، حاولت أن تبدأ في قول شيء ما، لكنها فقدت الكلمات في الطريق. كانت أمامها من ثانية واحدة، لكنها اختفت. واستغرق الأمر وقتاً طويلاً لتعثر عليها من جديد.

التزمت المتخصصة الصمت، ولم تتحدث. انتظرت حتى تفعل جويلا هذا، وبدا عليها أنها حتى إن لم تستطع جويلا ذلك، لن تحدث أي دراما. وهكذا توافر الوقت لجويلا لتسمح للكلمات أن تقترب منها من جديد، وحدها. وعندما اقتربت، شعرت فجأة بالرغبة في أن تخرجها. لم تكن تتوقع هذا على الإطلاق، كانت تعتقد أنها ستضطر إلى أن تنتزعها انتزاعاً.

- في الحقيقة ليس كل شيء مقرفاً على الإطلاق؛ بل، العكس تماماً. أنا أعلم أن كل شيء جميل جداً، هناك في الخارج، لكن كأنه جميل جداً... من الخلف، هل تفهميني؟ في الأسفل، في الخلف، ما وراء ذلك، يبدو كأن كل شيء مختبئ، يبدو مثل...

خرجت منها كلمات مرتبكة، حتى هي لم تكن تدري ماذا تقول بالتحديد. نظرت إليها الدكتورة، دون أن تتحدث، لكن بنظرة تعني: تبدو مثل؟

- تبدو كأننا نعرف أن كل شيء يمكن أن يكون أجمل من هذا، لكنه ليس كذلك مطلقاً في نهاية الأمر. ليس مستحيلاً؛ فهو هناك،

لكنه في الخلف، أو في الأسفل، لكن لا يخرج مطلقاً، لا يظهر. لماذا لا يظهر؟

قالت، دون أن تعرف أنها ربما لا تتحدث فقط مع نفسها، كأن الفاعل في لماذا لا يظهر؟ هو شيء آخر. شخص آخر. تهتدت الدكتوراة، وانتظرت بضع ثوانٍ، ثم قالت لها: أعرف. - تعرفين؟

- أعرف. هكذا تسير الأمور. أنتِ على حق. أنا أعتقد أنكِ فعلتِ ما فعلته لتظهري ذلك الذي لا يظهر. - أجل، هذا أيضاً.

- سنتقابل خلال يومين؟ المكان نفسه والساعة نفسها. قالت جوياء وهي تنهض: حسناً.

شيء غريب، لكنها كانت تفكر في أن هذا الشيء جعلها تشعر بأنها أفضل، على الرغم من أنها كانت متأكدة من العكس. تتجه نحو الباب، تفتحه، ثم تقول الدكتوراة بصوت مرتفع: دي باولو! تتسمر جوياء، مضطربة داخلياً من شحنة كهربائية.

سألت الطبيبة: ماذا قلتِ، معذرة؟

أجابت هي: دي باولو، المريضة التالية.

بينما بالقرب من جوياء يمر الشخصان اللذان رأتهما من قبل، يمسك الزوج والزوجة كلٌّ بيد الآخر.

74

- بالتأكيد مجرد مصادفة!

- لا وجود للمصادفات!

- قال بوفه إن كل شيء يحدث بمحض المصادفة يا تونيا.

- بوفه يدرس فلسفة.

- إذن؟
 - الحياة شيء آخر.
 - ليس دائماً.
 - عندما لا يكون الأمر كذلك؛ لأن الحياة خدعتنا.
 - تونيا!
 - أقول لكِ إنها والداه!
 - لو؟
 - لا، هاري پوتر.
 - في هذه الحالة لا أعرف من الواقعي أكثر، هو أم هاري.
- جويًا سبادا تقف خارج مبنى الخدمات الاجتماعية، هناك تتحدث ذهنيًا مع تونيا، بينما تنتظر أن يُفتح هذا الباب. تتجنب أن تفعل هذا بصوت مرتفع، هذه المرة؛ لأنها تدرك بدورها أن إطار المكان الذي توجد فيه يسمح لأي شخص أن يفكر في أن هناك عطباً ما في رأسها.
- تتقدم خطوة إلى الأمام، ثم خطوتين للخلف.
- لا تعرف بالتحديد ماذا يجب أن تفعل، عندما يحدث: الفكرة التي راودتها أن توقف على الفور الشخصين وتسألهم إذا كانا يعرفان لوكا، وأن تسمعهم يجيبان: لا، لم نره، ولم نسمع عنه قط، ثم تعود إلى المنزل لتكتئب.
- إذن، لنبدأ من جديد. تسمع صوت تونيا يقول لها، ستكون خطتك أن توقفي اثنين لا تعرفينهما، خارج مركز الخدمات الاجتماعية، لتسألهم إذا كانا يعرفان شخصاً اسمه لوكا دي باولو؟
- في هذه المرة كان الاعتراض ذكياً. ربما لا توجد سوى طريقة واحدة لتفهم من خلالها إذا كانا على علاقة به.

75

يُفتح الباب، وعلى وجهها تبدو آثار بكاء شديد. يمسكها هو من ذراعها، بتعبير وجهه الغامض بعض الشيء، وفي ذهن جويّا تنطلق على الأقل عشرات من الأفلام الذهنية في وقت واحد: ربما هما هنا لأنها تمر بفترة اكتئاب، أو ربما هي أخته وتعاني من بعض الاضطرابات النفسية، أو ربما متزوجان وعلى وشك الطلاق وهي لا تتحمل هذا، وهو يحاول مساعدتها على اجتياز ذلك. يخرجان. تلتفت جويّا نحو الطريق، وتأخذ المفكرة من حقيبتها وتظاهر بأنها تلفون؛ لتتمكن من التحدث مع تونيا وتبدو أيضاً طبيعية .

- هل تتبعينهما؟

- يا لكِ من ذكية يا شيرلوك!

- ماذا إذا أدركا؟

- يبدو لي أن لديهما شيئاً آخر يشغلهما. نتمنى فقط ألا يكونا

قد جاءا بسيارة!

في ذلك الوقت، اتخذ الشخصان الطريق الرئيس وهي متأبطة ذراعه. يسيران مدة ليست قليلة، دون أن يتبادلا كلمة واحدة.

تصبح جويّا: ربما يكون هو مجرد مقدم الرعاية!

- لا، فهو حنون جداً.

ثم، عند لحظة ما، يعرجان، تماماً في طريق منزل الأغنياء؛ حيث ذهبت جويّا بحثاً عن (لو)؛ ذلك الذي لم يحاول حتى أحد فيه أن يفتح لها.

قالت تونيا بنبرة سعيدة: هل رأيّت؟

- بالفعل، لا بد أن أقص هذا على بوفه.

لا شك، هو تماماً المنزل. يدخل الرجل والمرأة من البوابة،

وعندما يغلق هو البوابة، يلتفت لينظر لبضع ثوانٍ نحو الطريق، تماماً في اتجاه جوياء التي -بالغريزة - تختبئ خلف صندوق القمامة، وتتعثّر بإحدى عجلاته لتسقط أرضاً، بينما تنفجر تونيا في الضحك.

76

انتظرت لمدة ساعة وثمانية عشرة دقيقة وست وعشرين ثانية، وطوال هذه المدة كانت تونيا تسخر منها؛ لأنها تجلس هناك ملتصقة بصندوق القمامة.

ساعة وثمانية عشرة دقيقة وست وعشرون ثانية، وهي تتساءل: أذهب أم لا؟

ساعة وثمانية عشرة دقيقة وست وعشرون ثانية من: ثم إذا ذهبت ماذا أفعل؟ أرن الجرس؟ وإذا لم يجبني أحد مثل المرة السابقة؟ وإذا - من النافذة - تعرفا إليّ من مركز الشؤون الاجتماعية واعتقدا أنني مجنونة؟

لا، لم تكن تلك الساعة والثماني عشرة دقيقة وست وعشرون ثانية ممتعة على الإطلاق.

ولهذه المواقف، لدى جوياء منهج: فهي تضع قارئ الـ«إم بي ثري» بطريقة عشوائية، وتضغط زر التشغيل، وعندما، أو إذا، وصل إلى أغنية Born to Run لبروس سبرينجستين⁽²⁴⁾؛ فهذا يعني أنها اللحظة المناسبة. يوجد على قارئ الـ«إم بي ثري» ألف ومائتان وست وثلاثون أغنية. المرة الوحيدة، التي نجحت فيها هذه الطريقة عندما كان عليها أن تقرر إذا كانت تقبل أم لا الدعوة إلى حفل نهاية العام في صالة الرقص المحببة لكاكالي ورفاقه، وكانت، تقريباً، أنعس وأبأس أمسية في حياتها كلها.

.Bruce Springsteen (24)

على الرغم من ذلك، إلا أنها لا تزال تستخدم هذا الأسلوب.
وربما لهذا يصعب على جويا أن تفعل أي شيء.
تقول لها تونيا: ينبغي أن تضعي فقط ست أغنيات في الـ«إم
بي ثري».
- اسكتي أنتِ.

وهكذا، خلف الصندوق الكبير، وبعد ساعة وثمانية عشرة
دقيقة وست وعشرين ثانية، وبعد سبع وعشرين أغنية، لم تكن
هي المطلوبة، يحدث شيء ما.
بدأ المصباح الموضوع على قمة البوابة الإلكترونية في الوميض،
وبدأت البوابة تُفتح ببطء. عبرت من خلالها سيارة طويلة سوداء
لامعة، وفي داخلها السيد، زوج أو أخو السيدة. وبعد ثانيتين، رحلت
السيارة، بينما من السماعات تُسمع أغنية كيتي بيري⁽²⁵⁾، التي لا
تعرف كيف وصلت إلى تلك القائمة، Firework.
وبينما تبتعد السيارة في نهاية الشارع، وبفعل معجزة ما،
انطلقت أغنية Born to Run.

صرخت فيها تونيا: هيا يا غبية!
نهضت جويا سبادا، وخرجت من مخبئها، وذهبت نحو البوابة.
رنت الجرس مرة، ثم مرتين، ثم ثلاث مرات.
في النهاية، سمعت حركة في السماعة الخارجية: من هناك؟
قال صوت معدني لامرأة.
اقتربت تونيا: لا تقولي لها إنكِ تبحثين عنه، ستغلق الهاتف
بالتأكيد!

- مساء الخير... أنا أبحث عن السيدة دي باولو.
- أنا هي. ماذا تحتاجين؟

- قولي لها إنكِ من الشؤون الاجتماعية، وإن السيد الذي كان معها نسي شيئاً ما هناك.
- أجل، أنا من الشؤون الاجتماعية.. السيد الذي كان معكِ نسي...
- أنقصدين زوجي؟ ماذا نسي؟
- لم تعرف جويًا كيف تجيب، وأخذت تهز يديها من التوتر.
- يا آنسة؟
- قولي شيئاً!
- نسي... محفظته!
- قالت جويًا، وهي متوترة جداً. كانت تشعر بنظرة تونيا فوقها، ورأسها وهي تشير بلا!
- شيء غريب، لا يفقدها إطلاقاً.
- إذا أردتِ يمكنني أن أمررها أسفل البوابة.
- حسناً، سأخرج الآن.

77

- ترتدي شيئاً كالروب المنزلي، وتبدو كمن استيقظ للتو، لكن ربما بعد kp، ثمانمائة عام. لا تعرف جويًا بعد، بالتحديد، كيف تسألها ما تريد، لكنها تعرف أنها يجب أن تسألها.
- قالت لها السيدة، بطريقة عنيفة بعض الشيء. شيء بين الضيق والغضب: إذن، أين هذه المحفظة؟
- في الحقيقة... لست هنا من أجل المحفظة.
 - إذا كنتِ تريدين أن تبيعي لي شيئاً، أقول لكِ على الفور إنني...
- ها هي من جديد، الموضة الجديدة، التعامل معها كبائعة تجول بين المنازل.

- لا يا سيدتي، اسمي جويا سبادا، وأنا هنا من أجل لوكا.
 - كنت أعرف هذا! كان لا بد أن أعرفه!
 قالت هي، متوترة، لكن أيضاً بحزن شديد، ثم استمرت: لهذا
 لا أفتح الباب لأحد قط إذا رأيت فتية على الباب. لم أعد أحتمل.
 لم تفهم جويا جيداً ماذا تريد أن تقول السيدة. ولا حتى تونيا.
 - قولي لها إن لديك كنزته في المنزل وترغبين في إعادتها.
 حاولت أن تقترح عليها صديقتها المتخيلة.
 - في الحقيقة، لديّ كنزة لوكا في منزلي، وكنت أريد أن أعيدها
 إليه.

أشارت جويا بصوت مضطرب، وكان لديها أيضاً الشعور بأن
 المرأة ستنفجر في البكاء بين لحظة وأخرى.
 لا، لن تسير الأمور على الإطلاق كما كانت تتوقع.
 من وجه السيدة، ومن الطريقة التي بدأت بها المحادثة،
 والقصة الغريبة للجرس وكل شيء آخر، كانت جويا تتوقع أن تقول
 لها إنها يمكن أن تحتفظ أيضاً بالكنزة، وإنها لا تريد أن تراها مرة
 أخرى، أو شيئاً من هذا القبيل. كانت تتوقع كل شيء، إلا ما قالته
 لها السيدة: تعيدينها.. إلى مَنْ؟
 نظرت جويا إلى تونيا، ونظرت تونيا إلى جويا.
 - كنت أريد أن أعيدها إلى لوكا.

فتحت السيدة فمها، وتركته هكذا، مفتوحاً، دون أن تتفوه
 بكلمة كأنها لا تفهم، قطبت حاجبيها، ونظرت إلى جويا كأنها
 تتحدث بلغة غريبة، ثم لوهلة تحجر وجهها، في تعبير الدهشة
 هذا، بينما بدأ النور الأصفر فوق عمود البوابة يومض من جديد،
 وبدأت البوابة الآلية تُفتح، وكل ما استطاعت السيدة أن تقول له
 بفم مفتوح هو: إلى... لوكا. وفي ذلك الوقت، دخلت سيارة الزوج

الطريق الصغير، ونزل الرجل بسرعة وهو يجري نحوهما بخطوات ثابتة.

- ماذا؟ قال في اتجاه جويّا عندما كان على بُعد أمتار منها: مَنْ حضرتك؟ كان الرجل يتصرف كأنه يريد أن يحمي زوجته من شخص خطير، وشعرت جويّا بأنه إذا وصل إليها سيُدخلها على الفور إلى المنزل دون أن يسمح لها بأن تسأل ما يجب أن تسأله. وهكذا اقتربت قليلاً من المرأة وخفضت صوتها، وقالت لها: أجل، أريد أن أعيدها إلى لوكا. هل تعرفين كيف يمكنني العثور عليه؟ - يا فتاتي العزيزة!

قالت المرأة لحظة قبل أن يصل إليها زوجها ويأخذها إلى الداخل.

- أنا لا أعرف مَنْ أنتِ، وأي كنزة يمكن أن تكون في منزلك، ولكن صدقيني، لا أريد حتى أن أعرف هذا. أعرف فقط أن ابني لوكا مات منذ عشرة أشهر!

الجزء الثاني

Vybafnout (تشيكى) القفز خارجاً فجأة والصراخ!

1

درانا في ريدونا: اختفاء شاب في الساعة عشرة.
الأب: ترك خطاب وداع.

كانت الساعة الثامنة والنصف من صباح السبت 21 مايو 2016 عندما أبلغت المدرسة الثانوية «جرجوليتي»، إلكترونيًا، من خلال رسالة هاتفية، المهندس ماركو دي باولو بغياب ابنه عن المدرسة. الأمر يتعلق بخدمة يقوم بها المعهد، مثلما يحدث في معاهد أخرى كثيرة في إيطاليا، منذ بضعة أعوام: في حالة أي غياب غير معتمد في السجل الإلكتروني لمدرس الساعة الأولى، يرسل الجهاز آلياً رسالة إلى تلفون الوالدين يبلغهما بعدم حضور الابن إلى المدرسة. ونظراً إلى أن والد الطالب قد اصطحبه بنفسه إلى المدرسة، كما يفعل كل صباح؛ فقد بدأ البحث عنه على الفور: ووفق الشهادات التي جمعت، يبدو أن الفتى كان قد عانى في الماضي من أزمات اكتئاب، ونوبات فزع، على الرغم من أنها خفتت ظاهرياً في الفترات الأخيرة؛ ما أدى إلى شكوك بتوقع الأسوأ. أبلغت المطافي أولاً؛ ثم استدعيت قوات الشرطة بعد ذلك، وبدأت

على الفور عمليات البحث الأولى لدى المعارف وأصدقاء الصبي. وفي العاشرة تقريباً، كان الاكتشاف الحزين الأول: عثروا أسفل وسادة الشاب على خطاب، من التبريات الأولى، بدا أنه خطاب وداع حقيقي، أو بالحري الإعلان عن انتحاره الوشيك، الذي أشار فيه أيضاً إلى المكان الذي يمكن فيه العثور على جثة الصبي. وجهت وحدة الشرطة في بوردينوني على الفور البحث إلى مقاطعات ترامونتي العليا، وترامونتي المنخفضة، خصوصاً مناطق البحيرات؛ الأماكن التي يبدو أنه قد أشار إليها في الخطاب، وأبلغت أقسام تلك المناطق.

في الساعات القادمة سنوافيكم بالتحديث على موقعنا.
اختفاء صبي في ريدونا، وصل التأكيد: كانت رسالة انتحار.
الأب في تصريح لنا: ربما قرر أن ينهي حياته.

بينما تستأنف تحريات الشرطة والحماية المدنية في أقاليم ميدونو، وترامونتي وسيكوليز، صرح أبو الصبي المختفي صباح اليوم من بوردينوني لصحيفتنا أن الخطاب، الذي عثروا عليه أسفل وسادة الابن، كان يتحدث عن نيته الانتحار. ووفق التحقيقات، فإن لوكا دي باولو، البالغ من العمر سبعة عشر عاماً، توجه في الصباح مثل كل يوم إلى المدرسة، إلى المعهد الثانوي جريجوليتي للحاسوب، واصطحبه أبوه بالسيارة، ثم، وبعد أن تظاهر بأنه دخل إلى المبنى، وصل خفية إلى أقرب محطة للحافلات، وصعد إلى أول حافلة في اتجاه «بيدمونت». وبعد ذلك، وبعد أن بدل الحافلة في مانياجو، انصرف هذه المرة نحو ترامونتي؛ لينزل في محطة بالقرب من بحيرة ريدونا، وهناك سار حتى وصل إلى طريق، مُشار إليه بدقة شديدة في الخطاب المعثور عليه. ومن تلك النقطة - وفق ما أعلن عنه - ألقى بنفسه في البحيرة؛ بحيرة صناعية عميقة

جداً، تقع بين الخليجين المرتفعين لوادي ترامونتيننا. أرقام الحوض الصناعي تتحدث بوضوح: ففي بعض المناطق عمقها أكثر من سبعين متراً، ومساحتها تقريباً كيلومتراً مربعان. منذ بضع دقائق، بدأت فرقتان من قوات الغطس للحماية المدنية، التي، في حالة إذا ما كانت هذه بالفعل حالة انتحار، صرّحت: نظراً إلى العمق الحالي للبحيرة نتيجة الأمطار الغزيرة في الأيام السابقة، قد يكون من الأفضل العودة في وقت آخر.

وفي الساعات القادمة سنوافيكم بالمستجدات.

الشاب المختفي: العثور على حذاء وسوار.

الأب: أجل، إنها تخص لوكا.

رهما حاول الصبي أن ينتحر قبل ذلك، لكن يرفض الأبوان الإدلاء بأي تصريحات بهذا الشأن.

لا تزال فرقتا الغطس تستأنفان بحثهما عن جثة الصبي المحتمل انتحاره، بينما عثرت قوات البحث في ميدونو، بالقرب من النقطة التي يمكن أن يكون قد ألقى فيها بنفسه، وفق ما أشار لوكا بنفسه في خطاب الوداع، على شيئين يخصان، بطريقة شبه مؤكدة، شاباً في السابعة عشرة: حذاء رياضي مقاس 41، وسوار من الجلد. ووفق المعلومات التي توافرت لدينا، فإن الأب تعرف إلى أدوات الابن، ويقود هذا الاكتشاف الآن بشكل مؤكد إلى افتراض الانتحار. في الواقع، من خلال لقاء مراسلينا مع بعض زملاء الصبي يبدو أن لوكا، الذي كان قد عانى في الماضي من أزمات اكتئاب ونوبات من الفزع، حاول أيضاً منذ بضعة أشهر أن ينتحر بإلقاء نفسه من شرفة منزله؛ لينقل على الفور إلى الطوارئ، واستطاع الأطباء في مستشفى سانتا ماريا ديللي أنجيولي في بوردينو إنقاذه. ولا يزال اختيار الصبي للبحيرات الصناعية في ترامونتي لينفذ فيها مخططه أمراً غامضاً.

وفي الساعات القادمة سنوافيكم بتطورات الحدث.
لوكا: لا شيء حتى الآن.

بعد اثنتي عشرة ساعة وست عمليات غطس، لم تعثر فرقنا الغطس على الجثة. طلب الأبوان صمت الصحافة: اتركونا في آلامنا. بقايا دراجات بخارية، وسيارات قديمة، وأدوات أخرى متنوعة، استطاع غطاسو الحماية المدنية التعرف إليها في قاع البحيرة، لكن لا يوجد أي أثر بعد لجثة الشاب. إن العادة القبيحة بتحويل مرآة المياه الاصطناعية إلى نوع من مدافن القمامة، في الهواء الطلق هذه المرة، إضافة إلى أضرار ذلك من الناحية البيئية، قد تسببت في صعوبة البحث، موهمة، أكثر من مرة، بأنهم عثروا أخيراً على جثة المنتحر ذي السبعة عشر عاماً.

أعلن والدا الصبي، في الوقت نفسه، أنهما لا يريدان الإدلاء بأي تصريحات أخرى، لكن قبل ذلك أراد الأب أن يقرأ أمامنا تصريحاً: نحن نفهم ضرورة أن تقوم الصحافة بعملها، لكن لا نستطيع أن نتحمل هذا الضغط أكثر من ذلك. ربما إذا كان لدينا جسد لبكي عليه، لكان كل شيء أكثر سهولة، لكن عدم العثور عليه يلقي بنا أكثر في براثن الحزن. اتركونا في حزننا.

يُعرف المهندس ماركو دي باولو بأنه شخص شديد التحفظ، وتبعاً لبعض التسريبات، التي جمعناها من الأقارب ومساعدِي المهندس، ربما ستتغلق الأسرة الآن في صمت صحفي تام، حتى في حالة العثور على الجثة.

غداً صباحاً مزيد من المستجدات.

لوكا: المجازفة بضرورة انتظار أن تجف البحيرة.
في الوقت نفسه اتصل أيضاً بوسيلة روحية.

الدفاع المدني: عمليات البحث في غاية الصعوبة في الوضع الحالي للبحيرة. وفي هذا الوقت من بين مستشاري الشرطة، توجد أيضاً وسيطة روحية.

إن بحيرات ريدونا وترامونتي مشهورة أيضاً كوجهة سياحية؛ لأنه خلال شهري الجفاف في يوليو وأغسطس، عادةً ما تحدث الظاهرة الغريبة لظهور قرية موفادا من جديد، التي غرقت العام 1952 في أثناء بناء السد؛ ومن ثم يجذب هذا الأمر السياح والفضوليين من كل أنحاء العالم: فمع جفاف المياه، تعود أطلال المنازل والمباني تلك التي تُدعى (المدينة الأشباح). للأسف، في أثناء فترات الخريف، كثيرة المطر، أو مثلما هو الحال في الأسابيع الأخيرة، ومع الأمطار الاستثنائية، وصلت البحيرة إلى عمق كبير جداً أدى إلى عرقلة عمل الغطاسين، الذين يبحثون عن جسد الشاب البالغ من العمر سبعة عشر عاماً، الذي اختفى من المنزل السبت الماضي. يستبعد رجال الشرطة حالياً أي مسارات أخرى؛ فهناك الخطاب؛ حيث يعلن الصبي رغبته في الانتحار (حتى الآن لم يُعرف المحتوى الدقيق للخطاب، والأبوان الآن في حالة صمت صحفي)، وهناك معطى، أكده أكثر من طرف، هو أن لوكا كان يعاني بالفعل منذ فترة من أزمات اكتئاب، أدت به منذ أشهر قليلة إلى محاولة انتحاره الأولى. في الوقت نفسه، وبينما أعلن الغطاسون على الملأ أنهم لا يمكنهم العثور على الجثة خلال فترة قريبة، يبدو أن رجال الشرطة قد لجؤوا، إضافة إلى الاستشارات الخارجية، إلى وسيطة روحية: بيرانجيلا مارتيني، واسم الشهرة (آنجي)، التي تعرف نفسها بأنها (مستحضرة أرواح)، أو شخص قادر على أن يتصل بالمتوفين. لم يبدُ أن المحققين أعطوا مصداقية كبيرة للمرأة كي تحدد لهم بالتدقيق أين يبحثون، لكنهم لم يستبعدوا أنه بفضل «موابها» الخاصة استطاعوا أن يحددوا مساحة الغطس.

«جسد لوكا ليس هنا».

تحدث الوسيطة الروحية التي اتصلت بها عائلة لوكا. طوال الأمس سارت الوسيطة آنجي على شواطئ (لاجو ريدونا) في منطقة (ترامونتي)، بحثاً عن «أحاسيس» ممكنة تتعلق بوجود جثة الشاب المختفي السبت الماضي من «بوردينوني». تبعناها من بعيد، حتى لا ن تدخل في تلك «الأحاسيس»، وفي مرتين توقفت الوسيطة، أغلقت عينها ومدت يديها نحو سطح البحيرة، لكن دون نتائج أو عراقيل، ثم، عندما انتهت من فحصها الخاص، أصدرت المرأة حكمها: ليس هنا. وعندما حاورها مراسلنا حول إمكانية أن يكون الصبي لا يزال على قيد الحياة، بينما تصعد إلى سيارة لتعود إلى المنزل، أجابت بيرانجيلا مارتيني بالنفي. قالت لنا بوضوح: لا أعرف إذا كان حياً أم ميتاً، لكنه ليس هنا بالتأكيد. في أثناء ذلك، استؤنفت عمليات البحث، التي يقوم بها رجال الحماية المدنية، لكن حتى الآن بلا أي نتائج دالة. الآن، ونظراً إلى عدم وصول أي إشارات عن وجود الصبي في أي أماكن أخرى، بدأت آمال عائلته في العثور عليه حياً تخبو أكثر فأكثر.

هذه المرة كانت شبكة الإنترنت تعمل ببطء كالمعتاد، لكنها تعمل. لأول مرة، يقوم الأب بشيء صالح بسداد الفواتير المتأخرة، وعندئذٍ كان يكفي أن تكتب على محرك البحث غوغل (لوكا دي باولو)، وكانت تُفتح أمامها صفحات وصفحات، كلها تشير إلى الأيام الأولى بعد الاختفاء، ثم تتناقص، ثم لم تعثر على أي شيء يعود إلى الأشهر التالية لذلك.

كان جاكو؛ القط الشبح، ينام فوق الفراش، بينما تجلس جويا أمام الكمبيوتر، وعيناها قد احمرتا بسبب التعرض أكثر من اللازم للشاشة، ووجود فوضى لا نهائية في ذهنها. في الخارج، تحول الليل

رويداً رويداً إلى فجر. بينما تتذكر جويًا قصة الحجارة، والمكان الذي اعتاد (لو) الذهاب إليه مع أبيه، القرية القديمة التي توجد في عمق البحيرة. كل هذا بدأ يكتسب معنى، وفي الوقت نفسه، يصبح أقل وضوحاً أيضاً.

لا تبدو هذه هي الحقيقة. كل شيء يتخذ بالنسبة إليها مكونات حلم ما. إذا التفتت فقط دقيقتين وفكرت فيما حدث، لا تستطيع جويًا أن تجزم إذا كان قد حدث بالفعل.

أجل، ربما كان كل شيء يحدث في ذهنها فقط. حدث كل شيء هناك. وبسبب غريب، فإن الصبي الذي حلمت به يشبه تماماً آخر مات منذ عام تقريباً.

يفتح جاكو؛ القط الشبح، عينيه لثانيتين، ينظر إليها، ثم ينام مرة أخرى.

قالت جويًا: وهل يمكن ألا يكون هناك شيء حديث؟ وهكذا، ووجهها تضيئه شاشة الحاسوب، أخذت تضغط بعصبية على فأرة الحاسوب، واستمرت في التنقل من موقع جريدة محلية إلى آخر، على أمل، وفي الوقت نفسه، خوف، أن تعثر على مقالة تقول إنهم عثروا على جثة لوكا في عمق البحيرة، إلا أنه بعد كثير من البحث، عندما كانت عيناها تُغلقان بسبب النعاس، وصلت إلى مقالة لجريدة «مراسل فينيتو»:

الفتى المختفي منذ ثلاثة أشهر

لا يوجد شيء في عمق البحيرة

مثل كل عام في فترات الجفاف، جفت بحيرة ريدونا، لكن في عمقها لا يوجد أثر للوكا.

استبعد رجال الدفاع المدني الآمال الباقية في العثور في عمق البحيرة على جثة الشاب لوكا دي باولو؛ الشاب البالغ سبعة عشر

عاماً من بوردينوني الذي اختفى في 21 مايو الماضي، في اللحظة التي، كما يحدث كل عام، جفت فيها البحيرة بسبب الجفاف. والآن، وقد تقلص العمق جداً، وكان يمكن السير بهدوء لمسافات طويلة (فقد بدأ مرة أخرى ظهور المشهد المثير لظهور القرية القديمة الغارقة)، وحتى الآن، لا يوجد أي أثر لرفات الشاب. استطاع المحققون والخبراء - مع الوضع في الاعتبار عثورهم في يوم الاختفاء على شيتين يخصان لوكا - تفسير هذا الموقف الخاص فقط بافتراض (قفز) الجثة بالفعل من السد، ربما جذبتها دوامة ما (وهذا يحدث كثيراً في البحيرة)؛ ومن ثم وصلت الجثة بسرعة إلى العمق، ثم حملتها التيارات من خلال تصريف السد إلى نهر ميدونا، الذي يمكن لتياراته أن تحملها بسهولة إلى كيلومترات بعيدة. ووفق الخبراء، من الناحية الإحصائية، يبدو الأمر مستبعداً، لكنه ليس مستحيلاً، وأن تكون هذه هي الآلية، وإن كان الأمر كذلك، فإن المحيط الذي في داخله لا بد من البحث، الآن، وعلى امتداد ثلاثة أشهر، سيتسع إلى عشرات الكيلومترات المربعة، ما يؤدي إلى أن فرص العثور على الجثة كاملة وإمكان التعرف إليها تصبح شيئاً صعب الحدوث، أقرب إلى الأعجوبة. وفي الوقت نفسه، إذا كان لوكا الآن على قيد الحياة، فقد أكمل أعوامه الثمانية عشر؛ وهو أمر مهم؛ لأنه نظراً إلى أنه في سن النضوج، معناه، في حالة أنه لم يمت بالفعل في البحيرة، أنه ابتعد بمحض إرادته؛ وهو الأمر الذي - وفق القانون - لا يحتم استخدام قوى النظام في البحث؛ فالقانون في الواقع يشير إلى ضرورة مرور عامين قبل الإعلان عن وفاة شخص في حالة اختفائه في ظروف تعرض حياته للخطر، ودون العثور على جثته، لكن نظراً إلى الظروف، لا يتوقع كثيرون العثور على الصبي حياً.

ثم، لا شيء.

ذهبت جويًا لتقف أمام النافذة. لا توجد أي نجوم في السماء.
إذا كانت موجودة، ربما سألتها ماذا يمكنها أن تفعل.
لقد رأت لوكا، لقد تحدثت إليه؛ فهي تعلم أنه حي.
أو على الأقل: تعتقد. الآن، وقد تفتحت السماء نظراً إلى حلول
اليوم الجديد، بدأت جويًا تسأل نفسها إذا كان هناك احتمال أن
تكون قد تخيلت كل شيء. وهكذا أخذت آلة التصوير، فتحتها،
وأرادت أن تذهب لترى من جديد صورة (لو)، أن تتذكر وجهه،
وأن تتأكد من أنها رآته ولمسته وقبّلته، إلا أن يديها كانتا ترتعشان
وذهنها مشوشاً، وهكذا، تزلزلت آلة التصوير من بين أصابعها
وسقطت، وانقسمت إلى نصفين. جمعتها جويًا، وحاولت أن تضع
القطع مكانها مرة أخرى وفتحتها مرة أخرى، وحاولت على الأقل
عشر مرات، لكن بلا فائدة. في لحظة واحدة؛ وبسبب الخوف
والتوتر، فقدت الدليل الوحيد على أنها عرفت (لو).
الآن، لم تعد أفكارها واضحة. الآن، تتساءل ماذا تفعل. حتى وإن
كان في داخلها، كانت هناك إجابة لديها بالفعل.
قالت لها تونيا: لكن ما فائدة ذلك؟ ذلك الشخص ميت،
وأنتِ فقدتِ عقلك تماماً!
- لا شيء، لن يفيد في شيء. أريد أن أفعل ذلك فحسب.
أجابت جويًا وهي تحديق في السماء القائمة.
- وماذا ستفعلين، ستهربين من المدرسة؟
- أجل.
- كما تشائين! علقت تونيا، وهي تستدير إلى الناحية الأخرى.

2

وصلت إلى المدرسة مبكرة في هذا الصباح.

جلست على رصيف موقف السيارات تنتظر بصبر، وهي نصف مختبئة ببعض السيارات الواقفة، حضور الأستاذ بوفه. وبينما كانت تنتظره، مكثت بضع دقائق مذهولة تستمع إلى تصاعد ضوضاء السيارات والدراجات الآلية، والأصوات الإلكترونية للإشارات، والشاحنات التي تعود إلى الخلف، بينما تزداد بالتدريج، وفكرت كم نحن محظوظون لأننا على قيد الحياة، بل وهي بالفعل ضربة حظ: فهناك من يولد حجرًا، والحجارة لا تشعر بشيء؛ ومن ثم ولا حتى هذه الضوضاء، التي هي بالفعل ليست ضوضاء مستحبة، لكنها في نهاية الأمر شيء ما. والمؤكد أنه من الأفضل بكثير سماع شيء ما من عدم السماع على الإطلاق.

ثم وصل البروفيسور بسيارته الرينو 4 القديمة جدًا؛ كتلة من الحديد الأحمر الباهت، التي يتساءل جميع تلاميذ المدرسة عن أي نوع من السحر الأسود للتقنية يستخدمه ليستطيع أن يدير عجلاتها حتى الآن. ترجل منها، ولاحظ جويًا على الفور جالسة على الرصيف أمام مكان سيارته.

- آنسة سبادا!

- صباح الخير يا بروفيسور. أجابته بصوت منخفض في محاولة ألا يلحظها أحد.

أدخل الأستاذ الملفتاح في الباب، وصارع بعض الوقت، ثم أغلقه بالمفتاح.

- ماذا حدث؟ هل كانت لديك عجلة شديدة في طرح سؤالك اليوم؟

أجابت جويًا، وهي تقف وتنتظر حولها تتأكد أن لا أحد يراها: نوعًا ما، أجل.

- تفضلي، تحت أمرك، حتى إن لم أكن قد شربت قهوتي بعد.

- لكنني أيضاً ينتابني الفضول لأعرف كيف يمكنك... أقصد كيف يمكن لحضرتك، بسيارة كهذه... لا أقصد أنها لا تعجبني، بل تعجبني سيارتك! فقط أتساءل بعض الشيء، كيف يمكنك أن تفعل هذا، مع وجود كل الناس، الذين يسخرون منها؟

- يا آنسة، السيارة مجرد وسيلة.

- وبالتالي؟

- وبالتالي، أنا فيلسوف، أعرف كيف تسير الأمور، وأميل إلى أن أهتم بالغايات وليس بالوسائل.

أجابه الأستاذ وهو يضرب بعصاه على الأرض.

- هل هذا كل شيء؟ هل انتظرت في الصباح الباكر الربيعي فقط لتسأليني عن سيارتي؟

- لا، السؤال الحقيقي، سؤال آخر.

قالت جوياء وهي تعض شفيتها.

- أسمعك. هل هو سؤال عن القدر، عن الرب، عن الأخلاق؟

عن ماذا؟

- لا، شيء أبسط من هذا بكثير هذه المرة. أنا اليوم لن آتي إلى

المدرسة، هل يمكنك أن تخفي غيابي؟

إحدى أكبر المشكلات، التي تشغل ذهن صبية اليوم، تُسمى (السجل الإلكتروني)؛ وهو وسيلة جهنمية تقلل بشكل كبير إمكانية ألا يذهب أحد التلاميذ إلى المدرسة؛ فهو يرسل رسائل إلى الوالدين بشأن الغياب، ويشير إلى أي تصرفات غير عادية، خصوصاً - في حالة جوياء - وهي الأسوأ في تزوير التوقعات في العام، يستدعيهم إلى مدير المدرسة في اليوم الثالث من الغياب غير المسموح به. فكرت جوياء في الرسالة، التي يمكن أن تُرسل إلى أبيها، لكن الآن تحتاج إلى شخص، في الساعة الأخيرة، مسح بضغطة على زر الحاسوب

غيابها الذي سجله أستاذ الساعة الأولى. من الطبيعي أن شيئاً من هذا القليل - على الرغم من سهولته الشديدة - يمكن أن يفعله فقط أحد الأساتذة، ومن الطبيعي أن الوحيد الذي يمكن لجويا أن تطلب منه شيئاً كهذا هو أستاذ بوفه. الوحيد، الذي كأقصى رد فعل، سيقول لها «لا» على الفور، ولن يستدعي لعقد اجتماع طارئ ليتناقش في توقيفها أو التسبب في رسوبها أو القبض عليها. سألها الأستاذ وهو يخفض صوته: أعتقد أنني لم أفهم جيداً ما قلته لي. هل تطلبين مني أن أزور في الوثائق الرسمية عبر طرق الاتصال؟

قالت جويا، وهي تومئ بالموافقة وتضم شفيتها: ممم، أعتقد هذا.

- ممتاز، إذن، فقد فهمتك جيداً. إذن، في هذه الحالة سأكون أنا الوسيلة، لكن... هل يمكنني أن أعرف، هذه الوسيلة، لأي غاية ستعمل؟ لأنه إذا كان الأمر هو الحاجة الملحة إلى الابتعاد عن واجب دراسي أو امتحان... قال لها الأستاذ بقسوة.

- آه، لا، الأمر في غاية البساطة، الغاية هي أنني أريد أن أركب حافلتين، وأذهب حتى بحيرات ترامونتي لأفهم إذا كنت مجنونة أم لا.

3

كانت قد قرأت المقالات مرات عديدة، ورأت هكذا عدداً من الصور، حتى إنه أصبح في إمكانها الوصول إلى المكان الذي ألقى (لو) منه بنفسه. في النهاية، كان يكفي أن تسير جزءاً من الطريق على قدميها، وأن تتخذ المسار الأول على اليسار، ثم تسير عشرين دقيقة بشكل مستقيم.

وهكذا، وجدت جويًا نفسها هناك. وجدت الموقع الصغير المغطى بالحجارة، الذي منه، نظريًا، قفز (لو) إلى البحيرة. لا تزال تغطيه الزهور والدببة المصنوعة من الفرو، وأظرف خطابات، وصور (لو)، وأدوات ربما تركها الأصدقاء والمعارف. بعض الأظرف كانت توجد عليه عبارات، مثل: «ستظل دائماً معنا»، و«كان قلبك أكبر بكثير من عالم ضيق بهذا الشكل».

كان الموقف، في حقيقة الأمر، كئيباً جداً.

عملياً، يعتقد الجميع أن (لو) مات بالفعل، ولا يوجد في العالم سوى شخص واحد مقتنع بالعكس؛ وهي هذا الشخص. سألتها تونيا، الواقفة على بُعد بضعة أمتار منها: هل يمكن أن أعرف لماذا أتينا إلى هنا؟

- بحثاً عن أجوبة، لكن يبدو لي أننا نعثر على تلك الخاطئة.

أجابت، وهي تنظر حولها، لتقول بعد ذلك للبحيرة: هل أنت بالفعل تحت هناك؟

أصبحت تونيا بجوارها وذراعاها معقودتان، واستمرت في هز رأسها، ثم قالت: والآن، ماذا سنفعل؟

- حسناً، أنتِ أيضاً تعرفين هذا. أجابتها جويًا وهي ترفع عينيها عن البحيرة: لا يوجد غير شيء واحد يمكننا عمله.

4

كانت تتوقع مكاناً مختلفاً تماماً.

أو الأفضل كانت تتوقع أن يكون «مكاناً» توجد فيه صالة انتظار، ثم في داخله سلسلة من الأدوات الغريبة الواردة من بلاد أفريقية؛ شمع، وإضاءة، وسجاجيد، وبخور، لكن وجدته مجرد منزل، أو الأفضل أن نقول شقة، عادية جداً، في حي توري، ليس بعيداً جداً عن المدرسة.

قالت لها بيرانجيلا، واسم الشهرة آنجي: تفضلي، تفضلي.
كانت سيدة قصيرة وبدينة، تبدو كواحدة من السيدات اللاتي يقابلهن المرء دائماً في الكنيسة أو في السوق. كان لديها شيء كبداية شارب، وعندما رآته جوييا كادت أن تلمسه.
- لنجلس في الصالون. قالت لها، وهي تشير إلى الأريكة الجلدية المغطاة بالسيلوفان، وأضافت: من أجل حمايتها من الأتربة، أكره التراب.

ذلك الذي شعرت به جوييا كان شيئاً أكثر قليلاً من مجرد خجل بسيط، شعرت بأنها حمقاء بالفعل، وفجأة لم تكن لديها أي رغبة في أن تطرح على السيدة بيرانجيلا، واسم الشهرة آنجي، السؤال الذي جاءت لتطرحه عليها.
- إذن، لنسمع: ماذا أردت أن تسأليني؟
- لكن كيف هذا؟ ألسنت الوسيطة الروحية؟ ألا يجب أن تعرفيه بالفعل؟

تمتمت تونيا على عتبة الغرفة. ومجرد أن تكلمت، تحرك رأس السيدة بيرانجيلا، وقطبت حاجبيها كأنها سمعت شيئاً ما.
سألها جوييا: هل كل شيء على ما يرام؟
قالت لها الوسيطة، وهي لا تزال تحتفظ بنظرتها اليقظة: أجل، أجل، كل شيء بخير، قولي لي كل شيء.
حاولت جوييا أن تبدأ: حسناً في الحقيقة...
إلا أنها لم تعثر على الطريقة التي تقول بها ما تريد.
سألها بيرانجيلا وهي تنظر إلي عينيها مباشرة، بطريقة مباشرة ومخترة، حتى إن جوييا اضطرت إلى أن تحول نظرتها على الفور: لقد مات لك أحد، أليس كذلك؟
- لا، في الحقيقة لا. حاولت جوييا أن تقول، لكن نظرة بيرانجيلا،

الشهيرة بأنجي، كانت لا تزال هناك. وهكذا أضافت: أي إنني لا أعرف.

ابتسمت بيرانجيلا بصعوبة، ونزعت شعرة على كنزتها، ثم نظرت إليها من جديد وقالت: لنفعل هكذا: قولي لي فحسب، حسناً؟

- حسناً.

حاولت جويًا، لكن لا شيء مرة أخرى.

- إذن!

استحثتها تونيا: هيا! قولي لها!

ومرة أخرى أخذت بيرانجيلا تنظر حولها في ريبة. تونيا موجودة في ذهن جويًا، لكن كأنها تقف هناك وراء عتبة غرفة المعيشة، كأنهما أخذتا تنظران إلى بعضهما وتقولان: ما هذا! لقد أدركت وجودك! وهكذا في النهاية تشجعت جويًا وقالت لها: لوكا، لوكا دي باولو.

- آه! علقت بيرانجيلا. بعض دقائق من الصمت، وأضافت: ماذا

تريدين أن تعرفي عنه؟

- في الحقيقة لا أعرف أنا أيضاً. لنقل إنني أريد أن أعرف إذا

كان حيًّا أم لا.

- لكن هل أنت قريبة له؟

- لا، أنا... لا.

- فهمت.

- فهمت ماذا؟

- أنت فتاته.

- أجل... لنقل هذا، لكن لماذا تقولينها في الحاضر؟ لماذا لا

تقولين «كنت فتاته»؟ الجميع يبدو مقتنعين بأنه قد مات!

قالت وهي تبسم: حسناً، ببساطة؛ لأنه بالنسبة إليّ، هذا الفتى لم يمت!

شعرت جويًا بقلبها يصعد فجأة إلى المريء: ماذا تقولين، معذرة؟

- لم يكن في البحيرة، ولم يكن في النهر. أنا أفهم أنه بعد عشرة شهور يمكن أن يكون قد حدث كل شيء، ولكن رأيي أنه لا يزال حياً وبصحة جيدة، يا عزيزتي!
- كيف يمكنك التأكد من ذلك؟

- لا أعرف، لا تسأليني. أعرف فقط أن الأمر كذلك بالنسبة إليّ.
قالت بيرانجيلا، وهي تنهض من فوق الأريكة ببعض الصعوبة. تذهب إلى المطبخ، وتتناول فنجانين من الشاي، وتقدم واحداً إلى جويًا.

سألها: لكن أنتِ لديكِ شيء آخر تقولينه لي، أليس كذلك؟
نظرت جويًا إلى تونيا مرة أخرى. من يدري، ربما ليست لها ملامح الوسيطة الحقيقية، لكن يبدو أنها تعرف كيف تقرأ الأفكار، خصوصاً كيف ترى، أو على الأقل تشعر، بوجود تونيا.
- أجل، أعتقد ذلك.
- إذن، تفضلي، أنا أسمعك.

تناولت جويًا بعض الشاي، وأخذت نفساً عميقاً، ثم انطلقت وأخرجت كل ما في جعبتها، كل شيء بالكامل: حكّت لها عن المشرب، والأسهم، وإصابتها في ركبته، عن الحجارة واللحظات المظلمة التي كان (لو) يصبح فيها شخصاً آخر، وعن القبلية الأولى، والسطح، والصورة التي محتها خطأً، كل شيء. واستمعت إليها بيرانجيلا، واسم الشهرة آنجي، ومن حين إلى آخر ترشف قليلاً من الشاي، وتتنظر إليها، بصبر، وجويًا تحاول ألا تهمل أي شيء، أو أي تفصيلة مهمة.

عندما انتهت جويًا من الكلام، مر بعض الوقت، ولم يقل أحد أي شيء، حتى تونيا. كانت أصوات السيارات في الشارع تُسمع فقط، وبعض أصوات هبوب الرياح خارج النافذة. لم يكن صمتاً من النوع الثقيل، فقط صمتاً؛ بل كان تقريباً شعوراً محبباً. ثم في النهاية، وعندما لم يكن يبدو حتى إنه يجب على أحد أن يتحدث. قالت بيرانجيلا، الشهيرة بأنجي، فقط: كنزة. - أجل.

- وهل هي لديك في المنزل؟

- أجل، فوق المقعد الآن.

بدأت بيرانجيلا، الشهيرة بأنجي، تسعل. أخذت تسعل بقوة، بقوة شديدة بالفعل. كان سعالاً مخاطياً، وخشناً، وكادت جويًا، بالغريزة، تنهض وتربت على ظهرها، وكانت على وشك أن تفعل ذلك، عندما توقفت بيرانجيلا، الشهيرة بأنجي، وحدها، بسعلة أخيرة جافة، بعدها رفعت رأسها، وكانت عيناها تلمعان من المجهود، ثم قالت فجأة: كنت أعلم أنه حي!

5

- كيف كانت المدرسة يا جروتي؟

خلعت جويًا حذاءيها خلف باب الدخول، وأدركت فقط في هذه اللحظة أنها لم تفكر ماذا ستقول لأبويها بشأن الغياب الصباحي، نظراً إلى أنها قضته في أماكن عديدة، كلها أماكن لم يكن يجب الذهاب إليها.

لحسن الحظ! فإن رقم الهاتف، الذي ترسل عليه المدرسة الرسائل، هو رقم ذلك الهاتف الذي فقدته أمها بعد وصولهما إلى هنا بأيام، في شهر نوفمبر، ثم غيّرت الرقم، وبالتأكيد، لم تهتم

بالذهاب إلى المدرسة لترك الرقم الجديد. على كل حال، في الساعات التالية سيكون الأستاذ بوفه قد مسح غيابها، إذن، لن يكون عليها اختراع أي مبررات!

أجابت: كالعادة! قبل أن تجري لتغسل يديها وتقبّل جدتها في حجرتها الصغيرة. ومن المطبخ، سمعت ضوضاء الماء الذي يسقط على مصفاة المعكرونة، ثم صوت أمها وهي تقول لها: سألوا عنك!

وبينما تغسل يديها، حاولت ذهنياً أن تتخيل من يمكن أن يكون: المدرسة لا؛ لأن نبرة الأم ستكون تهديدية أكثر من هذا بكثير. (لو)، بالتأكيد لا. ربما جوفانا. أجل، ربما هي. ربما لديها أخبار أخرى.

- من؟ سألت جويّا وهي تخرج من حجرة الجدة جيّمّا، التي كانت تبدو لها قلقلة بعض الشيء اليوم، كأن لديها أفكاراً سيئة، كان حاجباها ضيقين، ووجنتاهما متجهتين إلى الأسفل على ارتفاع شفيتها.

قالت لها أمها، وهي تضع على المائدة طبق معكرونة شهياً بالزبدة، بينما جويّا تدخل إلى المطبخ: المهندس دي باولو، طلب أن تهاتفه.

توقفت جويّا على الباب كأنها تحجرت. لم يعطها أبو (لو) انطباعاً جيداً على الإطلاق، من اللحظة الأولى التي رآته فيها، عندما لم تكن تعرف حتى من هو. لم يبدُ لها، بالفطرة، إنساناً جيداً، ولأنها أيضاً ربطت على الفور بينه وبين المرات العديدة، التي تصرف فيها (لو) بطريقة سيئة فقط عند الإشارة إليه.

سمعت صوت تونيا يقول خلفها: أنت غبية بالفعل! لقد اتصلت بهما في منزلهما، ولا بد أن لديهما تلك الهواتف التي

تسجل الأرقام المتصلة!

بالفعل، صديقتها المتخيلة على حق. في نهاية الأمر، ارتكبت الحماقة.

- ماذا بكِ يا صغيرة؟ هل كل شيء على ما يرام؟

- أُم... ماذا كان يريد؟

- لا أعرف، لم أفهم جيداً، لكن يبدو لي أنه قال إن لديك كنزة

ابنه؟ هل الأمر كذلك؟

كانت نظرة الأم غريبة بعض الشيء. كان مطبوعاً على وجهها

نصف ابتسامة خبيثة، وفي الوقت نفسه، بدت راضية وفضولية.

في الواقع، عندما تفكر جيداً أن أمها تطهو من أجلها، حتى

إن كانت مجرد إسباغيتي بالزبدة، صعبة التحضير جداً، يمكن أن

تصفه أمراً فائقاً للطبيعة وليس من الأمور المعتادة.

- أجل، معي بالفعل، لكن... لماذا تنظرين إليّ هكذا؟

- هل تخفين عني شيئاً يا جروتي؟ سألتها أمها وهي تغمز لها.

رائع. وفق ما يبدو، فقد قامت أمها بعدد من الرحلات في

ذهنها، ونظراً إلى أنها رسمياً كانت هذه هي المرة الأولى التي

تسمع فيها اسم فتى مرتبط بابتنتها، فكرت أن جويًا، أخيراً، قد

تحركت خطواتها الأولى في العالم السحري لحب المراهقة، وفي الواقع؛

وهو أمر غريب، لم تكن مخطئة تماماً.

- لا يا ماما. إنه مجرد صديق أعارني كنزته.

قالت، وهي تتناول أول ملعقة من الإسباغيتي، التي كانت

تقريباً أسوأ إسباغيتي أعدتها يد بشرية.

تتمنى فقط ألا تكون قد أعطت لوالد (لو) تفاصيل حول من

هي، واسم المدرسة التي تذهب إليها أو عنوانها، لكن لا، حتى

هي لن ترتكب حماقة كهذه.

قالت وهي تبتسم، وتنهض عن المائدة لتذهب وتتناول جعة من المُبرد: مؤكد، مؤكد.

الطريقة الوحيدة للخروج من هذا الموقف المحرج هي أن تحاول أن تغير الموضوع: اسمعي، لكن الجدة... تنظر نظرة غريبة اليوم، هل هي بخير؟

- آه، هيا، لا تحاولي أن تغيري الموضوع يا جروتي. قالت لها أمها وهي تفتح زجاجة الجعة، اعلمي أنني قد أعطيت هذا الشخص عنواننا، هكذا يمكن لهذا الفتى أن يمر ويستعيد كنزته. قالت لها بصوت خبيث، قبل أن تذهب إلى الصالون لتشاهد التلفزيون.

جلست جويًا بمفردها، في المطبخ، دون أن تستطيع أن تنهي الإسباغيتي، وليس فقط لأن مذاقها يُذكرها كثيراً بدواب تُركت في الشمس، لكن أيضاً لأنه بمجرد أن خرجت أمها من المطبخ، انطلق آلياً سؤال نزع عنها كل شهية: والآن، عندما يأتي والد (لو) إلى هنا، ماذا ستقص عليه؟

تحتاج إلى أن تتحدث مع أحد من لحم ودم. ستشعر تونيا بالغيرة، ربما، لكنها تحتاج إلى أن تسمع صوت أحد ليس في داخلها.

6

- هل تعلمين أنني كنت على وشك الاتصال بك؟
جلست جويًا وجوفانا أسفل تراس الحانة، تقريباً إلى المائدة نفسها التي جلست إليها المرة الأولى مع (لو). هذه المرة كان المكان خالياً تماماً، لم يكن هناك ولا حتى عجوز الكابوتشينو. سألتها جويًا: لتقولي لي؟

- لأقول لكِ إنني تذكرت أن ذلك الفتى كان على صفحات الجرائد، منذ ستة أو سبعة أشهر... لمدة أيام لم يتحدثوا عن شيء

آخر، ثم لا شيء، كأن الصمت ساد فجأة.

- إذن... رأيك أنت...

- إذا كنتِ تقولين إنكِ رأيته، أنا أصدقك. بالتأكيد، لا تبدين

كأعقل فتاة في الوجود، لكن أنا أصدقك!

تنهدت جويًا بارتياح. معرفة أن هناك شخصاً آخر في العالم لا

يُعدها مجنونة شيء مطمئن بالتأكيد.

- لكن إذن... ماذا يجب أن أفعل في رأيك؟

- صغيرتي، لستِ في موقف جيد، في هذه اللحظة؛ لأنكِ إذا لم

تصرحي بكل شيء للأب وصحبته الجميلة، ربما ستخاطرين بأن

يختفي فتاك بالفعل، ولن يعثر عليه أولئك أبداً. ومن جهة

أخرى، ربما أراد هو أن يختفي فقط، وإذا ذهبِ وقلتِ لهم،

ربما عثروا عليه، أجل، لكن من المؤكد أنه سيشعر بالخيانة من

جهتك، وعندئذٍ لا بد أيضاً أن تنسيه!

كان سيصعب عليها أن تعبر بالكلمات، بطريقة أكثر وضوحاً،

عن الوضع المقلز الذي وُضعت فيه.

- رائع إذن.

- أجل يا جويًا، أعلم أنكِ وُضعتِ في ورطة أكبر منك. قالت

لها جوفانا، التي كانت في ذلك الوقت تطل برأسها نحو الطريق؛

حيث لمحت عجوز الكابوتشينو ذي الرغبة الكثيرة تتقدم نحو

المكان بخطوات بطيئة جداً.

- أوكي، بماذا تنصحيني؟

- في هذا الموقف، أي شيء ستفعلينه ستخطئين للأسف. لا يوجد

سوى شيء واحد يمكن ألا يضرعكِ في مأزق. قالت لها وهي متجهة

نحو منضدة البيع.

- ما هو؟

- ببساطة: أن تعثري أنتِ أولاً على صديقك العزيز!

7

توجد كلمة يابانية؛ Kensho، تقريباً تشير إلى وميض الضوء؛ تلك اللحظة الوجيزة جداً التي فيها يبدو كأنك استيقظت. عملياً هي المزيج بين استنارة وبقطة، لحظة، ثانية، جميعها مختلطة معاً. ثم هناك كلمة اسكتلندية؛ Curglaiff، تحتوي بمفردها على كل الانفعالات التي يشعر بها المرء عندما يدخل في مياه مجمدة؛ الصدمة والخوف، لكن في الوقت نفسه ذلك الشعور بالشجاعة؛ تلك الطاقة التي تنتشر بسرعة من عضلات القدمين لترتفع إلى كل الجسم.

وفي النهاية، توجد كلمة فرنسية؛ Retrouvailles، التي تعني ذلك الانفعال الشديد جداً، الذي يشعر به المرء عندما يعثر على شخص بعد فترة طويلة جداً.

تلك الكلمات الثلاث هي ما شعرت به جويًا لثوانٍ بعد أن صافحت جوفانا.

كان انفعالاً عفويًا، فعليًا كانت مدته لحظة فحسب، كأنه برق ضعف بعد ثانية وأصبح ضعيفاً، لكنه تسبب في الهزة نفسها في أعصابها وعلى جلدها، في عظامها، كغطسة في المياه المجمدة؛ وذلك الشعور كان بأنها عثرت على (لو) بعد وقت طويل.

لا، لم تعثر عليه فعليًا؛ فهو ليس هناك في انتظارها خارج البار بمطبان الحصى. لم يكن هناك أمامها، إلا أنه موجود، موجود بالفعل.

ذلك الانفعال بالعثور عليه، شعرت به جويًا قويًا ومحددًا؛ لأنها شعرت بأنه لم يهرب منها. لم تكن مجرد كذبات ذلك الذي

كتبه لها على البطاقة المتروكة على السطح. لم يكن يبحث عن الأعذار المعتادة؛ فهو ليس مثل الآخرين. وعلى الرغم من صعوبة تصديق ذلك في البداية، إلا أن المآزق (المصائب - الأزمات)، التي كان يتحدث عنها مصائب حقيقية، إذا كانت أجبرته على الهروب من المنزل، وأن يفعل كل ذلك الذي فعله؛ فهي بالتأكيد أكبر مما يمكن تخيله. وربما ينقص جوياء الكثير، إلا القدرة على التخیل.

8

لم تكن الأيام والأسابيع التالية جميلة، مثل تلك اللحظة التي شعرت بها بمجرد أن خرجت من بار جوفانا: جوياء سبادا وفي داخلها سر أكبر بكثير من فتاة في السابعة عشرة، ولا توجد أي إشارة أو أثر لـ (لو)، فقط الفكرة التي تتضح أنه ربما هرب، ذهب بعيداً، وربما تبخر، وأنه فعل ذلك بمحض إرادته، وبناءً على خطة صممها بتفاصيلها الدقيقة.

لكن لماذا، إذن، عاد إلى المدينة التي استطاع أن يهرب منها بهذه الصعوبة؟

لم تعرف جوياء إجابة عن هذا السؤال. أسابيع صعبة؛ لأن الهاتف أيضاً رن أكثر من ثلاث مرات، ومن الجهة الأخرى كان والد (لو)؛ ذلك الشخص ذو النظرة التي لم تعجب جوياء على الإطلاق، وفي كل مرة كانت جوياء ترجو والدتها أن تقول إنها خارج المنزل.

أسابيع صعبة أيضاً مع الاستشارية النفسية، التي خمنت وجود شيء ما غريب، وكانت تقترب كثيراً من أن تدفع جوياء إلى أن تُخرج كل ما في جعبتها،

ثم حدث ما حدث في صباح يوم في أبريل.

كانت جويًا تجلس في حجرة جدتها، مستعدة للذهاب إلى المدرسة، أمام تجهيزات جيّما وصوت تنفسها البطيء والمنهك. تمسك جويًا بيد جدتها وتساءلها: هل سيكون اليوم يا جيّما؟ وجدّتها، وهي تنظر إليها بجفניה المتسعين، كأنهما فُتُحا فجأة بضوء صاعق، ودون أن تقول أي شيء، أومأت برأسها: أجل!

9

- إذن، أنتِ تقولين لي إنكِ تصدقين أن جدتك لديها شيء كالحاسة السادسة؟

- أجل يا تونيا، لدى جيّما حاسة سادسة، وسابعة وثامنة أيضاً!
- أنا لا أريد أن أفسد عليك تلك اللحظة الشعرية، لكنكِ تدركين أن جدتك لم تعد تفهم شيئاً منذ سنوات، أليس كذلك؟
- جيّما تفهم كل شيء! تفهم أشياء أكثر مني!
- هذا أمر سهل.

- لقد أومأت بالإيجاب برأسها، لقد رأيت هذا بنفسك. لم تفعل أي إيماءة مفهومة منذ زمن.

- رأيتهَا، رأيتهَا، لكن كيف تعتقدين أن اليوم سيحدث شيء ما؟
- لا أعتقد يا تونيا، بل أعرف.

- ماذا إذن؟ هل ستمكثين هنا لتنتظري ما سيحدث أم ستفعلين شيئاً ما؟

- لا أعلم. أعتقد أنني سأفعل شيئاً، لا أعرف ماذا، لكنني أعرف أنني سأفهم عندما تحين اللحظة المناسبة. وسأرتجل.
- خطة جميلة، أهنيئكِ.

- بل، أتعرفين ماذا سأقول لك؟ أعرف بالفعل ماذا سأفعل، أعرفه جيداً جداً.

- لا تقولي لي إنكِ تريدين...
- أجل.
- لكن هل أنتِ متأكدة؟
- أجل يا تونيا، متأكدة جداً.
- احترسي فقط.
- من ماذا؟
- ألم تكن هناك تلك الكلمة الألمانية، التي عثرتِ عليها؛ تلك التي تعني «محاولة إصلاح كل شيء، وبدلاً من ذلك التسبب في كارثة»؟
- لم يكن المعنى هذا بالتحديد، أجل، verschlimmbessern!
- تعني: «إساءة الوضع في أثناء محاولة تحسينه». كلمة جميلة!
- إذن، احترسي ألا تفعلي «فيرشليمبست»، أو تلك الكلمة.

10

- اهديني يا جويا، خذي وقتك.
- كانت الدكتورة روفريدو جالسة في مكانها تنظر إلى جويا، بينما كانت تلعب بتحريك قلم.
- كانت جويا في الداخل منذ ربع ساعة، وعملياً، لم تتلفظ بكلمة واحدة، حتى إن كان من الواضح على وجهها أن لديها مليون شيء تريد أن تقول؛ والسبب بسيط: فهي تريد أن تخبرها، بل، وقررت بالفعل أنها ستخبرها، لكن في الوقت نفسه تشعر بأنها إذا أشارت فقط بشيء من سيوقفها، وأنها إذا تركت نفسها لتبوح أمام اختصاصية نفسية تعمل لدى الشؤون الاجتماعية بأنها عرفت فتى، ورأته مرات عديدة خلال شهرين، بل ومارسا الحب أيضاً، ثم اكتشفت أن ذلك الفتى قريباً ميت منذ عام، يمكن أن يعزلوها بشكل جدي.

وسألت نفسها: لكن لماذا تجدين كل هذه الصعوبة في أن تفعلي شيئاً دون أن تظهر تلك الفكرة الملعونة، التي تتسبب في ثوانٍ بسيطة في تراكم جبال من الشكوك؟
- جوياء؟

إلا أنه كان هناك دافع محدد، سبب من أجله قررت أن تقوله لها هي بالتحديد؛ وهو ليس فقط أن جدتها هذا الصباح بعد الإفطار أشارت إليها بعد شهور عديدة من «جههه!»، وليس فقط لأنها تشعر بأن اليوم سيحدث شيء ما، لكن واقع أن الدكتورة التي تجلس أمامها تتابع أيضاً حالة والدتها (لو)؛ ومن ثم تعرف تماماً من هو (لو)، وماذا حدث له؛ ولذلك من جهة يمكنها أن تمنحها أفضل النصائح، ومن الناحية الأخرى ستمنعها السرية المهنية من أن...

- اسمعي، واضح أنك تريدين أن تخبريني بشيء ما. أجل، ربما يمكنها أن تفعل هذا. ربما سيفيدها هذا. ربما الدكتورة ستعطيها نصيحة أفضل من تلك التي نصحتها بها جوفانا: «اعثري على لو». كأن الأمر بسيط... كأنه أمر ممكن.
- جوياء؟

تهددت جوياء، ثم فكرت في جيماً وفي إشارتها الإيجابية برأسها، ثم قالت: حسناً!
- أوه، هيا تشجعي!

11

يا له من شعور جميل! عندما يتخلص أحدهم من ثقل ما. تحتاج إلى كلمة، إلى صفة؛ لتعبر عن ذلك الشعور بالخفة الذي يشعر به المرء عندما يُخرج ثقلاً عملاقاً. فكرت جوياء وهي تخرج

من مركز الشؤون الاجتماعية وتعبر الطريق، والأمطار التي تحس، بصعوبة، تبلل وجنتيها. بالتأكيد؛ تلك الكلمة موجودة في لغة أفريقية أو شرقية، أو ربما الألمانية؛ اللغة التي بها تقريباً كلمة لكل شيء. ستبحث عنها، وإذا لم تجدها ستخترعها.

لقد فعلت خيراً حقاً بأن حكيت الحكاية كلها.

كانت الاختصاصية متفهمة جداً، لم تقاطعها ولا مرة واحدة، ولم تنهض من مكانها لتهاتف الشرطة. في نهاية الأمر، كانت جوياء على حق هذه المرة وليست تونيا، ولأول مرة ستكون هي من ستقول لها: قلت لك. فقط للحظة في البداية بدا لها أن الدكتورة تنظر إليها بشكل غريب، كأنها طبعت على وجهها بعض الشكوك، ثم مع تطور القصة اختفى ذلك التعبير تماماً.

إضافة إلى أن مَنْ ذلك الذي لن تتنبأه الشكوك أمام قصة من هذا النوع؟

بل وقد عرضت عليها الاختصاصية أن تساعد في العثور على (لو)، ونصحتها بأن تكتب له رسالة جميلة، طويلة هذه المرة، وبأن تترك له نسخة في كل مكان ذهباً إليه معاً.

الآن، ستعود إلى المنزل وستشكر جيماً؛ لأن حركة الإيجاب برأسها كانت هي التي جعلتها تفكر في أن تقول للاختصاصية، التي بدورها أعطتها فكرة الخطاب، وبفضل الخطاب ستعثر جوياء على (لو). لم تكن فقط تشعر بذلك. كانت متأكدة من ذلك.

وهكذا، دخلت إلى المنزل بسرعة، متجهة مباشرة إلى حجرة جدتها، لكن على بُعد مترين سمعت الهاتف يرن، وتوقفت بلا حركة تحديق فيه. منذ بضعة أيام، تعلمت ألا تجيب قط، وأن تترك أمها لتفعل هذا، لا أحد يعرف إذا كان المتصل والد (لو). نزلت الأم السلام وعيناها ناعستان، ونظرت إليها بضيق، ورفعت السماعه.

- إنه لك، المدرسة.
- وفي الخطوات الثلاث، التي تفصلها عن الهاتف، فحصت جويًا كل الاحتمالات الممكنة التي يمكن بسببها أن تتلقى اتصالاً من المدرسة، بدايةً من اكتشاف هروبها إلى إعلان إيقافها. كل شيء خطر في بالها.
- آ... آلو؟
- آنسة سبادا؟
- مَنْ يتحدث؟
- أنا سكرتيرة المدرسة. أتصل بك لأن صورتك وصلت إلى النهائي في مسابقة (ضع نفسك في الإطار)!
- آه.
- يا له من رد فعل متحمس يا آنسة!
- لا، معذرة. الأمر أنه...
- لا تقلقي. كنا نتصل فقط لنعلمك أن الأسبوع القادم، يوم الثلاثاء في الحصة الثالثة، سنعلن الفائزين في مختلف التصنيفات، ولتعلمي أن سيادتك يمكن أن تكوني أحد هؤلاء.
- أشكرك، ألف شكر.
- ليلتك سعيدة... وحظاً سعيداً يا آنسة!
- هذه المرة قرصت جويًا نفسها وحدها. لا تتذكر أياماً كثيرة حدثت فيها أشياء كثيرة هكذا، ومتنوعة بهذه الطريقة. لوهلة، بعد أن وضعت سماعة الهاتف، تساءلت إذا لم يكن الأمر كله مجرد حلم، هذه المرة، ثم رن الهاتف من جديد. أمسكت جويًا بالسماعة، وهي مقتنعة أن في الجهة الأخرى سكرتيرة المدرسة التي نسيت أن تقول لها شيئاً.
- هأنذا. قالت.

لكن على الطرف الآخر من السلك لم يكن صوت السكرتيرة. كانت الاختصاصية النفسية التي قالت لها بصوت متفائل: آه، أهلاً جويًا! هل يمكن أن أتحدث مع أحد والديك من فضلك؟

12

- إذن، يؤسفني استدعاؤكما بهذه العجلة، لكن من اللقاءات الأخيرة ظهر تطور، أعتقد أنه من المهم أن أطلعكما عليه.
- لا تقلقي يا دكتورة، تفضلي قولي لنا.
- مجنونة، أليس كذلك؟ لطالما عرفت هذا!
- اهدأ يا جورجو! دعها تتحدث!
- بالنسبة إلى هذا، قبل كل شيء، أريد أن أوضح أنه يجب ألا نرسم أي خط لفصل بين من نقول عنهم «مجانين»، ومن نطلق عليهم «عاقلين».
- لنترجم؟ هل ابنتي مجنونة أم لا؟
- لا يا سيد سبادا. ابنتك ليست «مجنونة»، إلا أنني الآن أرغب في أن تدعاني أشرح جيداً، بهدوء.
- معذرة، تفضلي.
- إذن، جويًا فتاة حساسة جداً، ومن المؤكد أكثر بكثير مقارنة بالصبية الآخرين في سنّها؛ بمعنى أن حساسيتها هذه تجعلها، غالباً، غير متسامحة مع العالم الذي يحيط بها، لكن ربما كلمة «غير متسامحة» ليست الكلمة الصحيحة. لا أقصد أنها تظن نفسها أفضل من الآخرين، لكنها فقط لا تستطيع أن تتواصل معهم؛ لأنه يكفي قليل جداً من مصدر ما؛ ليحدث في داخلها جرحاً. ومع ذلك، تتمنى هي العالم الخارجي، وتبحث عنه، لكن ما أن يكشف لها حقيقته، تشعر بالخوف ثم ترفضه. ربما أيضاً لهذا السبب تلتقط تلك الصور.

- أي صور؟
- ألم تريها قط؟
- نعلم أنها تلتقط عدداً من الصور، لكن لا، لم نرها قط.
- أنا رأيتهما يا جورجو. إنها كلها صور لأشخاص من ظهورهم.
- من ظهورهم؟ أي نوع من الصور هذا؟
- أجل يا سيد سبادا، جويّا تحب أن تلتقط صور الأشخاص من الخلف، وتبرر هذا التصرف الغريب بأن تقول إن الناس عند رؤيتهم من هذه الزاوية أكثر صدقاً، حقيقيون أكثر، لكن لا يمكن أن ننكر العنصر الذي تحدثت عنه الآن؛ وهو خوفها من أن تواجه العالم كما هو.
- لكن حضرتك طلبت منا أن نحضر إلى هنا في هذه الساعة فقط لتقولي لنا إن ابنتنا تلتقط صوراً غريبة؟ فعلاً؟
- لا في الواقع. هذا، بطريقة ما، سبب كل شيء. لقد طلبت منكما الحضور إلى هنا لأشرح لكما ما نتائج هذا الرفض.
- تفضلي.
- في الحقيقة، ربما جويّا تعاني، منذ فترة، من الهذيان؛ لأنها مقتنعة بأنها ترى أشياء، أو الأفضل أن نقول، أشخاصاً، غير موجودين سوى في ذهنها؛ وهو نوع من مراحل الانتقال؛ لأنها بينما من ناحية تستطيع التعرف إلى عدم واقعية بعض قناعاتها الذهنية، من جهة أخرى، وفي حالة شخص معين، تبدو مقتنعة بأنه حقيقة واقعة، تماماً كما هو حقيقة بالنسبة إليّ وإليكما مثبت الورق هذا وهذا الهاتف.
- شخص من؟ شخصية تُدعى تونيا، أليس كذلك؟
- من تونيا الملعونة تلك أيضاً؟
- جورجو!

- لا يا سيدتي، على العكس. بالنسبة إلى تونيا، جويا تعرف تماماً كيف تعترف بأنها ليست حقيقية. المشكلة أنها مقتنعة بأن لديها فتى .

- هل تقولين إن جويا اخترعت لنفسها صديقاً؟
- تماماً، لكن المشكلة أنها لم تخرعه بالمعنى التام للكلمة...
معنى أن هذا الصبي موجود.

- أنا لم أعد أفهم شيئاً هنا.
- انظرا. هذا الصبي، الذي يُدعى لوكا، في الحقيقة، تقريباً لقي حتفه في شهر مايو السابق، في بحيرة ريدونا. لستما من هذه المنطقة، لكن لمدة أسابيع لم تحدث الصحف عن شيء آخر.
- لا نقرأ كثيراً الصحف.

- على كل حال، وفق نظريتي، لا بد أن جويا عرفت تلك القصة، بطريقة أو بأخرى، ولا بد أنها أثرت فيها كثيراً، إلى حد أنها في النهاية؛ بسبب دافع لست متأكدة منه حتى الآن، استبعدتها تماماً كأنها لم تسمع بها. والآن، في الفترة الأخيرة، برزت من جزء ما في ذاكرتها بشكل جديد، كأنها منحت حياةً للصبي. المشكلة أن جويا لم تكتفِ بأن سمعت صوته أو رآته، لكن هذيانها اتخذ أشكالاً أكثر تعقيداً.

- هل يمكن أن توضحي أكثر من فضلك؟
- بالتأكيد. جويا تصر على أنها اتصلت به اتصالاً جسدياً أيضاً، وشرحت لي بالتفصيل رائحته، وملمس جلده، وأيضاً...
- وأيضاً؟

- حسناً، وتفاصيل متعلقة بـ...
- دكتورة، هل تفصحين من فضلك؟
- بعلاقة جنسية.

- هل تريد أن تقول لي إن ابنتي مقتنعة بأنها ضاجعت ميتاً؟
- لا يا سيد سبادا، أنا...
- ثم لا يجب أن أفكر في أن ابنتي مجنونة؟
- دكتورة، لكن هل حضرتك متأكدة من أن جويما مقتنعة جداً؟
- وأنها لا تعرف أن هذا من نسج خيالها؟
- أجل، مقتنعة بالتأكيد. إنها متأكدة من أن الصبي موجود، وأنه لا يزال على قيد الحياة، وأنه فتاهها.
- حسناً، لكن ألا تفترضين أيضاً أنه ربما...
- أنه ربما؟
- حسناً، ربما يكون هذا الصبي على قيد الحياة بالفعل، وأن جويما لا تتخيل أي شيء.
- بالتأكيد، حالياً لا يمكنني أيضاً استبعاد ذلك؛ ولهذا السبب أيضاً استدعيتكما إلى هنا؛ لأننا لا بد أن نحاول أن نفهم هذا الأمر معاً، لكن نظراً إلى أن الهلوسة التخيلية عرض خطير، في حالة ما إذا تأكدت نظريتي في الجلسات القادمة؛ فكان عليّ تحذيركما في الوقت المناسب؛ لأنه في رأيي أن الطريقة الوحيدة ستكون اللجوء إلى علاج بالعقاقير، وستكون بحاجة إلى طبيب نفسي. أقصد لكي تتضح أمامكما كل الاحتمالات الممكنة.
- آه.
- رائع.
- هذا فقط ما تستطيع أن تقوله يا جورجيو؟ رائع؟ أليس لديك شيء آخر لتقوله؟
- أجل.
- وما هو؟
- هو أنني سبق وقلت إن ابنتي مجنونة.

13

الساعة السادسة وإحدى وعشرون دقيقة.
جويا سبادا على الفراش. خرج أبواها للتو لمقابلة الاختصاصية
النفسية للتحدث معها. نظرياً، كان لا بد من لقاء أول ليعرفا تطور
الوضع، إذن لا غرابة في هذا.

أمام فراشها الحاسوب مفتوح، وفي أسفل، توجد علامة ملف
وورد؛ حيث بدأت منذ قليل كتابة خطاب، بدأته بـ(إيه)، ثم (أهلاً
لو)، ثم (أهلاً)، وفي النهاية، ظلت مساحة بيضاء فقط.

- جويا، لكن...

سمعت صوت تونيا تقول لها. كانت تجلس أمام الحاسوب،
وقدماها فوق المكتب.

- أقول... ألم تشكّي قط، ولو شكّاً جاداً، أن تلك القصة ربما
تكون فقط من نسج خيالك؟

- هل تمزحين؟

قالت بصوت مرتفع، وهي تنظر نحو المكتب؛ حيث تستطيع
أن ترى وتسمع تونيا، لكن في الوقت نفسه، وهي تعرف أنه لا
وجود لتونيا.

- أتعرفين أنني أفكر في هذا الاحتمال أيضاً؟ لأنه غريب جداً أن
يختفي (لو) بهذه الطريقة في الأشياء. وغريب أيضاً أنه في تلك
الظهيرة عبر وسط المدينة معك ولم يتعرف إليه أحد... في الواقع
شيء غريب بالفعل أنه خاطر بأن يسير في طرقات وسط المدينة،
وهو يعلم أن أحدهم يمكنه التعرف إليه.

- لكن هل تتذكرين أنه كان يسير دائماً برأس منخفض،
وقلنسوته فوق رأسه؟ أي إنه...

توقفت جويا عند منتصف العبارة، لم تكن تعرف كيف تنهيتها.
كل شيء يبدو كأنه يؤكد ما تقوله تونيا، كل شيء فيما عدا...
انتظري!

قالت لها جويا، ثم نهضت لتذهب وتأخذ حقيبتها. فتحتها
وأخذت تفتش في داخلها بعنف، حتى عثرت على مفكرتها، وفي
داخلها كان يوجد خطاب (لو). فردته، ووضعتها على المكتب. الآن،
بدأت تشعر بأنها غريبة. بدأت تتنفس بسرعة، يوجد شيء ما غريب.
قالت لها تونيا: انظري جيداً.

ونظرت جويا بانتباه إلى خط (لو)، حرف يلي الآخر.
- ما هذا الذي تقولينه؟! أنا مُقلدة خطوط فاشلة!
- هذا حقيقي. يبدو أن خطيكما متشابهان بشكل مبالغ فيه،
ألا يبدو لك هذا؟

ومن الشارع، سمعت جويا ضوضاء سيارة ذويها تقترب وتقف
أسفل المنزل.

- لا، هذا لا يمكن. أقول لك إن هذا لا يمكن!
يُفتح باب المنزل، ومن المدخل يصل إليها صوت والدتها:
جروتي، نحن في البيت!
بنبرة معسولة أكثر من المعتاد، مُنغمة تقريباً.

وفجأة، فهمت جويا كل شيء، لقد استدعتهما الاختصاصية
النفسية لتقول لهما إنها تشعر بالقلق لأن ابنتهما تتخيل أشياء،
وإنها نسجت في ذهنها، ليس فقط صديقة تخيلية، بل صديقاً
أيضاً.

- لكن ماذا عن جوفانا؟ ماذا عن الصورة التي رأتها هي؟
قالت كمن عثر على القشة الأخيرة بينما تسمع ضوضاء على
الدرج، ومن جديد صوت أمها التي تناديهما.

- ربما من كان في الصورة يشبهه فقط؛ بل بالتأكيد. حانت الساعة لكي تبدي النظر إلى الحقيقة، كان لوكا موجوداً، لكنه مات. قالت لها تونيا، وبمجرد أن سمعتها تقول هذا، ضربت جويًا بقبضتها بقوة على المكتب وصرخت: لا! تماماً بينما يُفتح باب الغرفة، وظهر وجه أمها، التي على الفور نظرت إليها كأنها تنظر إلى مجنونة فريسة للهذيان.

- هل أنت بخير يا صغيرتي؟

- أجل يا ماما، أنا بخير! اخرجي من فضلك.

أجابتها وهي تغلق الباب؛ عملياً في وجهها.

وبمجرد أن أغلقت الباب، أسندت ظهرها إليه، وأغلقت عينيها، وببطء تركت نفسها لتنزلق إلى أسفل حتى جلست على الأرض. حاولت لبضع ثوانٍ أن تمحو كل شيء، أن تمسح تونيا من الحجرة، كانت تريد الفراغ الشامل. كانت تريد أن تفكر وأن تفهم. هناك أشياء كثيرة جداً تجعلها تعتقد أنها ليست مجنونة. وهناك في داخلها فكرة، وقناعة لا يمكن أن تتخلى عنها بأن (لو) لم يرحل، وأنه في مكان ما ليس بعيداً، وأنه مختبئ يخشى الخروج. صورة اللوحة الخاصة بالأسهم.

جوفانا، وماريو بريدا.

البحيرة، تماماً تلك البحيرة.

ليست مجنونة، ولا يمكن أن تكون مجنونة. لقد رأت (لو)، تحدثت معه، بل وتبادلا الحب، بحق السماء! لقد شعرت بجلده، بل ولا تزال تشعر به، كأنه مكتوب عليها، وكأنه بخلاف كلمات شعر ريكلمه توجد أيضاً على ذراعها علامات يديه وقبلاته وأنفاسه. إذا أرادت بالفعل أن تفكر في دليل، في شيء ملموس، لا تستطيع جويًا سوى التفكير في هذا؛ تلك اللحظات لهما معاً فوق السطح،

السماء فوق رأسيهما، والضوء الذي رآته في نهاية النفق. إذا لم يكن هذا دليلاً كافياً، ما الدليل إذن؟
 خطهما متشابه إلى حد كبير، يحدث هذا.
 الحجارة، دبلن.
 الكنزة التي أهداها إليها.
 بالتأكيد. يمكن لجويا أن تكون قد عثرت عليها في البار، ولعب ذهنها عليها منذ تلك اللحظة هذه المزحة، وجعلها تتخيل كل ما تلا ذلك.

قالت لها أمها من المطبخ: جروي! هل ستزولين لتأكلي؟
 أجبتها جويا: لست جائعة! بينما تأخذ ورقة وقلمًا، وتفكر، بما أن الموقف وصل إلى هذا، هناك شخص واحد فقط، شخص واحد في العالم تثق به، وستسأله هو إذا كانت مجنونة أم أن الآخرين هم المجانين.
 وهكذا جلست، وبدأت تكتب.

14

«وضرب فرسه روئيناته وهو يقول هذه العبارة، دون أن يحفل بأقوال حامل سلاحه سنشو، الذي صرخ يؤكد أن هذه طواحين هوائية وليست مردة تلك التي راح يهاجمها. أما هو، فقد رسخ في ذهنه أنها مردة إلى حد جعله لا يسمع صرخات حامل سلاحه سنشو؛ بل ولا يتعرف إلى الحقيقة حينما اقترب منها كل القرب. على عكس هذا، راح يعدو وهو يصيح بصوتٍ مدوّ: لا تهربي أيتها المخلوقات الجبانة الخسيسة، فإن من يهاجمك ليس إلا فارساً واحداً»⁽²⁶⁾.

(26) هذا الجزء من نص «دون كيخوته» لثربانتس، واستعنت هنا بترجمة الأستاذ عبدالرحمن بدوي.

كان الأستاذ بوفه وجويا يجلسان في حديقة المدرسة على إحدى الأرائك، وحولهما كانت ترتفع أصوات الطلبة، فتيات يلتقطن السيلفي، وضوء أكياس الشيبس، والضحكات. كانت الشمس ساطعة، لكن كانت هناك أيضاً سحب ضخمة مهددة تقترب من الجبال وتخلق بقعاً قائمة لتعلن عن رعود وأمطار.

هذا الصباح، ذهبت جويا إلى الأستاذ في صالة المدرسين ووضعت بين يديه خطاباً. عشر صفحات مكتوبة على الوجهين، حكّت له فيه كل شيء، بكل التفاصيل. أعجبها أن تكتبه ولم يعجبها ذلك في آن واحد؛ لأنه كان جميلاً أن تعيش تلك اللحظات مرة أخرى، كأنها تعيد بناءها وتخلقها من جديد أمامها، لكن معرفة أنها تمّ يدورها في محاولة الإمساك بكل شيء، وعدم القدرة على ذلك، لم يكن شعوراً رائعاً.

سألها الأستاذ، بينما يتلصص الأساتذة الآخرون خلفه ويتظاهرون بأنهم لا يسمعون شيئاً: وما هذا؟

- لا شيء، حضرتك اقرأه، إذا استطعت، عندما يسمح لك وقتك، ثم عندما تنتهي منه سأسألك شيئاً، إذا كان هذا لا يزعجك. كانت جويا تفكر في أن الأستاذ سيستغرق على الأقل شهراً في قراءة كل تلك الصفحات المكتوبة بخط صغير ومتلاصق، لكنه في بداية الفسحة كان بالفعل أمامها، ممسكاً بالأوراق في يد، وفي اليد الأخرى كتاب دون كيخوته دي لا مانتشا.

- لكن... لماذا هذا الكتاب معك؟

- سأقرأ لك منه شيئاً، قبل أن أجيب عن سؤالك، إذا لم يضايقك هذا.

وهكذا هما جالسان على إحدى الأرائك. البروفيسور يقرأ وجويا لا تفهم لماذا يقرأ لها هذا الشيء، بينما توقفت رغبتها

في أن تسأله ما أرادته. في نهاية قراءة تلك القصة، التي تتحدث عن طواحين الهواء والعمالقة، لم تعد جويًا تتحمل أكثر من ذلك، وسألت الأستاذ: إذن؟ ما رأيك؟

فكر بعض الشيء قبل أن يجيبها. استغرقه هذا وقتاً. كادت جويًا أن تكرر السؤال، ثم سكنت. في النهاية، قال لها الأستاذ شيئاً: في رأيي أنه موجود.

مدت جويًا رقبته: كيف؟

- لوكا هنا، هذا الـ(لو)، الذي تتحدثين عنه، له وجود فعلي، ليس فقط في ذهنك.

- لماذا تقول هذا؟

- لماذا؟... حسناً، في الحقيقة لا أعرف كيف أقول لكِ لماذا. في نهاية الأمر أجل، أعترف أن الأمر يمكن أن يكون ثمار تخيلاتك، لكن هناك شيئاً ما... لا أعرف، بالنسبة إليّ أنتِ تصفينه لي بطريقة أكثر من جيدة ليكون موجوداً فقط في خيالك.

كانت جويًا هناك مبتهجة بتلك الكلمات، وأخرى ترغب في أن تكذبها على الفور.

- أجل، لكن لماذا إذن لا يرغب هو في إثبات ذلك لي؟ لماذا يرفض أن يظهر نفسه؟ لماذا اختفى في اللا شيء؟

- لا بد أن يشرح هو هذا لكِ، أليس كذلك؟

- لكن حضرتك يا أستاذ، ألا يجب أن تقف مع الجانب العقلاني؟ ألا يجب أن تشجع المنطق؟ لقد حكيت لك كل هذه القصة لتساعدني في أن أراها بالمنطق!

وهنا انفجر الأستاذ، حرفياً، في الضحك، لكنه كان يضحك بقوة شديدة، بصوته الجميل الأجش. وكانت جويًا تنظر إليه دون أن تفهم كثيراً.

- المنطق. ها ها ها! أنتِ لا تعرفين كم من الخدع قام بها هذا المنطق المبارك! كان سيمكننا أن نحقق تطوراً لا يمكن تخيله في العلوم والتكنولوجيا، لكن بسبب بعض الأشياء، لا يجعلنا المنطق نتحرك خطوة واحدة إلى الأمام!

لكن لم تستطع جويا أن تفهم ماذا يريد الأستاذ أن يقول.

- هل تريدان أن تعرفي كيف أرى أنا هذا الأمر؟

- بالتأكيد.

- «سأخبركِ سرّاً. تعرفينه، أليس كذلك؟» قال لها وهو يلوح بالكتاب الذي في يده، وإصبع السبابة موضوع بين الصفحات التي كان يقرأ منها منذ قليل. «دون كيخوته؛ هذا المجنون، الذي يعتقد أن طواحين الهواء عمالقة يجب عليه هزيمتها... إليك، في الحقيقة، كان هو على حق. كانت بالفعل عمالقة، طواحين الهواء تلك. كانت بالفعل سيوفاً تلك الشفارات، وكانت البغال خيل حرب. كان هو من يرى الأشياء بطريقة صحيحة!».

خفضت جويا عينيها وأخذت تفكر فيما قاله. وضع هو الكتاب أسفل ذراعه، ووضع قبعته على رأسه، وقبل أن يذهب، قال: إن المجانين الحقيقيين يا عزيزتي هم من يرون ما هو أمام أعينهم فقط.

15

الفكرة العبقريّة، الفطرية Kensho، خطرت لها في أثناء درس الفيزياء.

كان الموضوع عن موجات الراديو، وعندئذٍ بدأ المدرس يتحدث عن إشارة واو!

في 15 أغسطس 1977، كان عالم الفلك الأمريكي جيري ر. إيهمان⁽²⁷⁾ يعمل على مشروع بحثي يهدف إلى إثبات وجود حياة في الفضاء، وبينما كان يحاول أن يلتقط أيضاً أصغر الموجات من الفضاء، وصلت إشارة راديو قوية جداً، استمرت أكثر من اثنتين وسبعين ثانية، من حدود الجنوب-الشرقي من كوكبة القوس. أعطوا تلك الإشارة اسم (إشارة واو!)؛ لأن عالم الفلك صنع دائرة كبيرة حمراء حول اللوحات، التي طبعها من الحاسوب وكتب بالقرب منها «Wow». حتى اليوم، هذه الإشارة هي إحدى الدلائل القليلة الملموسة، في رأي علماء مختلفين، على وجود حضارة فضائية.

الفكرة العبقرية واتبها عندما قال معلم الفيزياء، الذي لم يكن يصدق على الإطلاق أن تلك الإشارة انبعثت من أي شكل من أشكال الحياة، بصوت هادئ وتقريباً شاعراً بالملل - قال شيئاً جعل جويبا تنهض من مقعدها: «في رأي عالم الفضاء الفيزيائي فرانك دريك⁽²⁸⁾، هذه الحضارة الفضائية الافتراضية فعلت ببساطة الشيء الأكثر منطقية: حاولت أن تبعث الإشارة إلى مَنْ هم أكثر قرباً؛ لأنها إذا أرسلتها إلى الأبعد لأنفقت كثيراً من الطاقة وخاطرت أكثر بالفشل».

قالت جويبا، وهي تنهض عن مقعدها، وأعين كل زملائها التفتت إليها: لكن هذا واضح!
- آتسة! يؤسفني أنك تجدين دروسي تافهة إلى هذه الدرجة، لكنني أذكرك بأن هذه وجهة نظر عالم فضاء فيزيائي مبدع، الذي...

Jerry R. Ehman (27)

Frank Drake (28)

- لا، لا يا أستاذ، آسفة، لم أكن أتحدث مع حضرتك... هل يمكنني أن أخرج للحظة؟

كيف لم تفكر في هذا من قبل؟ كانت الإشارة آتية من قريب، من قريب جداً.

جويا سبادا، شاعرة بأن شيئاً ما يستحوذ عليها، ملأت الردهة بصدى خطواتها المُسرعة المتجهة نحو صالة تقنية المعلومات. الشكر للسماء، وفق منشور للمدير مسموح للتلاميذ أن يدخلوها في أي وقت، فأجهزة الحاسوب مجهزة لتسمح لهم بزيارة مواقع معينة محمية.

هي متأكدة من شيء واحد: مستحيل أن يكون (لو) تمكن من عمل كل هذا بمفرده. لا يمكن لأحد أن يخفي هروبه من المنزل خلف ستار الانتحار دون أن يساعده أحد، لكن مَنْ يكون هذا الشخص الذي ساعده؟ وكيف يمكن أن يكون فعل ذلك لمدة أحد عشر شهراً دون أن يكتشفه أحد؟ أين يختبئ؟ من الواضح، في المكان الأقرب؛ لأنه بمجرد أن يبتعد أكثر، سيزيد من خطورة أن يكتشفه أحد!

من المؤكد أن شاباً في عمر الثامنة عشرة لا يمكنه أن يعول نفسه بمفرده، لا يمكنه أن يأكل، ويجول وينام دون أن يثير الشكوك، خصوصاً لا يمكن أن يفعل ذلك دون أن يتحرك من المدينة التي يعرفه ويبحث عنه فيها الجميع.

- إن (لو) لدى أحدهم، منذ عام تقريباً وهو يمكث في منزل شخص ما!

قالت جويا وعيناها تلمعان من انعكاس شاشة الحاسوب الذي بدأت تشغيله، ثم ضغطت على بعض المفاتيح، وحركت الفأرة. فُتحت صفحة لمقالة كانت قد قرأتها من قبل، وخطرت في بالها

عندما شرح الأستاذ نظريات عالم الفضاء الفيزيائي فرانك دريك.
لوكا: البحث مستمر أيضاً في الجوار.

يمكن للشاب البالغ من العمر سبعة عشر عاماً، الذي اختفى
تقريباً منذ شهر ألا يكون قد لقي حتفه في البحيرة. يحاول
المحققون إيجاد طرق أخرى.

من مراسلنا - استمرت عمليات البحث عن الشاب، لكن ببطء
أكثر مما كان الأمر عليه وقت اختفائه. في الواقع، منذ بضعة أيام،
أكمل لوكا أعوامه الثمانية عشر؛ وهو الأمر الذي يحوّل هروبه
المفترض من المنزل إلى عمل إرادي، وفي تلك الحالة، لن تكون هناك
ضرورة لتدخل قوات الشرطة. إضافة إلى ذلك، يوجد في المدرسة
تردد في الحديث عن الموضوع: تقريباً لا أحد بين زملاء وأصدقاء
لوكا يرغب في الاعتراف بفكرة أن الصبي هرب في الواقع ببساطة؛
بل غرق في بحيرة ريدونا بالقرب من ترامونتي، حتى إنهم في
الأيام السابقة نظموا معاً زيارة لمكان الانتحار المزعوم؛ ليتروا
للوكا بعض الذكريات والخطابات والأدوات. لحظة مؤثرة جداً، لكن
عدم العثور على الجثة يبدو كأنه ترك طوقاً أخرى مفتوحة. جارٍ
البحث بين معارف لوكا من الكبار، والوحيدين الذين إن لم يكن
الأمر يتعلق بعملية انتحار، لكن بهروب من المنزل، لا بد أنهم
منحوه الدعم اللوجستي - دعم الإعاشة - اللازم.

أبعدت جويًا عينيها عن الشاشة. الآن توجد تونيا أيضاً هناك
معه، تجلس بجوارها، وقالت لها فقط، وهي تحديق فيها:

- اللعنة!

- أنتِ تعتقدين أن...

- أجل، أنا أعتقد أن.

- لكن كيف يمكنك أن تكوني بهذه الثقة؟

- لا أعلم، لكنني أعلم فقط أنني متأكدة!
وخرجت جرياً من غرفة تقنية المعلومات. الآن تعرف، الآن
تعرف أين (لو).

16

كانت الخطة في غاية البساطة، على الأقل في نصفها الأول.
ستدق جوفانا الجرس وتخبره أن لديها بعض الأوراق التي
تحتاج إلى توقيعه، وستطلب منه أن تدخل لأنها تريد أن تسأله
سؤالين عن البار. وبمجرد أن تدخل، ستحاول أن تترك الباب
مفتوحاً بعض الشيء. بعدها بثوانٍ، ستسلك جويًا البوابة،
وتتجنب الهجوم العنيف من الكلب الميني توبي، بأن تمنحه
عظمة لتسكته، وستسلك إلى داخل المنزل، وستضع أيضاً بيرييه
من الصوف ونظارات مزيفة، وهكذا في حالة ما إذا رآها المُسن
لن يعرفها بسهولة.

الجزء الثاني من الخطة؛ هو ذلك الجزء المبهم وغير المحدد،
لكنها سترتجل.

في الواقع، هي ليست خطة جيدة؛ بل بالأحرى شيء يُقال عنه
بالألمانية schnapsidee؛ وهذا يعني ذلك المشروع العجيب والسخيف
الذي يخطر في بال شخص عندما يكون مخموراً، والذي ينتهي دائماً
بإيقاع المرء في المتاعب. في العادة، يرتبط بإرسال رسالة فيها أخطاء نحوية
في الليل، يعترف فيها الشخص بحبه الأبدي لشخص ما؛ وبسببها، تُكتب
كلمة النهاية لكل أمل، لكن في هذه المرة يتعلق الأمر بغزو منزل المسن
ماريو بريدا، بحثاً عن الغرفة، التي في رأي جويًا، يختبئ فيها (لو).
أجل بلا شك، فهي schnapsidee؛ بل وهي أسوأ خطة خطرت
لجويًا في حياتها.

في الواقع، وافقت جوفانا على مساعدتها، بعد ساعة من التوسل إليها ركوعاً على ركبتها، فقط بشرط أنه إذا حدث شيء ما، لا بد أن تقول جويًا إنها فعلت هذا بمفردها. ستساعدنا، لكنها لا تريد أن تتورط. وكان لديها حق في هذا، فلديها ابنان تعتني بهما، وبار ترغب في الاستمرار في إدارته، ومحاولة عمل ذلك بسجل إجرامي غير نظيف شيء قاسٍ في الواقع.

- ماذا تريدان؟ لا بد أنها فواتير قديمة أخرى!

تأفف المُنسَن أمام الباب.

- صباح الخير يا سيد ماريو، لقد أحضرت لك بعض الأشياء للتوقيع، وكنت أريد أيضاً أن أطرح عليك بعض الأسئلة بخصوص السخان. هل يمكن أن أدخل؟

سعل السيد بريدا، ونظر حوله، ثم أشار بيده لجوفانا بالدخول. غمزت جوفانا بعينها وهي تنظر إلى يمينها، مباشرة إلى جويًا، المختبئة مرة أخرى خلف صندوق القمامة.

هناك كلمة فرنسية تعبر عما تمر به الآن؛ Frisson؛ وهي تقريباً خليط الانفعالات والمشاعر، مثل الخوف والإثارة والرغبة والرهشة وغيرها. شيء جميل أن توجد في الحياة كلمة تعبر عن الخوف والرغبة معاً. تقريباً يحدث دائماً أن يكون الخوف مصاحباً للرغبة، بالقياس نفسه، عندما تحدث الأشياء الجميلة بالفعل.

وتشعر جويًا أيضاً أنها في الخلط في هذه اللحظة. الآن حيث هي، على وشك ارتكاب جريمتين، وورطت معها شخصاً آخر أيضاً، ولم تعد متأكدة تماماً من أن (لو) يختبئ في هذا المنزل.

لكن اسمعي... وإذا كنتِ مخطئة؟ همست لها تونيا، وهي على ركبتها بجوارها.

لست مخطئة. شيء غريب جداً أن المُسن قال إنه لم يره قط، حتى بعد أن أطلعته على الصورة. إذا كان موجوداً على تلك اللوحة؛ ذلك لأنه كان زبوناً دائماً، لا بد أنه كان يعرفه! لماذا يقول لي إنه لم يره قط في حياته؟ ثم فكري في إشارة واو! لا يمكن لـ(لو) أن يبتعد كثيراً عن مخبئه، وأنا أعتقد أنه هو والمسن أصدقاء... أتذكرين أن جوفانا كانت قد ذكرت أن المُسن قد فقد ابناً و...

نعم نعم، فهمت، لكن... إذا كنتِ مخطئة؟
إيه، إذا كنتِ مخطئة... يمكن أن نقع في بعض المتاعب.
فقط بعض؟

جوفانا الآن في الداخل. تخرج جوياء من خلف صندوق القمامة، وعلى الفور تفهم أنها ليست موهوبة في هذا، نظراً إلى أنها في أثناء نهوضها تضرب عن طريق الخطأ الذراع وترفع غطاء الصندوق، وتسقط فوق رأسها علبة بيتزا ضخمة من الورق المقوى توجد في داخلها - بطبيعة الحال - فتات كثيرة مُحمرة اللون.

عندئذٍ تميز بوضوح تام ضحكات تونيا، وأيضاً إصبع السبابة الذي يشير نحو قطعة بيتزا علقت بين شعرها.

لكن أليس من المفروض أن تكوني في صفي؟
آسفة، آسفة، لكن كان شيئاً جميلاً للغاية!

تنزع جوياء الوسخ من فوقها، ثم تقترب من السور الذي يحد حديقة المُسن. تلقي بعظمة لتوبي، لكنه لا يتحرك، بل وينظر إليها بالفعل مكشراً عن أنيابه.

«توبينو؟ ألا ترى أنني ألقى إليك بالعظمة؟» قالت له وهي تهمس، على ركبتيها، من بين الألواح الخشبية للسور، واستمر الكلب في التكشير، دون حتى أن يهتم بالعظمة الشهية التي أحضرتها له جوياء.

«لا بد أن أقول إن خطتك تسير بنجاح ساحق!» علقت تونيا.
 «أخربي وساعديني أفضل!» تصرخ فيها، وقد نسيت أنها
 على بُعد عشرة سنتيمترات من كلب صغير، بل ونسيت الغرابة
 الشديدة للكلاب بهذا الحجم، التي تتمثل في أنها تنبح بشكل
 هستيري مع أي استفزاز خارجي.

في الواقع، بدأ توبي الصغير يصرخ مع نباحه الحاد كأن النيران
 الاحتفالية قد انفجرت، ويقفز إلى أعلى؛ إلى حد أنه كان على وشك
 أن يتسلق السور.

وكنتيجة منطقية، فتح المُسن بريدا الباب، وخرج: توبي! ماذا
 حدث يا توبي!

حاولت جويًا على الفور أن تفرد جسدها على الأرض حتى لا
 يراها؛ وهي تغرس وجهها وسط الأعشاب القليلة الموجودة هناك
 بالقرب من السور، لكن أثبتت تقنية النعامة فشلها الذريع؛ لأن
 المُسن لاحظ على الفور شيئاً غريباً وصرخ في اتجاهها: إيه؟ من
 هناك؟

نهضت جويًا سبادا بملابسها المتسخة بالعشب فجأة.
 صباح الخير، أنا...

لكن لم تستطع أن تجد بسرعة تبريراً واضحاً لواقع أنها كانت
 منذ ثانية واحدة على الأرض أمام منزله كأنها جندي في تدريب
 حربي، وكان كل ما تتمناه بشدة ألا يتعرف إليها.
 آه، هل عثرت عليها أخيراً؟ وصل صوت جوفانا من خلف ظهر
 المسن، لقد استغرق الأمر بعض الوقت.

عثرت على ماذا؟ هل تعرفان بعضكما؟ سألهما بريدا وهو يربت
 على توبي، الذي كان في ذلك الوقت قد جرى بين قدميه ليأخذ
 الجائزة التي استحقها لأنه قام بواجبه ككلب حراسة.

آه، أجل، فهي...
أنا أعمل معها في البار. أكملت جويًا العبارة في محاولة لتغيير
صوتها إلى صوت متقطع.
وماذا فقدت؟ عقلك على ما يبدو؟ قال المُسن بينما توبي
يهرب من بين قدميه لأنه أخيراً، بعد بعض الوقت، رأى العظمة
الشهية في وسط الحديقة!
حسناً، المهم أن تكوني عثرتِ عليها! قالت لها جوفانا، وهي
تغمز لها، ثم تستأنف بسؤال: لكن ألم تكوني بحاجة إلى الذهاب
إلى المرحاض؟
مممم... أجل! لا بد أن أذهب، بل وسأجري إلى الحانة الآن، فلم
أعد أحتمل.
أجل، اجري إلى الحانة أفضل.
قال لها بريدا، لكن تتدخل جوفانا على الفور: هيا يا سيد
بريدا، لا تتصرف بهمجية كعادتك. ألا ترى أنها تُعاني؟ هيا، دعها
تستخدم حمامك لدقيقتين!
ينظر المُسن شزراً إلى جوفانا، التي في المقابل تبسم له ابتسامة
ملائكية، ثم، وبينما جويًا تضغط على عينيها وهي تصلي أن
يقول أجل، يشير بيده ويتأفف: تفضلي ادخلي، لكن أسرع، ولا
تضايقينني إذا وجدتِ كل شيء متسخاً.

17

«والآن، ماذا؟»
«آه يا تونيا، الآن... الآن يجب أن أكون بالشجاعة الكافية لأخرج
من هذا الحمام وأذهب إلى الطابق الأول دون أن يسمعني أحد!»
«أنتِ!»

«أجل، أنا!»

«التي لا تستطيع حتى الخروج من خلف صناديق القمامة دون أن تتسبب في كارثة؟»

«شيء جميل أن تكون لدى صديقات المرء ثقة كبيرة به!»

تحدث جويًا مع صديقتها الافتراضية داخل الحمام، الذي ربما يكون أقذر حمام في كل شمال إيطاليا، خصوصاً أنه توجد في قاعدة المرحاض بقع صفراء؛ وتلك بمفردها تثير في جويًا غثياناً خطيراً.

اسمعي! سيأتي هو بعد قليل ليترك الباب.

أعلم. اتركني أفكر.

قالت لها جويًا وهي تنظر حولها بعصبية، على أمل أن تجد شيئاً بين الأدوات الموجودة داخل الحمام الأقذر على الإطلاق في شمال إيطاليا، أي شيء يمنحها أي أفكار، كأنها ليس لديها ما يكفيها من أفكار، فمع البحث عن حل، بدأت جويًا تفكر أيضاً في احتمالية أن تكون مخطئة، وأن تكون فعلت schnapsidee؛ لأنها إذا جرت إلى الطابق الأول ولم تعثر على أثر لـ(لو)... لحظة واحدة. قالت لتونيا.

ماذا؟

يوجد هنا روب حمام! ألا ترين؟ بل اثنان أيضاً.

وماذا في ذلك؟

لكن كيف إذن! هل يبدو لك أن شخصاً يترك حمامه بهذه القذارة، سيهتم بأن يحتفظ لنفسه بروبي حمام نظيفين هكذا؟ قالت لتونيا، وعيناها تلمعان.

- أوكي، لنقل إنه الآن في أعلى. كيف سيمكنك الذهاب دون أن يمسك بك؟

في الواقع، هذا حقيقي. في الأفلام يفعلون ذلك دائماً، تلك الأشياء... يدخلون إلى المنازل، يسرقون، ويبحثون، ويقلبون الأشياء، ويرى المرء هناك دائماً عمليات سهلة جداً، لكن الآن، وبينما توجد جويًا في منزل السيد ماريو بريدا، تُدرك أنه يكفي أن تقترب أي شيء ليكتشفها. يا لحماقة الأفلام والأوهام المزيفة التي تنشرها! إذن لنفكر. إن باب المدخل موجود هنا أمام الحمام، على بُعد مترين. قالت لتونيا.

حسنًا.

من المطبخ، لا يمكن رؤية باب المدخل.
- حسنًا، لكن الآن أسرع، لقد أمضيت هنا في الداخل خمس أو ست دقائق.

- إذن، سأخرج من الحمام، أفتح الباب بسرعة، وأحييهما بصوت مرتفع، أغلق الباب بقوة، ثم على الفور أقفز بسرعة على السلام الموجودة هنا!

لن تستطيعي أبدًا.

بل سأستطيع.

لا لن تستطيعي.

لا تهتم جويًا كثيرًا بكلمات تونيا، مقتنعة أكثر من أي وقت مضى بإمكاناتها، تمسك بمقبض الحمام، مستعدة لأن تنفذ عمليًا خطتها الرائعة.

ثم، وبمجرد أن تفتح الباب، تجد المسن أمامها واقفًا، كأنه كان ينتظرها منذ مدة، لكن لم تكن المفاجأة في أنها رآته هناك أمامها، بنظرته الهمجية المعتادة، لكن لأنه قال لها: تعالي، سأخذك أنا. في البداية، لم تفهم جويًا، أو الأفضل أن نقول إن جزءًا صغيرًا جدًا من عقلها فهم، لكن كان يبدو لها مستحيلًا أنه يقول هذا بالفعل.

معذرة؟

تعالى معي، فقد فهمت أنكِ فهمتِ. قال لها، ثم التفت واتجه نحو الدرج. صعد ببطء، مع جويًا خلفه عن بُعد، بينما كان الخشب تحت أقدامه يقطّط، وفي الهواء تتصاعد رائحة الصوف الرطب، وربما آثار روائح جرابًا.

بمجرد أن وصلا إلى الطابق الأول، توقف المُسن، والتفت ونظر إليها مباشرةً، ثم قال: إذا حاولتِ فقط أن تقولي لأحد إنه هنا، لتعلمي أنه ربما سيكون آخر شيء ستفعلينه في حياتك.

اكتفت جويًا بأن بلعت ريقها وأجابت: أوكي، ثم أومأ المُسن وابتسم لها، ووضع أذنه على الباب الأول على اليسار، وقال: يسمع موسيقى بذلك الشيء. سألته جويًا: بذلك الشيء. وكانت أنفاسها تتسارع قليلًا. ثم فتح الباب، واقتربت جويًا، وكان هو هناك.

ممددًا على فراش، والسماعتان في أذنيه، وعيناه مغمضتان، وصندوق الحجارة موضوع فوق الطاولة الجانبية بجواره. كان (لو) هناك، ولم يدرك أي شيء.

قال لها المُسن: سأترككما بمفردكما.

ثم عاد ليأخذ طريق الدرج. وعندما كان على وشك النزول، نادى جويًا: إيه! قال لها، وعندما التفتت جويًا، أشار إليها بيديه بإشارتين لا يمكن إساءة فهمهما: الأولى بأن وضع السبابة على شفّتيه، كأنه يقول لها: الصمت، أوصيك! والثانية اليد التي تقطع الرقبة كأنها سكين.

18

(لو). إنه هو، هناك.

كانت جويًا سبادة قد تخيلت على الأقل ألف مرة اللحظة

التي سيظهر فيها من جديد، حتى إن كانت الأماكن، التي كان يحدث هذا فيها، تتغير دائماً - البار، السطح، الكنيسة الصغيرة - وفي كل مرة، كانت هي تفعل الشيء نفسه: تجري نحوه وتوسعه لكمات. وعادةً، كما يحدث في الحياة، عندما كانت جويًا تتخيل شيئاً ما، لم يكن في نهاية الأمر يحدث بتلك الطريقة مطلقاً، أو بهذه الطريقة على الإطلاق: تماماً كما حدث منذ خمس دقائق مع الخطة الدقيقة جداً لتدخل إلى منزل المُسن، فقد صنعت في ذهنها مشهداً، كانت تراه بالفعل، ثم جاءت الحياة لتخدعها، كأن تغير الأوراق الموضوععة على المائدة شيء ممتع، تقريباً كما يحدث عندما يعطي مخرج لمثيله أدواراً ليحفظوها عن ظهر قلب، ثم يجعلهم يمثلون شيئاً آخر، لكن ليس فقط بأن يغيروا في بعض الدعابات، لكن بأن يمثلوا في فيلم مختلف تماماً، بسينوغرافيا مختلفة، وشخصيات لم يروها قط، ومشاهد مُعدة عشوائياً. إذن، جويًا، بينما كانت تتخيل اللحظة، التي سيظهر فيها لوكا من جديد، كانت تعرف بالفعل أن الأمر سيظل دائماً على مستوى الخيال، وأن لا شيء سيكون مشابهاً لذلك الذي صورته في ذهنها. إلا أن هذه المرة، ولأول مرة، استطاعت جويًا أن تغتني الفرصة، ليس بطريقة مطلقة، لكن حصلت على ما صورته، على نصفه على الأقل، الجزء الثاني.

كان الجزء الأول مختلفاً تماماً. (لو) ممدد على الفراش في تلك الحجرة الصغيرة، عيناه مغمضتان، والغرفة شبه مظلمة، وكانت جويًا تقف أمامه، وفي أسفل، كانت تسمع أصوات جوفانا والمُسن؛ وذلك التعبير الهادئ؛ وتلك الابتسامة المُسالمة، وتحاول جويًا أن تفهم من القليل الذي يُسمع من السماعات إلى أي أغنية يستمع، وبدا لها أنها شيء ما تعرفه، لكنها لم تعرف ماذا، إلا أنها مكثت

ثابتة، وهي تكتم تقريباً أنفاسها، حتى إن كانت تتسارع بطريقة تلقائية.

وقفت دقيقتين تقريباً، ولم يحدث شيء.

إلا أنها في هاتين الدقيقتين فعلت ذلك، الذي لم تكن تصدق أنها ستتمكن من عمله - ربما لأنها لم تكن تصدق قط أن (لو) سيكون هناك بالفعل، في منزل المالك القديم للبار، على بُعد خطوتين من حيث رآته دائماً - وألا تفعل أي شيء. ستنظر إليه فحسب، وتفكر في هاتين الشفتين الكبيرتين، والضحكة التي لم ترها منذ قرون - كانت أسابيع، لكنها كانت قروناً - وفي كمية من الانفعالات المتراكمة، التي لا يمكن ترجمتها وتشعر بها كلها معاً - *ustsura*؛ وهي كلمة تعني باليابانية «عندما لا يعلم المرء إذا كان نائماً أم مستيقظاً»؛ *geborgenheit*، التي تعني بالألمانية «ذلك الشعور بالأمان، الذي يمنحه لك البقاء بالقرب من شخص تحبه»؛ *gigil*، التي تعني بلغة تجالوج الفلبينية «الرغبة في إيذاء أحد من شدة الرغبة في لمسه أو خنقه أو الشعور به»، ومشاعر أخرى كثيرة جداً - وإذا بها تستمع من جديد إلى الأغنية التي تتعالى من سماعتيه، وفجأة يبدو لها أنها عرفت، أجل، هي بالتحديد؛ فهي أغنية Breathe؛ الأغنية الثانية في ألبوم The Dark Side of the Moon - هو (لو) هنا أمامها ويستمع إلى البينك فلويد، وإذا كان يستمع إليهم هذا معناه أنه يفكر فيها - وعندما تعرفت إليها، ها هو يفتح عينيه وينظر إليها، وعندئذٍ قفزت هي فوقه، والآن أجل، أخيراً أوسعته لكماً، حاول هو الإمساك بها وأن يوقف رسغيها، لكنها استمرت في ضربه بقوة أكبر حتى طارت السماعات أرضاً، وحتى آلمته بالفعل، وشعرت بأن وجنتيه تلامسان وجنتيها، ودموعها تتساقط لأول مرة في حياتها أمام شخص آخر.

19

- كفى! يا (شيء)! توقفي!

كان الصوت المتكتم لـ(لو) يحاول بكل الطرق أن يوقف غضب جوياء، التي انفجرت مرة واحدة، وبكل ما في داخلها من افتقاد، الذي يمكن فقط لمن فقد بالفعل شخصاً ما أن يتعرف إليه. وفي الغرفة شبه المعتمة، وعلى ذلك الفراش، وقد قضت أسابيع وأسابيع من دونه، بضحكات السخرية خلفها، وموظفي الشؤون الاجتماعية، وعبوات البيرة الفارغة التي يتركها أبواها في أنحاء المنزل، ليالي بلا نوم وعينيها تنظران إلى السقف وإلى كل مكان، إلى أعلى وإلى الأمام، إلى أسفل وإلى الداخل، والخوف من أنها لن تلمس أبداً مرة أخرى السعادة التي جربتها وفقدتها في اللحظة نفسها: كان كل شيء هناك، كان كل شيء في تلك الغرفة.

- سأشرح لك كل شيء، اتفقنا؟ قال لها هو من جديد، بينما يمسك بها بقوة، وبينما جزء من أغنية بينك فلويد يصل من السماعتين.

- هذا المساء، حسناً؟ هنا لا يمكننا التحدث. هذا المساء في البار. سأراك هناك، وسأخبرك بكل شيء.

20

- من أين تريدني أن أبدأ؟ من أول الحكاية؟

لم يكن من السهل عليها أن تحصل من والديها على إذن بالخروج، نظراً إلى البرد الشديد، الذي يأتي من كل مكان، ونظراً إلى أن الجميع مقتنع أن جوياء لديها أكثر من صامولة في غير محلها في مخها. كان الشيء الأكثر صعوبة هو أن تمتنع عن أن تقول للجميع إنها الآن تعرف أين (لو)، وإنها لديها الأدلة، وإن الآخرين هم

الذين لا يرون ما تراه هي، وليست هي التي ترى أشياء لا وجود لها، إلا أنها لم تستطع ذلك؛ فهذا سر لا أحد يعرفه، ولا يجب أن يعرفه أحد، والأسرار لا تُباح.

- ألا يمكن أن أطرح عليك أنا الأسئلة وأنت تجيبني؟ سألته جويًا.

كانا كالعادة جالسين أمام مائدتهما في البار، في الجزء القريب من الشرفة الذي لا يمكن أن يراه أحد، وفوق المائدة كانت توجد حقيبة جويًا، والمضطربان المليء بالحجارة الخاص بـ(لو). منذ بضعة أيام، تغيرت الساعة؛ ولذلك غربت الشمس منذ قليل، ولا يزال يوجد أناس في الطريق.

قال هو، وهو يمد لها يديه: لنذهب يا (شيء)، لنذهب إلى الكنيسة الصغيرة؛ حيث يمكن أن نمكث في هدوء أكثر. وبيدها شدها إلى أعلى، إلا أنه شدها بقوة فاصطدمت به، واقتربت منه جدًا. أخذ ينظر إليها وهي تنظر إليه. كان بينهما سنتيمتر واحد، وربما أقل. قال لها: مر وقت طويل على تلك المرة.

- سبعة وعشرون يوماً، وثلاث ساعات وخمس عشرة دقيقة، وثلاثون ثانية. فكرت هي، ثم أجابت: أجل، بعض الوقت.

وقفوا ساكنين بعض الوقت هناك، ثم هي، عندما لم تعد تتحمل، وكان كل ما تتمناه هو ألا يضيع الوقت الذي فصلهما عن تلك المرة الأخيرة التي تبادلوا فيها القبلات، وألا يضيع وقت أكثر من تلك الأيام السبعة والعشرين والساعات الثلاث والدقائق الخمس عشرة والثواني الثلاثين، قالت له: لنذهب؟

21

وفي الكنيسة الصغيرة، كان العشب قد قُطع تَوًّا، وكانت هناك رائحة منعشة، والأحواض مليئة بالزهور، التي كانت بينها زهور

مارجريت كبيرة. وعندما مرا بجوارها، انحنى (لو) كأنه على وشك أن يقطعها، ثم تركها وابتسم.

- من واحد إلى عشرة، إلى أي حد أنت غاضبة يا (شيء)؟

- حسناً، الآن فقط مليون، لكن هناك لحظات لم تكن هناك أرقام في الوجود يمكن أن تصف درجة غضبي. أجابته بينما يجلسان معاً على الأرض، ويديران ظهريهما إلى الجدار، كالمعتاد. شيء غريب، لكن كل الغضب، وكل تلك الرغبة في أن تجعله يدفع ثمن ما فعله، أو على الأقل أن تعبس بعض الشيء في وجهه، وهو ما، اللعنة! من حقها أن تفعله، تبدو جميعها تبخرت في الهواء في اللحظة، التي عادا فيها ليجلسا هناك؛ لتترك في مكانها فقط رغبتها في أن تكون معه كما كانت، ينطلقان في حماقاتهما، ويضحكان ويتحدثان ويقبّل أحدهما الآخر، وأن يكونا (لو) و(جويا) من جديد، كأن شيئاً لم يحدث. سبعة وعشرون يوماً تبدو كأنها دقيقة مضت، حتى إن كانت كل دقيقة من تلك الأيام السبعة والعشرين استمرت دهوراً. قال هو: لكن هناك مشكلة صغيرة.

- ما هي؟

- إنني لا أعرف إذا كنت ستصدقيني؛ لأنه في العادة لا تحدث هذه الأشياء. أقصد أنها لا تحدث فعلاً.

- وهل أنت شبح؟

لحقها (لو) بضربة على جنبها كأنه يقول «لا تنطقي بحماقات»، ثم قال: هل يبدو لك أن الأشباح يمكنها أن تفعل ما فعلناه نحن على السطح؟

- لا، لا أعتقد هذا طبعاً، حتى إن كنت لا أمانع أن أكرر هذا مع شبح لورد بايرون.

- من؟

- شاعر من القرن التاسع عشر.
- كان وسيماً؟
- لا تقل لي إنك تشعر بالغيرة من شخص ميت، ثم دُفن في اليونان تقريباً من مائتي عام!
- هل أنت غبية؟
- لا، أنا جويًا.
- نظر إليها نظرة سيئة جداً؛ تلك النظرة التي تعني في اللغة العالمية ما معناه: يا لها من نكتة سخيفة.
- تقنياً، كانت تلك نكتة Jayus.
- كانت ماذا؟
- Jayus، كلمة بالإنجليزية تعني أنها مضحكة؛ لأنها سيئة جداً إلى حد أن تضحك. قالت له جويًا.
- إذن، كان وسيماً ذلك الشاعر، شاعر القرن التاسع عشر؟
- لا، لكن كانت له جاذبيته.
- آه، إذن مثلي، لكن من دون الوسامة.
- أجل، لنقل مثلك، لكن جذاباً.
- مَتم، ثم نظر إليها متظاهراً بالابتسام. وابتسمت هي له، ثم قالت: متى ستبدأ في أن تحكي لي كل شيء؟
- في رأيك، لماذا أتحدث معك في أشياء أخرى منذ نصف ساعة؟
- أنت تعرف أننا لا يمكننا أن نتكلم في تفاهات إلى الأبد، أليس كذلك؟
- إذا أردت ذلك، أجل.
- أجل، لكن إذا فعلت ذلك لمدة أطول ستخاطر بشحنة أخرى من اللكمات.
- بالمناسبة، لقد ألمتني في تلك المرة، أتعرفين هذا؟

- (لو)؟
- أعتقد أنني أصبت بكدمات هنا.
- (لو)؟
- ماذا تفعلين، ملاكمة تايلاندية؟ مصارعة يونانية - رومانية؟
- (لو)؟
- قولي لي.
- احكِ لي ما حدث، حالاً!
- تنهد وهو يضم شفثيه وينظر إلى جوياء، لكن ليس إلى عينيها،
ربما كانت نظرتة إلى وجنتيها.
- حسناً، لكن قبل أي شيء يجب أن تعديني بشيء. بل بشيئين.
- قال لها.
- لنسمع.
- أنا سأحدث، وأنت ستصمتين.
- ما نوع الوعد الغبي هذا؟
- لا تسأليني أي سؤال، ولا تقاطعيني حتى النهاية، ثم اسأليني
عن كل ما ترغبين فيه، لكن أولاً اتركيني لأحكي كل شيء.
- كانت جوياء تريد أن تقول له إن هذا لا يمكن، وإنها لا يعجبها
ما يطلبه على الإطلاق، وإنه سيكون تقريباً من المستحيل أن تمتنع
عن الكلام، لكن رغبتها في المعرفة كانت أقوى بكثير، عندئذٍ قالت
له فقط: حسناً. والشرط الثاني؟
- الشرط الثاني مفروغ منه.
- لا يجب أن أقول هذا لأحد.
- تماماً، لكن هذا أمر غاية في الجدية؛ لأنني أعرف بالفعل أنك
سترغبين في أن تفعلي هذا. ربما لمصلحتي، ولمساعدتي. سيخطر في
بالك أن تذهبي لتحدثي في هذا مع أحد؛ ولهذا يجب أن تعديني.

- لقد فعلت هذا.
- لا، لا بد أن تقولي هذا، بفمك الجميل هذا.
- أقول ماذا؟
- قولي: لن أقول، على الإطلاق، أي شيء، لأي شخص.
- هذا أمر غبي، لكنك تعلم أنني...
- قولي هذا!
- أوكي.
- أحسنت.
- لن أقول...
- هيا.
- على الإطلاق، أي شيء، لأحد.
- شكراً يا (شيء).

22

- مرت طائرة فوق رأسيهما، وتابعت أعينهما أضواءها.
- عندما كنت صغيراً، كنا نلعب أنا وأمي لعبة. بدأ (لو).
- ما دخل هذا، الآن؟ سألته جويًا.
- إيه، ألم نقل لا أسئلة؟ التفت ونظر إليها بغضب شديد.
- أنت تتذكر أنني فتاة، أليس كذلك؟
- أجل، لكنك وعدت.
- آسفة. ثم جلست في وضع مريح، كانت تعلم بالفعل أنه سيكون من الصعب عليها الالتزام به.
- كنت أقول، كنا نلعب هذه اللعبة، بينما كانت هي تستعد للخروج وأنا في الحمام معها، كنا نرسم على المرأة. أنت تعلمين، فبعد الحمام يتراكم البخار على سطح المرأة، وهكذا كنا نحن

الاثنين نرسم منازل، وسيارات، وكرات... وتخيلي، هكذا علمتني أن أكتب. كانت هي تكتب الحرف على المرأة، وكنت أنا لا بد أن أنقله، ثم كنا نقرؤه معاً. ربما بدأ كل شيء عندما أدركت أنني كنت دائماً أقضي كثيراً من الوقت مع أمي، وإذا كان يجب أن أفكر في الذكريات السعيدة، لم تكن هناك واحدة، ولا حتى نصف واحدة، كان هو أيضاً موجوداً فيها.

صمت. كانت جوياء تعض لسانها في فمها.

- الشيء الجميل أن هذا حدث فجأة؛ أي بسرعة شديدة جداً. قبل ذلك بفترة، كان يبدو لي أن كل شيء على ما يرام، ثم فجأة «بوم»! لم يعودا يتصافحان حتى، وتوقفت هي حتى عن الابتسام، وكنت أنا ألعب في غرفتي بما يخصني.

كانت جوياء تريد أن تطرح عليه سؤالاً غيبياً بسيطاً: كم كان عمرك؟ لكنها لم تستطع، وعندئذٍ اكتفت بتمني أن يكون هو لطيفاً ويقول لها هذا قبل أن تصاب بأزمة عصبية.

- وكنا نساكن في ذلك المسكن الكبير جداً، وفجأة أصبح ذلك المنزل فارغاً؛ حيث كل صوت فيه يتسبب في صدى يثير الجنون، وكانا هما يتجنب أحدهما الآخر، أمر سهل التنفيذ في منزل كهذا، وكنت أنا أشعر أنه هو السبب، هل تفهمين؟ أنه شيء فعله هو. لم تستطع جوياء أن تتحمل. يمكن أن تموت إذا لم يقل لها كم كان عمره في تلك الفترة. وهكذا ضربت بقوة على فمها بيد، وباليد الأخرى أمسكت بذراعه، كأنها تقول له: «اصمت للحظة»، ثم أخذت قلمها ومفكرتها من الحقيبة، وكتبت: كم كان عمرك؟

- آه، آسف، معكِ حق، اثني عشر، كان عمري اثني عشر عاماً.

ابتسمت جوياء، وتنفست، كأنها كتبت أنفاسها، وقالت له بعينها: شكراً.

- لكن كنت أعرف أنه كان يريدني مثله تماماً، إلا أنني في الوقت نفسه كنت مختلفاً تماماً، وكان هو يُفهمني أن هذا الأمر لا يعجبه... ثم أنا، كرد فعل، وأعلم أنني أخطأت، بدأت أقوم متعمداً بكل ما يخالفه، بأن أفعل عكس ما كان يتوقعه مني، وما كان يتمناه؛ فهو كان يحب كرة القدم كثيراً والرياضات الجماعية، أما بالنسبة إليّ، فكانت أقصى رياضة هي رمي الأسهم، كان هو يفكر فقط في النقود والعمل، وأنا أفكر فقط في سماع الموسيقى والجلوس وحدي... وهكذا، بعد أن كانت علاقتنا في البداية ليست مثالية، لتتخيل كيف أصبحت بعد هذا. بدأ معي نوعاً من العذاب، عذاب الصمت... لم يكن يقول لي سوى «أهلاً»، وأحياناً ولا حتى ذلك.

كانت جويًا تحاول أن تتخيل المشهد؛ ذلك الصمت طويل المدى؛ تلك «الضوضاء، الخالية من الكلمات»، وفي ذلك المنزل المتسع.

- كنت وقتها صغيراً، ولم يكن في إمكاني أن أفهم بعض الأشياء. أقصد أنني كنت أيضاً أفهمها، إلا أنني لم أكن أدرك أنني أفهمها. في نهاية الأمر، قبل المراهقة، كنت قد فكرت فقط أنه منفصل عنا بعض الشيء، ولا شيء أكثر من ذلك... كنت أعيد التفكير في كيف كان يأخذني معه بعض الأحاد إلى هناك، إلى القرية الأشباح... في الأيام، التي كانت البحيرة فيها جافة، كنا نذهب أنا وهو لنرى القرية، التي تظهر من جديد في عمق الوادي، وكنت أسأل نفسي كيف توقف فجأة عن أن يفعل ذلك، لماذا لم يعد يأخذني إلى هناك، وفي الوقت نفسه، كان يمكث كثيراً بعيداً عن المنزل، في البداية لأيام، ثم لأسابيع، كان يختفي، ولم أعد أراه، وعندئذٍ في النهاية بدأت أفهم أنه على وشك أن يتركنا، وبدأت أفعل تلك

الأشياء التي تسببت في رسوبي كل تلك المرات.
كانت جويًا على وشك أن تتكلم، لكنها عضت لسانها على الفور. المفكرة والقلم. كتبت:

- كل تلك المرات... كم مرة؟

- تلك الأشياء... أي أشياء؟

- لن تصدقي، لكن... مرتين، مرة في الصف الثاني الإعدادي، ومرة في الثالث. واقع أنني لم أكن أستطيع التركيز... كنت أحاول بالفعل، لكن لم يكن هناك شيء يثبت في رأسي، كأن كل شيء يغطيه الضباب، هل تفهمين؟ كانت هناك أيضاً لحظة فكرت فيها أنني غبي، وأنها مشكلتي. ثم لنر... السؤال الثاني.. آه: كنت أجيب بطريقة سيئة على المدرسين، أحطم الأشياء، لكن ليس لأجذب الانتباه، أتعرفين؟ كان شيئاً لا يهمني، بالعكس، لم أكن أرغب في شيء سوى أن يتروني وحدي قليلاً، بعيداً... ولم تكن أيضاً نزوات صبي مدلل كما كان الجميع يقول... إنني كنت أفعل ذلك بالفعل بدافع الغضب؛ لأنها كانت الطريقة الوحيدة، التي أفرغ فيها واقع أنني أشعر بغبائي، شخص عاجز.

قاومت جويًا رغبتها في إيقافه وسؤاله عن أشياء أخرى، حتى إن كانت قد تراكت في داخلها بالفعل المئات منها.

- وهكذا، أخذ أبي بالتدريج يبتعد، أخذ يغيب أكثر عن المنزل، وفي غيابه، كانت أمني تستغل الفرصة لتقول لي كم الأشياء السيئة التي فعلها أيضاً لها، وكيف أن كل ما يحدث خطؤه، إذا كانا سيتركان بعضهما، وإذا لم تعد هي قادرة على الابتسام. وبعد ذلك في فترات عودته إلى المنزل، كان عذاب الصمت يبدأ، وكنت أنا ارتكب أشياء أسوأ، وأتحول مع الوقت إلى ذلك الصبي الإشكالي، حتى ذلك اليوم الذي أفهمني فيه أحدهم بطريقة حاسمة أنني

على حق، وأن أبي كان شخصاً خطيراً.

- خطير؟ قالت جويا وهي تتشبت بمفكرتها بقوة.

- أعلم، قلت لك إنها ستكون قصة لا يمكن تصديقها، لكن يجب أن تسمعيني حتى النهاية.

أومأت جويا بالإيجاب دون أن تتفوه بكلمة، إلا أنها الآن شعرت ببعض الخوف من ذلك الرجل الذي يبحث عنها منذ أسبوعين.

- كان أبي متغيباً منذ فترة، وفي يوم أخذتني أمي معها، وأجلستني في الصالون، وأعلنت لي أنها لا بد أن تخبرني أمراً مهماً. فكرت أنها على وشك أن تخبرني بالخبر الرسمي للطلاق. وحتى تلك اللحظة، كانت تقول لي رأيها فيه، ولم تفقد قط توازنها إلى هذه الدرجة... وبصراحة، شعرت بأنني مرتاح بالفعل؛ لأنني كنت أتمنى الساعة التي سينفصلان فيها، فلم أعد أحتمل ذلك الوضع، إلا أن أمي قالت لي شيئاً لم أكن أتوقعه إطلاقاً.

مرت طائرة أخرى فوقهما، إلا أنها كانت أقرب، هكذا غطى هديرها تماماً على صوت (لو).

صرخت جويا، بينما كانت الطائرة تمر فوقهما: ماذا قلت؟ لم أفهم؟

انتظر (لو) ابتعاد الطائرة بالدرجة الكافية، ثم كرر، ببطء أكثر، وبوضوح أكثر من المرة الأولى: قلت إن أمي، في ذلك اليوم، أعلنت لي أن أبي لم يكن هو أبي الحقيقي.

- كان يداخلني شك في هذا الأمر؛ أي، في الحقيقة، لا يوجد في العالم شخص أكثر اختلافاً عني من أبي؛ فنحن لا نتشابه في أي شيء. لم يكن الأمر يتعلق فقط بتشابه الملامح، لكن بكل شيء آخر. لم أتمكن من تخيل نقيضين أكثر مني أنا وهو.

نظرت إليه جويا في أسى واندھاش في الوقت نفسه، وفمها نصف مفتوح.

- ماذا حدث؟ لماذا تنظرين إليّ هكذا؟
- هيا، هيا أكمل! ثم ماذا؟ ماذا يعني أنه ليس أباك؟ ومن
كان أبوك؟

ابتسم (لو)، وأمسك بحجر في يده، وألقى به بعيداً:
- كانت أُمي على وشك أن تقول لي، ثم بينما نتحدث عاد هو.
عاد وبدأ في الشجار والصراخ... أرسلاني إلى حجرتي، وكنت أنا من
فوق أسمع صراخهما وأرفع من صوت الموسيقى، إلا أنني كنت
أشعر بالسعادة في داخلي؛ لأن... أتفهمين؟ لأنني لم أكن ابنه، شيء
غريب، كان لا بد أن أشعر بالحزن والإحباط، إلا أنني كنت أكثر
إنسان يشعر بالسعادة على وجه الأرض؛ لأن لديّ الدليل على أنني
لا شأن لي به!

- ثم ماذا؟ ماذا حدث؟ هل عرفت عندئذٍ مَنْ أبوك الحقيقي؟
- عندما انتهيا من الشجار، ساد الصمت من جديد، لكن هذه
المرة كان أكثر ثقلًا. كنت أفكر أنه الآن فهم أنني عرفت، وأنه
سيمنعها من أن تقول لي من هو أبي الحقيقي، وهكذا، عندما أوجد
معها، كان هو أيضاً يوجد بالقرب منا، وكنت أرى أنها تريد أن تنتهي
من حكاية كل شيء، لكنها لا تستطيع، وهكذا كانت تتظاهر، وتحدث
معي عن تفاهات، وكنت أنا أريد فقط أن أعرف ما هذه القصة و...
بدأت كلمات (لو) ترتبك، وصوته ينخفض، كأنها تنحسر في
حجرتها. قُربت جويًا يدها من يده ببطء، غير واثقة إذا كان
يمكنها هذا أم لا، لكنها في النهاية أمسكت بها، وضغطت عليها،
غير عابثة برد فعله السيئ، فسألها هو: هل تصدقيني يا جويًا؟
لم تفكر جويًا لنصف ثانية وأجابت: أجل.

- وهكذا في صباح اليوم التالي، أتذكر جيداً لأنني كنت قد بلغت
الخامسة عشرة، وبدأت تظهر بعض الشعيرات في وجهي، وكنت

أريد أن أحلق مثل الكبار، وأن أستخدم معجون الحلاقة والشفرة، وكل شيء. بدأت المياه الساخنة تتدفق، وبدأ معها بالتدريج البخار يغطي المرأة، ورأيت بعض الحروف تظهر، وكانت هذه الحروف تشكل كلمة...

- كلمة؟

- لوكا. كانت الحروف تشكل معاً كلمة لوكا.

- لكن لوكا... لوكا هو اسمك، أليس كذلك؟ سألته جويًا.

- أجل لوكا هو اسمي يا (شيء). هل تريد أن تشعريني بالضيق أكثر لأنني أعطيتك اسماً مختلفاً؟

- لا، إنني...

- على كل حال، قرأت (لوكا) على المرأة، وفهمت على الفور من كان، وشعرت بأن أمي اضطرت إلى أن تفعل ذلك؛ لأنها لم تكن ترغب في أن يعرف أبي أنها قالت لي... وهكذا قررت أن أمسح المكتوب، وأن أكتب أنا شيئاً على المرأة، هذه المرة، لأفهم ماذا، بحق السماء، تريد أن تقول لي.

- وماذا كتبت؟

- علامة استفهام. فقط علامة استفهام. وفي اليوم التالي، ظهر من جديد اسمي، لكن هذه المرة تسبقه كلمات أخرى.

- ماذا؟ أي كلمات؟

- «كان يُدعى». على المرأة في اليوم التالي كُتب: «كان يُدعى لوكا».

في الأيام التالية، كنا أنا وأمي نتصرف بشكل طبيعي جداً أمامه، ونتحدث عن الأشياء العادية والمدرسة، لكن في الوقت نفسه، كنا بدأنا نتحدث بصوت خفيض، في حجرتي أو في أي مكان آخر. كنت أنا أطرح عليها الأسئلة وهي تجيبني. وحكت لي كل شيء. قالت

لي إن أبي الحقيقي كان فتاها قبل أن تتزوج، وإنه مات في حادث، ثم تعرفت إليه هو، ذلك الذي يعتقد الجميع أنه أبي، وأنه وافق على الزواج بها على الرغم من معرفته أنها حبلى من آخر.

- وأنت؟ بماذا شعرت، بعد أن اكتشفت كل تلك الأشياء؟

- لا أعرف فعلاً بما كنت أشعر... بالتأكيد شعرت بالألم، لكن في الوقت نفسه... أتعرفين؟ واقع أنني كنت أشعر دائماً بأنني لا أعجب أبي، وفكرة شعوري بأنني مختلف كثيراً عنه... أصبح كل شيء له معنى، هل تفهمين؟

أومأت جويًا بالإيجاب برأسها، ولوهلة قمنت لو استطاعت أن تعود بالزمن، وأن تكون معه هناك، وأن تكون عرفته وقتها، في تلك الفترة؛ لتتمكن من مساعدته؛ لتفعل شيئاً ما، حتى إن كانت تعرف حق المعرفة أنه في تلك الأمور ليس أمام المرء كثير يمكن عمله.

- المشكلة كانت أنني لم أكن حتى أستطيع أن أتخيل إلى أي مدى يمكن لهذا الرجل أن يكون مجرمًا... على الرغم من إدراكي لذلك، لكنني لم أكن أعرف، إلى أي مدى، لكن سرعان ما اكتشفت هذا و... انتظري!

- أنتظر ماذا؟

- لا بد في البداية أن أطرح عليك سؤالاً مهماً. قال لها هذا وأمسك بيدها.

- كل الأسئلة التي تريدها.

- لا، هو سؤال واحد فقط. هل تصدقينني حتى الآن؟

في الواقع، على الرغم من أن ذلك، الذي يحكيه لها (لو)، بعيد تمام البعد عن الواقع، ربما يميل أكثر إلى كونه شيئاً من الخيال العلمي، فإنه يحكيه بشكل واثق ومليء بالتفاصيل، فلم تستطع

جويًا ألا تصدقه؛ فهو لم تكن لديه لحظة تردد، دقيق ومنتقد الذهن وهو يتكلم، على الرغم من أن ما يصفه لها يشبه بطريقة أو بأخرى فيلماً.

- أجل، بالتأكيد، أص...

- لا؛ لأنه إذا كان ذلك الذي قتلته لك حتى الآن يبدو لك غريباً بعض الشيء، أؤكد لك أن ما أنا على وشك أن أقوله أكثر غرابة.
- أنا مستعدة.

- كانت أُمِّي منذ بضعة أيام غريبة الأطوار... أغرب من المعتاد، أقصد. وكان لا يزال لديّ عدد من الأسئلة، التي أرغب في طرحها عليها، وكنت أنتظر بتوتر كل لحظة يمكنني فيها أن أوجد بمفردي معها، إلا أنه كان يبدو أنه لا توجد أي فرصة. وهكذا، بعد فترة، لم تكن تقول لي فيها شيئاً، قررت أن أستخدم مرة أخرى المرأة، وكتبت لها: «ماذا إذن؟»، تماماً مثل المرات الأولى، وفي اليوم التالي، بعد أن تصاعد البخار، وجدت شيئاً لم أكن لأتوقعه حتى من خلال أفكاري الأكثر جنوناً. كان مكتوباً أنه...

تجمد لوكا، وبدأ يرتعش من الخوف؛ خوف حقيقي، وفي الوقت نفسه من الغضب، ويضغط على أسنانه، ولم تكن لدى جويًا الشجاعة لتقول أي شيء، لم يكن أمامها سوى انتظار أن ينتهي من عبارته.

ثم بعد فترة ليست بقصيرة، عاد (لو) ليكمل بمفرده: كان مكتوباً أنه يريد أن يؤذيني.

- وهنا كان رد فعلي شيئاً بالفعل، أسوأ رد فعل حتى تلك اللحظة، أمسكت بحاملة الصابون المصنوعة من السيراميك الموضوعة بجوار الحوض، وقذفتها على المرأة وحطمتها تماماً، هي والعبارة المقززة المكتوبة فوقها: «يريد أن يؤذيك»، دمرتها تماماً،

وسقط كثير من شظاياها فوقى، وأنا في أثناء محاولتي نزعها جرحت نفسي، ووصلت سيارة الإسعاف. هل تفهمين؟ الإسعاف في منزلي، وأنا كنت وقتها فقدت القدرة على السيطرة وأخذت أصرخ بأشياء كثيرة، ولا أعرف حتى ما الذي قلته في تلك اللحظات، أعرف فقط أنه منذ تلك اللحظة ازدادت الأمور قسوة؛ لأن الجميع كان يفكر في أنني مجنون، وأنني كنت أقول إن أبي خطير، وإنه يريد أن يؤذيني، ولم يكن أحد يصدقني، وهو شيء بشع عندما تعرفين أنك الوحيدة التي تعرفين الحقيقة ولا أحد يصدقك.

لم تكن جويًا بحاجة إلى أن تقول أي شيء، نظرت إليه فقط لتفهمه أنها تعرف بالتحديد عما يتحدث.

- أليست لديك كلمة عجيبة من كلماتك لهذا الأمر؟

- كلمة لنقول ماذا؟

- لهذا الأمر، إنك الوحيد الذي تعرف الحقيقة ولا أحد يصدقك.

- كلمة لا، لكن كانت هناك تلك الشخصية في هوميروس، لا

أعرف إذا كنت درستها في المدرسة، كاساندرًا.

- لا، ومن هي؟

- كانت عرافة، إلا أنهم لعنوها؛ لهذا كان محكومًا عليها أن

تتنبأ بالحقيقة وألا يصدقها أحد إطلاقاً.

- بالضبط، تمامًا مثلي.

- لكن لماذا، هل حدث هذا بالفعل؟ هل حاول بالفعل أن

يؤذيك؟

تتفس (لو) نفساً عميقاً، ثم أجاب، ليس بصوته، لكن بعينه

ورأسه، وقال «أجل».

- إذا كنت قد أفلحت في العثور عليّ؛ فهذا بالتأكيد لأنك

استعلمت عن بعض الأشياء، أليس كذلك؟ وإذا كنت قد استعلمت؛

فأنتِ بالتأكيد قد قرأتِ على صفحات الجرائد أنني قبل أن أختفي
ببضعة أشهر كنت قد حاولت... أن أنهي حياتي، أم لا؟
- أجل، في الواقع قرأت هذا.

- قبلها منذ فترة طويلة كان يراودني الحلم نفسه في كل ليلة...
هو يتبعني في المنزل في الليل، كان يلاحقني وأنا أهرب منه، فقط
في الحلم لم أكن أستطيع مطلقاً أن أخرج من المنزل... كنت أصل
إلى الشرفة التي لدينا في الطابق الأول، وأحاول أن أفتح بابها، لكن
لا أنجح، وهو يلحق بي، ثم كنت أستيقظ دائماً. كنت أعتقد
أنها كوابيس طبيعية جداً، أتعرفين... بشعة، لكنها ليست سوى
كوابيس، إلا أنه في ذلك اليوم...
من جديد، تحشر الصوت في حنجرتي.

مكثت جويًا هناك، بفم نصف مفتوح وحلق جاف.
- في ذلك اليوم، كنا بمفردنا في المنزل أنا وهو، بعد الظهيرة،
وبدأ هو يتحدث معي، بعد قرن تقريباً، بدأ يقول لي أشياء عن
أمي؛ أشياء غير مستحبة، وهكذا تصرفت بطريقة سيئة، وقلت له
أن يخرس، وربما أيضاً ارتفع صوتي بعض الشيء؛ وهو الأمر الذي
دفعه إلى أن يصفعني صفعة قوية جداً، وسقطت أرضاً... نظرت
إليه في عيني، وكان وجهه غاضباً وكان يشبه، يشبه تماماً، في كل
شيء، ذلك الذي في الحلم... وعلى الرغم من الصفعة، وأنني كنت
على الأرض، إلا أنه استمر في أن يقول لي كل شيء، وكان واضحاً جداً
أنه خرج عن صوابه، وهكذا نهضت وحاولت الابتعاد لأذهب إلى
غرفتي، إلا أنه جاء خلفي، وأخذ يصرخ: «تعال هنا»، وأخذت أنا
أجري مبتعداً.

- لكن... على صفحات الجرائد كان مكتوباً أنك...
- أعرف ما كان مكتوباً، أنني حاولت بالفعل الانتحار، لكن

في الواقع سار الأمر بطريقة مختلفة؛ فما حدث أنه تبعني إلى أعلى، وعندئذٍ مثلما حدث في الحلم، أخذت أجري وذهبت نحو الشرفة، لا أعرف لماذا فعلت ذلك... في الحلم لم يكن الباب اللعين يُفتح على الإطلاق، إلا أنني ذهبت إلى هناك، لكن في هذه المرة فُتح الباب، وخرجت، وأتى هو خلفي، وعندئذٍ استدرت... ثم لا أتذكر أي شيء، سوى أنني استيقظت في المستشفى، في الليل، وكنت في مكسورة ورأسي مضمّد.

وكانت جويًا لا تزال هناك، بفمها نصف المفتوح، ولم تستطع سوى أن تقول: لكن، إذن...

- إذن كان هو. كان هو من أسقطني إلى أسفل. ربما لم يفعل ذلك قصدًا، لا أعرف، لكنه كان هو، يا جويًا، لم أكن أنا! فقط خرج هو منها بسهولة نظرًا إلى كل المشاكل التي ارتكبتها قبلها، واستطاع أن يقنع الجميع أنني أليت نفسي.

الآن، لم تعد جويًا تعرف ماذا يمكنها أن تقول. الشيء الوحيد الذي أرادت ربما أن تعترف به، أجل، في العالم يوجد أحد له أب أسوأ بعض الشيء من أبيها؛ فأبوها لم يفعل شيئًا سوى أنه صفعها بعض المرات، وأصابها بجرح أسفل أذنها، لكنه لم يحاول قط أن يقتلها ويحول كل شيء إلى محاولة انتحار.

- هل فهمت الآن لماذا كنت أتصرف بطريقة سيئة جدًا عندما كنا نقرب من هذا الموضوع؟

23

مر الوقت دون أن يدركا ذلك. بدأت سحب صغيرة على استحياء في التجوال في السماء، بين أشعة القمر الذي يظهر بالكاد فوق الجبال.

كان لدى جوياء على الأقل مليون سؤال لتسأله له، لكن اقتربت الساعة من الحادية عشرة، وتعرف أنه لم يعد هناك متسع من الوقت.

كانت تريد أن تسأله، بالأخص، ماذا يدور في ذهنه، الآن، وإذا كان يفكر في أنه سيستطيع المكوث مختبئاً لدى الممسّن لوقت أطول، أو إذا كانت لديه أي فكرة أخرى، ثم كانت تريد أن تعرف منه عنه؛ عن الممسّن، ولماذا هو بالتحديد، ثم تريد أن تسأله ماذا عليها هي أن تفعل، كيف يجب عليها أن تتحرك، أيضاً لأنه منذ أسبوعين وأبوه - أو ذلك الشخص الذي يعتقد الجميع أنه أبوه - يبحث عنها؛ لأنها أخطأت وذهبت إلى منزله وقالت لأمه عن الكنزة. كل هذه الأشياء كانت تريد أن تسأله عنها، إلا أن ما حدث هو أنها أسندت رأسها إلى كتفه، ومكثت هناك، دون أن تقول أي شيء.

قال لها: أتمنى جداً أن تصدقيني.

قالت هي: أصدقك بالتأكيد.

بالتأكيد تصدقه. لقد رأت نظرة أبيه، ولم تعجبها على الفور، وتعرف جيداً جداً كيف يمكن أن يكون أبواه، وأن الكراهية، أحياناً، يمكنها أن تولد بأكثر الطرق المختلفة، وأنه تكفي بضع ثوانٍ لتعمي بما يكفي ليفعل المرء أشياء لم يكن أحد يتوقعها قط.

سألته: والآن، ماذا ستفعل؟

- الآن في الحقيقة أريد أن أفعل شيئاً واحداً فقط.

- وما هو؟

أمسك (لو) بوجهها بين يديه، واقترب منها، ومنحها قبلة طويلة جداً، قبلة جعلت جوياء تنسى أنها ليس لديها متسع من الوقت، ثم ابتعد وقال لها: أريد أن آتي لأنام معكِ.

24

- أتعرفين، في تلك الأسابيع، كنت أفكر كل يوم في الشيء نفسه.
- ماذا يا (لو)؟
- شيء غبي، أعرف، لكن كان سؤالاً أود أن أطرحه عليك في اليوم الأخير الذي تقابلنا فيه، ولم أفعل، وهكذا كان يعود دائماً إلى ذهني.
- ماذا؟
- تلك الكلمات التي تكتبينها في مفكرتك.
- أجل، قل لي.
- ما الكلمة المفضلة من بينها كلها؟
- هل تدرك أن هذا كأنك تسألني ما أغنيتك المفضلة لبيّنك فلويد، حقاً؟ توجد خمسون واحدة تقريباً هي المفضلة بالنسبة إليّ، كيف يمكنني الاختيار؟
- حسناً، لكن ستكون هناك واحدة هي الأقرب إلى قلبك.
- لم أفكر في هذا من قبل، فعلاً.
- ربما يمكنك أن تفكري الآن؟
- Magari⁽²⁹⁾.
- هل هذه هي الكلمة؟ لماذا؟
- إنها من الكلمات الإيطالية القليلة، التي يصعب ترجمتها في لغات أخرى.
- فعلاً؟
- أجل، بالفعل، أو على الأقل وفق معلوماتي.
- ولماذا تعجبك إلى هذا الحد؟

(29) نترجمها أحياناً إلى: يا ليت أو ربما (وفق السياق).

- ربما لأنني قرأت أنها في الحقيقة، في البداية، كانت تعني باليونانية «فرحاً»، أو ربما لأنك بستة حروف فقط يمكنك أن تقول: «فقط إذا كان هذا الشيء حقيقياً».

- وهل هذا يعجبك؟

- يعجبني جداً؛ لأنه في كل مرة أستخدمها تخلق لي عالماً غير موجود، لكن ليته كان موجوداً.

- يا ليت.

- أجل، يا ليت.

25

إلى الخنازير الطائرة...

جويا سبادا، في الليلة، التي تنام فيها للمرة الأولى مع صبي، تفكر في لحظة ما في «الخنازير الطائرة». وفكرت فيها أيضاً؛ لأنها عندما كانا هناك، هو يتسلق الشجرة أمام بنايتهم، وبعد أن فتحت له النافذة وأدخلته، وبعد أن كتما ضحكاتهما، بينما تصل إليهما من أسفل أصوات طلقات الرصاص من فيلم يدور بأعلى صوت، وأبواها بالفعل غائبان عن الوعي فوق الأريكة، وبعد ذلك، مع انعكاس ضوء مصابيح الشارع على وجهيهما الغارقين في العرق والمضطربين، وقبلاتهما المتسارعة، وملابسهما الملقاة على الأرض، وبعد أن اقترب أحدهما من الآخر، شعرت هي بأن وجوده ملتصقاً بها هو مكانه، خطرت في بالها تلك الأغنية.

ربما قليلون يعرفون، لكن كتبت فرقة بينك فلويد، مرة، أغنية حب .

أجل، هذه الفرقة التي تتميز بأغنياتها ذات الخمس عشرة دقيقة، والكلمات المثقفة للغاية والمجازات المتشابكة. أجل هم،

كتبوا أغنية حب رائعة الجمال.
كان اسمها Pigs on the Wing، عنوانها أيضاً يتحدث عن
الخنازير الطائرة، وتقول شيئاً بديعاً بالفعل:
إذا لم يكن يهملك أمري،
وإذا لم تكن تهمني،
لكننا ضعنا، بعيداً، نسير في خطوط متعرجة،
بين الملل والألم،
ربما نتلاقى، أحياناً تحت الأمطار،
ونحن نسأل أنفسنا على من، بين الأغبياء، نلقي بالملامة.
بينما نحاول أن نحتمي من الخنازير الطائرة.
للأغاني القدرة، أحياناً، على أن تطلعنا على من نحن، ماذا
نفعل، وماذا نريد، وأن تطلعنا عليه بالكلمات الدقيقة؛ تلك التي
طالما تمينا لو استخدمناها نحن، وتقوم بذلك بطريقة بارعة، إلى
حد أن المرء يظن أحياناً أن المغني لم يكتبها، لكن قام هو بذلك،
وأن الكلمات كلماته هو. أجمل الأغنيات، حتى إن كنا نعرف أن
هذا مستحيل، تبدو دائماً مثل النقل الحرفي، وأغنية الخنازير
الطائرة هي أكثر عملية نقل حرفي؛ لأنها في سبعة أبيات، تحكي
قصتهما، وتعبّر بكل دقة، تكاد تكون دق جراح محترف جراحية،
عما تشعر به جوياء في تلك اللحظة - على الرغم من أن روجر
ووترز كتبها العام 1976 لزوجته الجديدة ليدي كارولين كريستي -
فإن ذلك الإحساس، الذي يشعر به الشخص عندما يجد أنه كان
يكفي، قليل جداً ليتغير كل شيء، أنهما إذا لم يكونا قد التقيا، في
ذلك المساء، تماماً بتلك الطريقة؛ لكانا لا يزالان يشردان في طرق
متعرجة، متأرجحين بين الملل والأمل، وربما كانا سيلتقيان أيضاً، من
حين إلى آخر، دون أن يعرفا أنهما اللذان تلامسا، بصعوبة، في تلك

الأمطار، سيقضيان حياتيهما كلها يسألان ذنب من يا تُرى، وعلى من يمكنهما إلقاء اللوم من بين الأوغاد، على أبييهما، أم المدرسين، على سوء الحظ، أم على الجميع، وسيقضيان ما تبقى من حياتيهما وأعينهما تنظر إلى أسفل، تائهين في التفاهات، ويحترسان من الخنازير التي تطير.

لأن هناك في الخارج - تعرف جويا هذا وتراه كل يوم - العالم مليء بأناس لا يفعلون شيئاً سوى النظر إلى الخنازير الطائرة. ويفعل قليلون جداً هذا بنوايا حسنة، وربما يكون شخصاً واحداً فقط، نظراً إلى أنه لا يستطيع النوم.

مثل حالها هي، الآن.

لا تستطيع جويا النوم، حتى شروق الشمس.

قضايا بقية ليلتهما وهما يضحكان بصوت منخفض، وأصابع أيديهما متشابكة في مقابل الضوء. حكايات (لو)، وكيف استطاعت جويا العثور عليه، قصة الكنزة وما إلى ذلك، وما تكتبه على يدها ويبهت رويداً رويداً. تحدثا أيضاً عن جوائز المسابقة، التي سيعلن عنها في الغد، وعن بوفه، والحجارة، والشعور بخوف غريب - ليس جديداً، لكنه كان كافياً لكي يبدو لها كأنها المرة الأولى - ألا تعجبه، ألا تطلعه على جسدها، لكن في الوقت نفسه الرغبة في أن تفعل ذلك - الخوف والرغبة معاً Frisson - وكانت بقية الليل مثل قضائهما مع كتب جميلة بالفعل، عندما تكتشف أنها تعجبها جداً؛ فتبدأ جويا في قراءتها بإيقاع أبطأ، وتتمنى في الوقت نفسه ألا ينقضي الليل وألا يطلع النهار.

قال لها: ألا يطلع أبداً.

- ماذا؟ سألته، وهي على وشك أن تنام.

- سيكون جميلاً ألا يطلع النهار أبداً.

أغمضا أعينهما، وهي تضع وجنتها على صدره، تماماً في اللحظة التي بدأت أنوار الصباح الأولى تتسلل من النافذة. وبعدها بساعتين، عندما استيقظت جويًا، لم يكن (لو) موجوداً، بحثت بلا جدوى، على الوسادة، على المكتب، على رسالة ما، وشعرت بعض الشيء بالألم عندما رأت أنه لم يترك لها أي شيء، حتى وصلت إلى الحمام لتغتسل، واقتربت من المرأة فوق الحوض، وبالبخار الذي غطاه اكتشفت أن كل شيء يظهر كأنه مكتوب بفعل السحر:

كانت ليلة جميلة تغلفها الرقة.
ملحوظة: لتسحقهم جميعاً اليوم!

26

- من المؤكد أن الموضوع صعب.
- ماذا يا حلوة؟
- أن تصدقي كل هذا، اللعنة، كم هو صعب.
- إيه، بالفعل.
- لكن تلك الأشياء لا تحدث في الواقع يا تونيا. تحدث في الأفلام، لكن ليس في الواقع.
- ماذا تقصدين، دفعه من الشرفة؟
- لا.
- ادعاه الموت؟
- لا.
- الأب؟
- لا.

- ماذا إذن؟

- أن تتقابل مع شخص يجعلك تختبرين كل هذه المشاعر.

27

- لكن، إذن، احكي لي كيف انتهى الأمر لدى المُسن؟

- أجل، لكن يجب ألا تقولي أي شيء لأي أحد على الإطلاق!

- لقد قلت لك بالفعل، لن أفتح فمي!

كانت جوفانا ترفع المقاعد من فوق الموائد، ولا تزال ستائر الحانة مُسدلة. خرجت جويًا من المنزل، هذا الصباح، أبكر من المعتاد، ولم تنم سوى ساعتين؛ لتفطر، لكن بالأخص؛ لأنها عندما صافحتها بالأمس، هددتها جوفانا بالقتل إذا لم تحضر على الفور لتخبرها على الأقل بشيء ما.

- لكن قلت لي أنتِ إنه قد فقد ابناً شاباً. وفي الفترة الأخيرة، قبل أن يختفي (لو)، كانا قد أصبحا صديقين مقربين؛ أي، كان (لو) يقضي الساعات الطويلة هنا في البار، وأيضاً في منزل المُسن. كانا يلعبان بالأسهم معاً، وكان يبوح له بما يضايقه، والمُسن بدوره كان سعيداً لأنه يبدو له... أنتِ تعرفين.

- فهمت، يبدو له أنه بصحبة ابنه، لكن كيف عرض عليه أن يستضيفه؟ ألم تكن هذه مجازفة كبيرة منه؟

- في البداية أجل، لكن تعرفين أن (لو) أصبح في سن الرشد على الفور، والأشياء تغيرت. لم يعودوا يبحثون عنه. وكان المُسن، في الواقع، هو من عرض عليه الأمر.

- لا يمكن!

قالت جوفانا وهي تنظف منضدة المشرب.

- أجل؛ لأنه عندما عاد (لو) من المستشفى عقب مسألة القفز

من النافذة، كان خائفاً من أن يحدث هذا مرة أخرى، وأن يحاول أبوه أن يؤذيه. عندئذٍ قال له بريداً: بمجرد أن تكمل أعوامك الثمانية عشر، سأستضيفك بكل سرور.

نظرت جوفانا إلى جويّا بتعجب، متشككة: أجل، لكن (لو) اختلق موضوع البحيرة هذا قبل أن يكمل أعوامه الثمانية عشر. - لم يكن بوسعها التحمل أكثر. كان يشعر بالخوف منه؛ الخوف الشديد، وكانت فكرته أن يتسبب في الذعر للجميع، ولأبيه أيضاً، وأن يتعد عن المنزل لبضعة أيام ويعود. أجل، اعترف هو أيضاً بأنه تصرف خسيس، لكنه قال إنها بدت له، في تلك اللحظة، الوسيلة الوحيدة ليخرج من هذا الموقف.

علقت جوفانا وهي ترفع الستائر: وسيلة وحيدة ملعونة.

- ربما يمكن أيضاً أن تكون مفهومة... أن يكون للمرء أب يرغب في قتله، إلا أن الأيام بدأت تمر ولم يستطع أن يعود، وفضّل أن يمكث مختبئاً، ويخرج فقط مرة في الأسبوع، مساءً؛ ليلعب بالأسهم، أو ليذهب بعض المرات ليلاً إلى الكنيسة الصغيرة؛ حيث لا يمكن لأحد أن يراه، وكان مستريحاً هكذا، وبالنسبة إلى المُسن أيضاً... ثم...

- ثم؟

- ثم قابلني.

- أوكي، أوكي، لنقل إن الموضوع في مجمله غريب بعض الشيء؛ بل غريب جداً، لكن يمكن أن يمر، وهناك شيء واحد غير مقنع بالمرة.

- ما هو؟

- إنه قال لك، لأكثر من شهر، كذبة أنه لا يمكنه الخروج في الصباح، وكنتما تتقابلان فقط في المساء هنا في الخارج، حسناً؟ - أجل.

- كيف إذن خطر في باله، في تلك الظهيرة، أن يخرج معكِ إلى المتنزه، ثم أيضاً أن يسير في وسط المدينة؟ أي إنه خاطر بكثير فعلاً!

- لا أدري إذا كان يحاول التملق أم ماذا، لكنه أعطاني تفسيراً أيضاً لهذا.

- آه، فهمت.

- فهمت ماذا؟

- قال لك إنه فعل ذلك من أجلك أنتِ. قالت جوفانا وهي تقلد نبرة صوت (أمير الأحلام) في الأفلام الرومانسية.

- لا، ليس بالتحديد. كان أمراً أكثر استفاضة، متملق من الطراز الأول.

- أي؟

- قال لي إنه قد فعل ذلك «حتى لا يفقدني». أجابت جويا، وهي تقلد بدورها أمير الأحلام. ضحكتا، ثم نهضت جويا لتذهب إلى المدرسة. وفي أثناء خروجها من الباب، نادى عليها جوفانا، وقالت لها: احترسي، إذا ظهر ذلك؟

- ذلك من؟

- الأب. أما زال يبحث عنكِ من أجل قصة الكنزة؟

28

لم تفز جويا سبادا بشيء قط من قبل.

في الألعاب الرياضية المتوسطة فاشلة تماماً. تفلح فقط في تلك التي لا يوجد فيها كثير من التشنت، والتي تكون من العوامل الكارثية لمن يعاني، مثلها، من تزايد في النشاط التخيلي؛ لذلك، ونظراً إلى أن الرياضات كلها تتطلب كثيراً من التركيز وعدم

التشتت؛ فالشيء الوحيد الذي تستطيعه بعض الشيء هو الجري، إلا أنها، حتى في الجري، العيب الوحيد أنها لا تحبه. عندما تكون في مسابقة ما، حتى إن كان فقط مجرد اختبار في صالة الألعاب الرياضية في الساعة المخصصة للرياضة، ترى أن هناك فتيات خلفها، ويضايقها هذا. تبدأ في التفكير كم أن هذا مؤسف لهن، وكم سيشعرن بالأسى إذا وصلن المتسابقات الأخريات، وهكذا تبطئ هي لتتركهن يعبرن أمامها.

وهكذا، في النهاية، حتى إن كانت سريعة نوعاً ما، تصل الأخيرة دائماً. وليست مصادفة، إذن، إذا كانوا نسبوا إليها اسم (مايونا جويا). عندما يخسر المرء طوال حياته، ففي اليوم الذي سيفوز فيه بشيء ما، وإن كانت الجائزة هدية أُعيد تدويرها أو أداة من أدوات المطبخ، يحدث له شيء ما، بالتأكيد، يشعر بالرضا، يشعر أيضاً بالتقدير، والاعتراف به، لكن هناك شيئاً بالفعل يتغير في الداخل؛ وذلك الذي يتغير هو (المنظور)؛ إذ يبدأ عندئذٍ في النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة، لكن ليس فقط الأشياء؛ بل ينظر إلى نفسه أيضاً بطريقة مختلفة، ويبدأ عندئذٍ في أن يقول لنفسه: إذن، أنا أيضاً يمكنني.

كانت صالة الرياضة ممتلئة ومزدحمة، يوجد فيها كل تلاميذ الثانوي في مدرسة ليوباردي مايورانا. وبين طلبة الكلاسيكي والعلمي والاجتماعي، سيكونون نحو ألف طالب، كلهم هناك من أجل توزيع جائزة مسابقة «ضع نفسك في الإطار». لم تكن جويًا تفكر أنهم بهذا العدد الكبير، في المدرسة التي وفدت منها عددهم تقريباً أقل من النصف.

قالت للأستاذ بوفه، بينما كانت جالسة في الصف الأخير بجوارها: أتعرف، لن أتضايق إذا فزت؛ أي ستكون وسيلة لأثبت

للجميع أنني أساوي شيئاً ما، أليس كذلك؟ كما أخبرتني حضرتك: سأصعد بعض الشيء إلى أعلى لكي لا يلقي بي أحدهم إلى أسفل.

كان الأستاذ بوفه، وهو يسند ذقنه إلى عصاه الخشبية، يتأمل الطلبة الذين ينخز أحدهم الآخر ويتقاذفون الورق: يمكنك لمرة أن تجري رعشة النجاح يا آنسة.

- لكن مَنْ ذا الذي يهتم بالنجاح؟ الجميع لا يهتمه سوى هذا النجاح. أنا لا أريد أن أحصل على «النجاح». قالت له، وهي تصنع إشارتي التنصيص بأصابعها.

رفع بوفه ذقنه عن عصاه، التفت نحو جويا، وابتسم: أتعرفين، هناك سوء فهم كبير فيما يتعلق بالنجاح. الجميع يعتقد أنه بفضل ذلك يحبك الجميع، ويقدرُك، ويطلب توقعك في الطريق، وأنفق معكِ أن التطلع إلى النجاح عادةً ما يرتبط بشيء تافه أو سطحي. الطلبة الذين يريدون أن يصبحوا لاعبي كرة، الطالبات اللاتي يرغبن في العمل كعارضات أزياء.

- أو صانعات محتوى يعرضن آخر الصيحات.

- ماذا؟

- لا توجد فتاة في هذه الأيام ترغب في العمل كعارضة أزياء. الغالبية، التي تتحدث عنها حضرتك، يردن أن يصبحن صانعات محتوى لآخر الصيحات.

- أوه، هذا أمر جديد عليّ! على أي حال، النجاح ليس أمراً سيئاً على الإطلاق. لا أحد يتوقف عند الكلمة، أتعرفين؟ كلمة نجاح هي بالفعل كلمة جميلة جداً.

- فعلاً، لماذا؟

- لأن النجاح ليس هو السير على البساط الأحمر، ويلتصق

بكِ الباباراتزي (مصورو المشاهير)، لكن النجاح في لغتنا⁽³⁰⁾ هو اسم فعل⁽³¹⁾، إنه فعل يقول ببساطة: لقد حدث! شيء ما قد حدث. إن هذا الشيء ممكن! إنه الدليل على أنه يمكن تحقيق أشياء، قيادة الحياة حيث تريدونها أنتِ. إن النجاح يمكن أن يكمن في تمكن المرء من زراعة بستان جميل، أو طلاء منزله باللون الذي يريده، أو استطاعته التجوال في أوروبا سيراً على الأقدام. النجاح ليس إلا إنجاز الأشياء. استعدي؛ لأنه يمكنني أن أرى بوضوح شديد أنكِ ستنجزين كثيراً من الأشياء.

- «والآن، إذا أمكن لحضورنا أن يتكرم ويلتزم بعض الصمت». صرخ مدير المدرسة سباتارو في الميكروفون، «والآن، أدعو إلى المسرح المتسابقين الثلاثة، الذين وصلوا إلى نهائي فئة التصوير!».

نهضت جويًا بالفعل، وعبرت من أمام الأستاذ لتتوجه نحو المسرح الصغير المُعد لهذه المناسبة، وعندما كانت تقريباً في نهاية صف المقاعد، شعرت بضربة عصا مرتين على قدمها اليسرى، التفتت ورأت الأستاذ يغمز لها.

- حسناً، ها هم الثلاثة هنا! كيف حالكم؟ متحمسون؟ قال لهم ناظر المدرسة ومكبر الصوت في يده. كان الفائزان الآخران ولدًا وبتناً، ومعهما جويًا، التي لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في شيء آخر، حتى في هذه المناسبة، ولم ترد عن سؤال مدير المدرسة؛ لأنها كانت تسأل نفسها كيف، على الرغم من أنهما اثنتان من الإناث وذكر، قال الأستاذ: «متحمسون»، جمع مذكر.

- آنسة سبادا، ألا تشعرين بالفرح الشديد؟ حضرتك وافدة جديدة على مدرستنا، وها أنتِ تصلين إلى نهائي مسابقتنا.

(30) (في لغتنا) إضافة من المترجمة لتوضيح التفسير التالي للكلمة، والذي يعتمد على معنى الكلمة في اللغة الإيطالية.

(31) نجاح باللغة الإيطالية successo هو اسم فعل من succedere، الذي يعني: يحدث، يتم، يتحقق.

- من؟ أنا؟ قالت جويوا كأنها استيقظت فقط في تلك اللحظة.
ضحك الأولاد الجالسون إلى مقاعدهم، لكن هذه المرة لم تكن ضحكة سخرية مثل تلك التي اعتادتها... بدت تقريباً ضحكة استمتاع حقيقية. شيء عجيب كيف يتغير المنظور عندما يكون المرء في جهة الفائزين.
- حسناً، إذن الآن نقرب من الإعلان عن الفائز الأول في تلك الفئة. قال المدير، وهو يشير إلى أحد المدرسين الجالسين على المسرح أن يتقدم، «ولهذا سأستدعي بجواري أستاذ مادة الفنون، أستاذنا العظيم فلوريان»!
صحب تصفيق متواضع نهوض المدرس، بينما دعا المدير بإشارة مَنْ وصلوا إلى النهائي ليتقدموا خطوتين إلى الأمام. وهنا، وعندما تقدمت خطوتين إلى الأمام، رآته... ففي نهاية الصالة، وبالقرب من مخرج الطوارئ، رآته هو.
والد (لو)، يقف هناك، عاقداً ذراعيه.

29

- أترون يا أولاد، التصوير فن، يخطئ الجميع الاعتقاد بأنه يرتبط إلى حد كبير بالخط. كثيرون يعتقدون أنه لالتقاط صورة جميلة من الضروري التقاط اللحظة المناسبة؛ ومن ثم يمكن لجزء من الثانية أن يحدد الفارق بين صورة فنية وأخرى عادية جداً. هذا مفهوم خاطئ. ليس المصور الماهر هو المحظوظ الذي يلتقط اللحظة المناسبة، لكن المصور الماهر هو ذلك الذي يبحث، وجرب مرات عديدة حتى وصل إلى تلك اللحظة المناسبة، عندئذٍ يعرف كيف يلتقطها بلا تردد؛ ولهذا قررنا أننا لا نحتاج إلى أن نتشاور كثيراً لنمنح جائزة أفضل صورة لهذا العام.

يصل صوت أستاذ الفنون إلى أذني جويا كأنه يأتي من مسافة بعيدة، مثل ذلك الذي لحافلة الدعاية من وراء النافذة في أمسيات الصيف، إلا أن هذه المرة، كان بعد شرودها السهل لا يحتاج إلى كثير، هذه المرة المشكلة ذلك الشخص الواقف في نهاية الصالة؛ ذلك الذي ينظر إليها، بالتحديد إليها، بنظرة جادة، وحاسمة، تكاد تحمل تهديداً. كان سيتسبب لها هذا في الخوف، حتى إن لم تكن تعلم ما تعرفه هي عنه، وإذا لم تكن تعلم أيضاً أنه في هذه اللحظة يبحث عنها، من بين الجميع، يبحث عنها هي.

- حسناً. قال أستاذ الفنون، بابتسامة عريضة، يسعدني كثيراً الآن أن أعلن أن الفائز بالجائزة هو...

عادت جويا مرة أخرى إلى صوت الأستاذ؛ لتدرك فقط أنه في هذه المرة أيضاً استخدم المذكر؛ ومن ثم فقد قال ضمناً مَنْ فاز بالجائزة. وهكذا غيرت نظرتها لبعض الأمتار يساراً؛ حيث يجلس البروفيسور بوفه، ونظرت إليه نظرة معبرة جداً تعني: حسناً، لقد حاولت، ووصلت على كل حال بين الثلاثة الأوائل.

- جويا سبادا، بصورتها التي تحمل عنوان «الجنازة».

بدأ التصفيق بطيئاً في البداية، ثم بالتدريج أصبح أكثر حماساً، إعلان الأستاذ للفائز. أصبح وجه جويا أحمر إلى حد أنه كان من الصعب تمييز ما عليه من نمش، ومن الصف الأخير، نهض الأستاذ بوفه متقدماً يحييها واقفاً داعماً لها، وتصحب تحياته: أحسنت! رائع! التي جعلت جميع الطلبة يلتفتون نحوه.

سلم المدير سباتارو إلى جويا لوحة وظرفاً فيه مبلغ خمسمائة يورو لتبتاع بها آلة تصوير جديدة، وابتسمت جويا، منفعة، وهي تضغط على يدي الفائزين الآخرين، وهي تنظر راضية إلى وجوه الجمهور في الصالة.

كانت تشعر بأنها في أحسن الأحوال، حتى إنها نسيت لمدة دقيقتين أن في نهاية صالة الرياضة يوجد شخص سيأتي للبحث عنها بعد قليل.

30

كانت قد تخيلت كثيراً، منذ أن رآته للمرة الأولى هناك أمام بوابة منزل (لو)، اللحظة التي فيها سيظهر «الأب»، بل وكانت متأكدة من أنها، إن عاجلاً أم آجلاً، ستجده هناك أمام منزلها، هناك في انتظارها، لكن لم تتخيل أنه سيقف في نهاية صالة الرياضة في أثناء توزيع جوائز مسابقة «ضع نفسك في الإطار».

الآن، وهي تعلم كل ما تعلمه، هناك قليل لتقوله. كانت غبية وحمقاء ومتهورة؛ لأنها ذهبت إلى منزلهما لتحدث مع الأم وتسألها كل تلك الأسئلة. بالتأكيد، إذا لم تفعل ذلك، ربما لم تكن لترى (لو) مرة أخرى، لكن على الأقل الآن ليست لديها مشكلة أن تدرك وجود الأب، وأن تحترس مع كل كلمة ستخرج من فمها. بمجرد أن استلمت الجائزة، وشكرت المدير والأساتذة، جرت جويًا إلى الحمام لتغسل وجهها. ولحسن حظها! لم يكن توزيع الجوائز طويلاً جداً، وبعد قليل سيرن الجرس الأخير؛ لأن مقاومتها الآن أصبحت محدودة.

هنا لا بد من الهدوء والتأمل والتركيز؛ لا بد أن تفكر فيما ستقوله له عندما يظهر مرة أخرى أمامها؛ لا بد أن تبني له قصة جميلة متماسكة، وتكررها في ذهنها حتى تحفرها في ذاكرتها. لا يحب أن يكون هناك أي تلثم أو تردد في حكايتها.

قبضتان من المياه فوق وجهها، ونظرة إلى المرأة.

- إذن، أجل، لديّ الكنزة، كان (لو) قد أعطاها لي منذ عام مضى،

عندما كنت ما زلت أقيم في المدينة الأخرى. كنا قد تقابلنا مصادفة يوماً ما، عندما كنت في زيارة لبعض أقاربي، وهكذا، عندما عدت إلى هنا، لم أكن أعرف أنه قد توفي؛ ولهذا حزنت كثيراً عندما قالت لي أمه ما حدث.

تتحدث مع تونيا، حتى إن كان ذلك أمام مرآة حمام المدرسة. تُعلق تونيا، وهي تجلس بجوار الحوض، بينما تنظر إلى أظافرها: ليست جيدة بالدرجة الكافية يا حلوة.

قبضتان أخريان من المياها على وجهها.

- إذن، حقاً، لديّ كنزته. كان (لو) قد أعطاها لي العام الماضي. لا بد أن هناك سوء تفاهم حدث مع والدته؛ فأنا كنت أعرف جيداً جداً أنه لم يعد موجوداً.

- سيكتشفك هكذا. بالتأكيد، سيكتشف.

قالت لها تونيا، وهي تومئ بـ(لا) برأسها.

ألقت جويًا برأسها إلى أسفل على الحوض، وهذه المرة جعلت المياها تجري مباشرةً على وجهها، وهي تستخدم يدها. وهكذا عندما رفعت رأسها كانت عيناها مغلقتين، ورموشها تغطيها المياها، وأنفاسها متسارعة. وعندما فتحت عينيها ونظرت إلى المرأة، رأت خلفها انعكاس شخص ما.

صرخت جويًا فزعاً، والتفتت فجأة، وكادت تجلس في الحوض. هو، أبو (لو)، يقف عند مدخل الحمام.

31

قال هو، بصوت هادئ: آسف... لم أقصد أن أفزعك.

- لكن... هذا... هذا حمام الفتيات!

قالت جويًا وظهرها يلمس المرأة، وإذا كان في استطاعتها

لتخطتها إلى الجانب الآخر من الحائط.

- أنت محقة، أنا آسف، لكنني رأيتك تدخلين منذ نحو خمس دقائق... كنت أريد أن أنتظرك هنا في الخارج، ثم فكرت أنك ربما لا تشعرين بخير، فأتيت لأتأكد.

كان صوته هادئاً، يكاد يكون عذباً. ربما، فكرت جويًا، هذا هو ما يخيف فيه، واقع أنه يبدو شخصاً هادئاً ومهذباً، على الرغم من أنه في الحقيقة عكس هذا تماماً.

- أنا بخير، بخير. إذا أردت يمكنك انتظاري في الخارج!

قالت جويًا، دون أن تنزل عن حافة الحوض.

- حسنًا، أرجو أن تقبلي اعتذاري. خذي وقتك.

قال هو، وهو يخرج مستاءً.

لم يكن الوضع مثاليًا. إلى الآن لم تكن لديها فكرة واضحة في ذهنها عما ستقصه عليه، ماذا ستقول له عن تلك الكنزة، وكيف حصلت عليها، ولماذا تحدثت عنها مع زوجته، وهو الآن في الخارج في انتظارها.

إذا كان الأمر بيدها، لحبست نفسها في الحمام حتى الليل.

- الآن اهدي. همست جويًا. أعتقد أن قصة أنني كنت أعرف

جيداً أن (لو) مات، وحدث سوء تفاهم بيني وبين أمه، قصة جيدة جداً. لكن الكنزة؟ متى أعطاهما لي؟ ولماذا؟

- قولي له الحقيقة وكفى. قالت تونيا وهي تهز كتفيها.

- لا أستطيع. لقد وعدت (لو). أنا لا أحنث بوعودي!

نظرت جويًا إلى الساعة. بقيت دقيقة على الجرس الأخير، وعلى

نهاية اليوم الدراسي.

- لكن بالتأكيد! لقد أهدها هو لي، (لو)، في أحد الأيام التي

لا أتذكر متى كانت. وضعتها في الخزانة، وفقط منذ بضعة أيام

تذكرت أنها معي، وفكرت... وفكرت أنها ربما ستسعد زوجته باستعادتها!

- اذهبي يا حلوة، ها هو بانتظارك! يمكنك ذلك.
حشها تونيا، لكن بتلك النبرة في صوتها التي تعني في الحقيقة:
لن تنجحي أبداً في هذا.

جففت جويًا وجهها وخرجت من الحمام، وكان هو هناك جالساً على مقعد وينظر إلى هاتفه النقال. وشعرت فجأة بفزع أكثر عندما رفع نظرتيه وابتسم لها، بكل هدوء، على عكس تماماً ما يجب أن يكون عليه داخلياً.

نهض، وتقدم نحوها، وفي هذه اللحظة، رن الجرس. وعلى الأقل خرج نحو ألف طالب مسرعين من صالة الرياضة: أحاطت بهما موجة فجائية، ومن بينها كانت تسمع عبارات، مثل: أحسنت يا سبادا، صورة جميلة وعظيمة. موجة مبرورها كانت تدفعها هي، لكن حريصة على ألا تلمسه هو، بينما يقف، على بُعد بضعة خطوات من جويًا، ويحدق في عينيها.

32

- ماذا كنت ترغب في أن تقوله لي؟
فرغت الردهة، تاركَةً إياهما وحدهما، تقريباً.
- حسناً، قبل كل شيء، كانت لدي بعض الأسئلة لأطرحها عليك.
أتعرفين، بدا لنا غريباً بعض الشيء أنك...
- لكن لا بد أن أعود إلى المنزل. حضرتك تعرف، ينتظرنني أبواي.
قاطعته جويًا.

- إذا أردتِ يمكنني أن أصحبكِ بالسيارة، وهكذا تصلين أيضاً بسرعة. قال هو، بطريقة مهذبة إلى درجة تثير الغثيان.

- لا، لا داعي لهذا، سأذهب بمفردي. حاولت جويًا أن تتملص، حتى إذا عرفت أنها لن تنجح في هذا.

وبالفعل، هيا، لا داعي للمجاملات، لا يوجد أي إزعاج لي، ثم إن والدتك تكاد تكون صديقة الآن، مع كل المرات التي فيها تحدثت معها على الهاتف.

في النهاية، لم يتبقَّ لجويا سوى أن تقول: لا بأس. وتذهب إلى فصلها لتحضر كتبها وحقيبتها.

خرجًا إلى موقف السيارات. كانت الشمس قوية جدًا، وتسبب الضوء القوي في أن أغلقت عينيها. لم يقلوا أي شيء حتى ركبوا السيارة.

وبمجرد أن دخلها، أغلق هو زر الغلق المركزي.
وبدأ، بعد أن أدار المحرك وتحرك: إذن... جويًا، أليس كذلك؟
- أجل.

- إنه اسم جميل، أتعرفين؟ لن تصدقيني، لكن إذا كنا قد رزقنا بفتاة لكنت أطلق عليها هذا الاسم.

- إذا كنا؟ سألت جويًا، شاعرةً بالندم على الفور. وسمعت تونيا الجالسة في الخلف وهي تنعتها بالحمقاء بسبب ذلك السؤال، فلقد قالت له بالفعل إنها تعرف أن لوكا ليس ابنه، إلا أنه التفت، نظر إليها لثانيتين، لكنه بعد ذلك استمر في الحديث بصوت هادئ. ربما أفلتت من هذا، ربما لم يفهم.

- أجل، أقصد بدلاً من لوكا.

- آه، فهمت.

- لستِ سوى غبية، كان الأفضل أن تقولي له: «اسمع، أنا أعرف أن (لو) ليس ابنك».

همست لها تونيا في أذنها.

كان والد (لو) يقود بثقة، لكن كان يسير ببطء غريب، أقل بكثير من الحدود الموضوعة للسرعة، تقريباً كأنه يريد أن يُطيل هذه الرحلة بالسيارة قدر استطاعته، ثم استكمل: كان لوكا ولداً ماهراً، بالفعل، لم يفهمه سوى قليلين. فعل أشياء كثيرة غير حسنة، لكنه فعلها لأنه كان متألمًا، وهذه هي الحقيقة.

- كان؟

سألته جوياء، مندهشة. هذه المرة كان السؤال شرعياً.
- ربما تظنين أنني مجنون، لكنني منذ فترة وأنا أتحدث عنه دائماً في الماضي، ليس لأنني متأكد من موته... لا أعلم كيف أشرح لك هذا، من جهة أفعل ذلك؛ لأنني أعلم أن هناك احتمالات قليلة جداً أن يكون على قيد الحياة؛ ولذلك أريد أن... أعتاد الفكرة. أتعلمين؟ أخفف من وطأة الصدمة، ومن جهة أخرى، هي تقريباً طريقة متشائمة لمعالجة الموقف، كأنني أشعر بأن التحدث عنه كأنه لا يزال موجوداً يجلب سوء الحظ.

جوياء، وهي تجلس داخل تلك السيارة ذات المقاعد الجلدية، شديدة النظافة، واللامعة، لديها لأول مرة شعور غريب بالضيق. في الواقع الرجل الذي يجلس بجوارها، في محل السائق، هو نفسه الذي في ذلك اليوم أعطاها الانطباع بأنه شخص غامض، وربما أيضاً خطير بعض الشيء؛ وهو نفسه الذي دفع (لو) ليسقط من الشرفة مخاطراً بقتله، الآن وهي في داخل السيارة معه، شعرت بشعور مختلف تماماً. يبدو لها فقط رجلاً متألمًا يعاني منذ فترة طويلة. استكمل: إذن، كيف أتيتِ إلى منزلنا لتعيدي إلينا كنزته؟ ولماذا أعطاها لك؟ ومتى؟

سألها، مرة واحدة، بنبرة عادية، لكن بأسئلة لا يمكن إلا أن تُشعرها بأنها في تحقيق.

- الآن الأمر كله في يدك. قالت لها تونيا من المقعد الخلفي.
لا توجد قصص. لا بد أن تلتقط أنفاسها، وأن تلفظ بكل شيء،
لا بد أن تكون مباشرة ولا مجال للخطأ، لا مجال للوقفات ولا
للتأملات، لا بد أن تقول ذلك كأنه أكثر شيء طبيعي في العالم.
- لكن كيف يمكنك أن تبدي هادئة، وأنت ستنتقلين بسلسلة
من الكذبات المتتالية؟ سألتها تونيا.

وهكذا فجأة خطرت لجويا فكرة. ستقول كذبة، أجل، لكن
مؤسسة على الحقيقة. وهكذا سيكون من السهل عليها أن تبدو
مقنعة، وربما سيكون لديها بعض الأمل في أن تدفعه إلى أن يتوقف
عن طرح الأسئلة. في النهاية، استعدت وانطلقت، كله في نفس
واحد: أعطائها هو لي في إحدى الأمسيات، هناك في الحانة؛ حيث
كان يذهب ليلعب بالأسهم. هكذا تعارفنا ونحن نلعب معاً. في
ذلك المساء، كنت أشعر بالبرد، وعرض هو أن يعيرني إياها، ثم لا
بد أنني وضعتها لتُغسل، وفي نهاية الأمر؛ تسببت أُمي في فوضى،
أجل، في الواقع وضعتها في عمق إحدى الخزانات، وعثرت عليها
فقط منذ بضعة أيام.

انتهت جويًا من الكلام، وانتظرت، وهي تعقد أصابعها، جلباً
للحظ، في ذهنها. قال هو فقط: آه. وهكذا دخلت هي بالعبرة
الختامية: تذكرت لمن كانت، وفكرت أنه ربما ستحبان استرجاعها،
لهذا أتيت إليكما.

فكر والد (لو) في الأمر، كأنه يحاول أن يضع القطع معاً
ويصلها ببعضها.

- لكن زوجتي قالت لي... أقصد، عندما عدت إلى المنزل كانت
مضطربة جداً، وقالت لي إنك تحدثت عن (لو) كأنك قابلته أخيراً؛
ولهذا أتيت لأبحث عنك.

شعرت جوياء بقلبيها يدق بشدة.

- اهدي، قاومي. إذا بدا عليك التشكك الآن ستضيعين.

قالت، وهي تحاول أن تستجمع على قدر استطاعتها صوت شخص شارد: أعتقد أن الأمر لم يكن سوى سوء فهم، أنا لم... أريد أن أقول... لم أتحادث معها بهذه الطريقة. أعتقد أننا لم نفهم بعضنا، ليس إلا.

أوقف هو السيارة. كانا بالفعل أمام منزلها. أغلق الموتور.

- أتعرفين؟ إنها قصة سيئة جداً، وأن نجد أنفسنا حتى الآن، وبعد شهور، ونحن لا نعرف.. أنا لا تزال لدي بعض القوة، أما زوجتي... لا بد من التعامل معها بحرص شديد؛ فهي امرأة هشة، يكفي قليل جداً ليحطمها.

- أعتذر إذا كنت قد تسببت لها بأي فهم خاطئ بسبب ما قلته.

قالت جوياء بصوت منخفض.

كانت نظرتها جادة جداً، ويكسوها بعض الحزن. بدأت جوياء الآن تشعر ببعض الذنب أيضاً.

سألته: هل هناك شيء يمكن أن أفعله لتسامحاني؟

- لم تفعل أي شيء لنسامحك عليه، اهدي. أجابها هو، وهو يضع إحدى يديه على المقود، والأخرى على المفتاح، لكن إذا أمكنك، مري على منزلنا، وأحضري الكنزة، ربما تجلب لنا الحظ، ربما ستساعد في إعادته.

33

كانت جوياء قد أحصت منها تقريباً عشرين في حياتها، لكنها كانت متأكدة من أنها أكثر من ذلك بكثير.

تلك الأقوال المأثورة والأمثال، التي لا تتوافق بأي حال من الأحوال مع الحقيقة؛ تلك التي عندما تسمعها تقول لنفسك: أجل، بالتأكيد. «مَنْ يعمل بمفرده ينجز عمل ثلاثة»... إذا أمكننا البدء بهذا، ماذا يعني أن بناء الأهرامات كان ممكناً بثلاث عدد العبيد؟ أو أن فِرَق الروك المكونة من ثلاثة أشخاص، مثل Green day، أو فريق Blink 182، كان يكفي أن تكون من عنصر واحد فقط، نظراً إلى أن مَنْ يعمل بمفرده ينجز عمل ثلاثة؟

مَنْ ينجز عملاً بمفرده، يجب أن يتصرف بطريقته، وسينجز الكثير بالفعل إذا استطاع أن ينجز ما عليه، كفرد. هذه هي الحقيقة

ثم: «مَنْ يَعِش يَرِ كثيرًا» من يدري؟ يمكن للمرء أن يعيش أيضاً مائة عام، وفي نهاية الأمر، لا ينجح في فهم أي شيء. يمكن لكل شيء أن يظل معلقاً إلى الأبد. «مَنْ يَعِش يَرِ كثيرًا» ليس فقط مثلاً خاطئاً، لكنه أيضاً دعاية خادعة: مَنْ يَعِش ربما، ويا ليت، إذا كانت عيناه مفتوحتين ولديه بعض الحظ، يمكنه أيضاً أن يرى شيئاً ما صغيراً، ربما أشعة ضئيلة من الضوء إذا سار كل شيء على ما يرام؛ هذه هي الحقيقة.

ثم: «الرداء لا يصنع الراهب». هذا القول بالفعل مُبالغ فيه بشدة. مَنْ فُكِّر في تلك الحماقة لا بد أنه كان يعيش في مجتمع يرتدي كل مَنْ فيه ثياب الرهبان؛ ولهذا من الصعب إدراك مَنْ هو الراهب وَمَنْ لا. في هذا المجتمع الآن، الذي تعيش فيه جويًا، الرداء يصنع الراهب والراهبة والأساقفة وأيضاً الشماسة؛ هذه هي الحقيقة.

وفي النهاية: «الليل يجلب النصيحة». الليل لا يجلب النصيحة... الليل يلقي أمامك بأطنان من الأفكار والمخاوف والتساؤلات

والشكوك والكوابيس، ومَن يدري ماذا أيضاً؟ وحتى إن جلست هناك تفتش بين كل تلك الأشياء، فهراء أن يُقال إنك يمكن أن تعثر بينها على نصيحة.

هذه هي الحقيقة.

- هل أنت متأكدة من أنك تصرف جيداً بأن قلت تلك الأشياء للأب؟

سألها تونيا، التي كانت تجلس على الأرض بجوار الفراش.

- لكن ألا تنامين مطلقاً؟

- إن الأصدقاء المتخيلين لا يذهبون مطلقاً إلى الفراش، إلا في حالة أن اخترعي أنت صديقاً متخيلاً يشبه جيريد ليتو بالضبط وتقدميه لي، في تلك الحالة سأنام بالتأكيد، بكل سرور، معه.

وفي الطابق السفلي، كان والداها هناك مستيقظين يشاهدان فيلماً بصوت يصلح لصالات متعددة. نظراً إلى أنهما ربما ناما طوال الظهيرة، الآن لا يشعران بالنعاس. ربما على جوياء أن تضع لافتات وتوزعها في المنزل، مكتوباً عليها: لديكما ابنة يجب أن تذهب إلى المدرسة كل صباح؛ لأنه يبدو أنهما لا يتذكران هذا.

- عموماً، يمكن أن يكون الوضع أسوأ من ذلك. قالت لها تونيا.

- بالفعل؟

- إذا استطاع أبواكِ أن يبتاعا تلفزيوناً بسماعات أقوى من هذه.

وضحكت جوياء.

لحسن الحظ أن تونيا موجودة. بخلاف جنونها في أنها تتحدث معها، كانت ستصبح بالفعل مجنونة لولا وجود تونيا في بعض الأحيان.

للأسف حتى هي لا تستطيع أن تساعدنا كثيراً هذه المرة. ربما يمكنها أن تطفئ الأفكار، أحياناً، لكن هناك ذلك الشيء الذي

تشعر به الآن، في مقدمة الحنجرة، منذ عصر هذا اليوم، والذي يزداد مع مرور الوقت. يوجد تجلط لشيء ما، لا تعرف ما هو، يعوق تنفسها، ويؤلمها حتى عند البلع. لكنها تعرف جيداً ما هو، إلا أنها لا تريد أن تصرح به. إنه الخوف... فهي خائفة من أن تكون أخطأت فيما يتعلق بـ(لو).

بدا لها الأب اليوم شخصاً بعيداً تمام البُعد عن الخطير، أو عن أن يكون شخصاً قادراً على أن يتسبب في أي أذى. ومن الكلمات القليلة التي قالها، فهمت أنه يفتقد ابنه كثيراً، الذي كان ولداً متألماً، وبحاجة إلى المساعدة. أما بالنسبة إلى (لو)... كلما فكرت بدت لها قصته غريبة مليئة بالقطع الناقصة، وكلما فكرت في تلك القطع، عادت إلى ذهنها تلك اللحظات التي يصبح فيها هو غريباً، هناك عند الكنيسة الصغيرة، عندما يبدو، لخمس دقائق فقط، شخصاً مختلفاً تماماً... عندما يصبح (لو) (لو) الآخر.

إذا كان الأمر كذلك، و(لو) يعاني من شيء، ماذا يجب على جويلا أن تفعل؟ هل تخبر الأب؛ ومن ثم تنكث العهد؟ أو تترك كل شيء كما هو؟ في حالة منهما ستفقد بالتأكيد؛ لأنه لن يسامحها أبداً لأنها كشفت سره، لكن في الحالة الأخرى... في الحالة الأخرى، لا تعرف. كم يمكن أن يستمر ذلك الأمر مخفياً؟ وكم سيستمر الوضع بينهما كما هو الآن؟

وذلك دون أن تضع في الحسبان أنها إذا تكلمت، فإن (لو) بمجرد أن يكتشف أنها أخلت بالتعاهد، سيمنحها وجهه الآخر، وسيصبح معها، وليس مع الآخرين، (لو) الآخر، وعندما يصبح (لو) الآخر لا توجد مساحة لقول كثير؛ فهو مخيف.

وفجأة بدأ وجه (لو) يتحول إلى اثنين، ليس فقط وجهاً يظهر أحياناً وأخرى لا، الآن تشعر جويًا بأنهما وجهان ممكنان، لا يستطيع المرء أن يميز أيهما الوجه الحقيقي.

حتى الآن، كان ذلك الوجه يظهر ويختفي في خمس دقائق، وحتى إذا، منذ أن ظهر هو ذلك المساء في الحانة، أشياء كثيرة قد حدثت يمكن أن تشعرها بالقلق، فإن عينيه وابتسامته وقلباته تطرد دائماً عنها تلك الأفكار، وكل قلق، وكل جرس إنذار، لكن الوضع مختلف الآن، وتستطيع الآن تقريباً أن تراه وقد أصبح ذلك الشيء الآخر، عندما يتوقف عن أن يصبح (لو)، فتاها، ويصبح شخصاً آخر لا يمكن سوى الشعور بالخوف تجاهه.

تذهب جويًا إلى الحمام، تُشعرها تلك الأفكار بالتوتر.

تسألها تونيا: هل تريد أن تتقيأي؟ هل تريد أن أمسك بجبهتك؟

- بالتأكيد، كيف لا، حتى إن كنت أحتاج إلى هذا؛ فالمرء لا يعرف كثيراً من الأصدقاء المتخيلين الذين بإمكانهم الإمساك بجبهته.

غسلت جويًا وجهها، وشربت من الصنبور على الأقل نصف لتر من الماء، وفرشت أسنانها، وبدأ كل شيء يعود إلى الهدوء، لكن بعد ذلك، عندما فتحت باب الحمام وأغلقت مفتاح النور، وفي الأسفل أغلق أهلها التلفزيون، وحل الصمت التام، فجأة شعرت بأنفاسها تختنق. راودها شعور سيئ جعلها تبطئ الخطى لتصل إلى غرفتها. عندما فتحت الباب، وجدته هناك، على الفراش، يرتب على القط. قال لها: أهلاً يا (شيء).

34

- أراك غريبة.

- لكن لا، كل شيء على ما يرام.

- وأنا أريكة.
- في الحقيقة أنت مريح.
- هل ستقولين لي ماذا بكِ؟
- لا شيء، فقط كل هذه القصة... أحتاج إلى بعض الوقت...
لأعتادها، هل تفهم؟
- جوياء، لا أريد أن يؤمك أي شيء.
- لقد ناديتني باسمي؟
- من حين إلى آخر يفلت مني يا (شيء).
- على كل حال، لا يوجد شيء. ربما أحتاج فقط إلى بعض الوقت.
- لكن، هل أنت متأكدة أنكِ بخير؟ منذ قليل، ونحن معاً،
بدا لي كأنك...
- بدا لك كأنني؟
- لا أعرف، كانت هناك لحظات شعرت فيها أنكِ تفكرين في
شيء آخر.
- لا، كل شيء على ما يرام.
- اللعنة يا جوياء، اليوم تبدين كأنكِ نهر فائض، أليس كذلك؟
حاولي ألا تتكلمي كثيراً، فبإمكانك إغراقي!
- لو قلت لك إنني هكذا بعض الشيء.
- أجل. فهمت. أريد فقط أن تصفي لي ماذا تعنين بقولكِ
«بعض الشيء»، أنتِ التي لديك دائماً كلمة لكل شيء!
- ربما هذه المرة ولا حتى أنا لديّ الكلمات الصحيحة. أتعلم،
لا يحدث للمرء كل يوم أن يجد نفسه ممدداً في الفراش بجوار
شخص لا يجب أن يتحدث عنه مع أحد.
- حسناً، حسناً، آسف. لم أكن أريد أن ألجأ أكثر من اللازم.
- ثم اليوم حدث أن...

- ماذا؟
- حسناً، اليوم رأيت أباك يا (لو). لقد أتى إلى المدرسة في أثناء حفلة توزيع الجوائز. كان هناك ينتظرنى. حضر من أجل قصة الكنزة.
- اللعنة يا جويا، وكم من الوقت كنتِ تريدين الانتظار حتى تقولي لي هذا؟
- آسفة، كان لا بد أن أقول لك ذلك على الفور.
- فعلاً، متأكدة؟ أنا كنت سأنتظر شهراً آخر.
- لقد اعتذرت لك!
- وكيف بدا لك؟ ما الانطباع الذي تركه عندك؟
- لم نتحدث كثيراً لهذه الدرجة، إلا أنه بدا لي مهذباً جداً، وشخصاً مسالماً جداً.
- هو تماماً. ذلك القناع المطمئن. احترسي، لقد خدع أشخاصاً كثيرين بهذه الطريقة.
- وماذا عنك يا (لو)؟
- ماذا عني؟
- ألم يخامرك قط أدنى شك أن أباك ربما لا يكون كما تراه أنت؟
- آه، سحقا.
- ماذا؟
- خدعك.
- ماذا تريد أن تقول؟
- لقد قال لكِ إنني أنا المصاب بازدواج في الشخصية، وأنتِ صدقته.
- لكن لا، لم يقل لي أي شيء، أنا سألتك فقط.
- لم تعودى تصدقيني! ولهذا أنتِ غريبة هكذا.

- (لو) ضع نفسك في مكاني! تأتي أنت وتقول لي قصة عجيبة،
عجيب من أي شيء آخر، أنا فقط أحتاج إلى بعض الوقت لكي...
- أجل، لكن انظري إليّ! المسيني! هل أبدو لك مجنوناً؟ قولي
لي، هل أبدو لك مجنوناً؟

- لكن لماذا تقول لي هذا الآن!

- لقد وعدتني، تذكري هذا. لا تحنثي بوعدك، وإلا لن تريني
أبداً.

- (لو) ماذا بك الآن؟ لماذا تفعل هذا؟ إلى أين أنت ذاهب؟

- سأرحل، سأرحل بعيداً. أحتاج إلى أن أكون بمفردي.

- لكن لا، لتتحدث، ممكن؟ حاول أن تشرح لي، ساعدني!

- جوياء، لا يوجد كثير لأشرحه هنا؛ إما أن تأخذي صفه أو

صفي. والآن أنتِ تقولين لي بكل وضوح في أي صف أنتِ.

- لكن ما هذا الذي تقوله! أنا أريد أن أكون معك! أريدك
أنت!

- لا أعرف يا جوياء، لم أعد أعرف أي شيء. الآن سأرحل، سلام.

- (لو)!

...

- (لو)!

35

- وحضرتك، ما رأيك يا آنسة؟

قال في لحظة ما الأستاذ بوفه وهو ينظر إلى جوياء.

حاولت هي كل شيء، التركيز والانتباه، إلا أنها بعد عشر ثوانٍ
من الدرس فقدت الاتصال مع كوكب الأرض، وانتقلت كلها إلى
كوكب (لو).

- ماذا، معذرة؟ حاولت أن تقول، لكن وجهها كان وجه شخص استيقظ للتو.

- كنت أقول، ما رأي حضرتك في هذه القصة؟

- يا أستاذ، مايوناجويا لديها صديق؛ ولهذا لم تعد تتابع حضرتك! قال كازالي من آخر الفصل، إلا أن الفصل هذه المرة لم يضحك، ولم يدعمه أحد، وكانت هذه المرة الأولى، على الإطلاق، منذ أن التحقت جويا بتلك المدرسة.

سأل الأستاذ وهو يعقد ذراعيه: ماذا سميت زميلتك يا سيد كازالي؟

- إنه اسمها يا أستاذ! الجميع يطلق عليها هذا الاسم! أجب كازالي باحثاً عن الموافقة في عيون زملائه. بوتشا فقط، تابعه الأبدي هو من أوماً بالإيجاب.

- لا، ليس هذا اسمها يا كازالي. هيا، انطق اسمها الحقيقي، وإلا سأضع لك ثلاثة جميلة في الدفتر.

- أستاذ، لكن حضرتك لا يمكن أن تعطيني ثلاثة فقط لأنني...

- لا، لا أعتقد أن هذا اسمها، أليس كذلك؟

أظلم وجه كازالي تماماً، وبصوت رفيع جداً قال: جويا، اسمها جويا.

- أحسنت يا كازالي. يعجبني هذا.

قال البروفيسور ثم التفت إلى جويا: حسناً يا آنسة سبادا، إذا كنتِ بالفعل قد دخلتِ إلى تلك الغابة الرائعة - وفي الوقت نفسه البشعة - التي يسمونها الحب، لا يمكن ألا تهتمي بالقصة التي نتحدث عنها اليوم؛ لأن في داخل تلك القصة يوجد كل الحب.

- أستاذ، لكن إذا كنا نتحدث عن شخصية تصل عذراء إلى الزواج؛ فعلى ما يبدو لي نحن أمام قصة خيال علمي! قال بوتشا من مكانه. وضحك الفصل.

تصرف بوفه كأنه لم يسمع، واستمر: إذن، كما قلنا، سايكي⁽³²⁾ كانت هناك، وحيدة، في ذلك القصر رائع الجمال، الذي لا تسكنه سوى أصوات ووصيفات خفيات. كان هذا عالمها، الآن، وبلا شك، بدأت تشعر بأنها مستريحة هناك في الداخل. في الوقت نفسه، تنتظر وتتساءل أين عريسها، وكيف تأخر كل هذا الوقت ليربها نفسه؟ أفهموا جيداً، كانت الزيجات، التي لا يتعرف الأزواج فيها إلى بعضهم سوى أمام المذبح، كثيرة، لكن سايكي أول فتاة في التاريخ تجد نفسها متزوجة بالفعل من شخص لم تكن رآته قط. حتى وصل إليها في ليلة ما، فجأة، وجدته هناك، في حجرتها، معها. الحب شخصياً، إيروس، عريسها، وفي لحظة كان أسفل أغطيها.

- سينامان معاً! قال كازالي بعد أن وضع يده على فمه. وفي هذه المرة، ضحك الفصل ضحكة استهزاء.

أكمل بوفه مبتسماً: بالتأكيد يا كازالي، لكن في الظلام التام. كان يمكن أن تلمسه سايكي، وأن تسمع صوته، وكانت في أثناء الليل تختبر كل المشاعر والانفعالات الأكثر جمالاً التي شعرت بها، لكن لم يكن في إمكانها رؤيته. إذا نظرت إليه ولو لثانية فقط، لانفك السحر، ورحل عنها هو إلى الأبد.

بدأت جويًا تشعر بالندم؛ لأنها لم تسمع القصة منذ البداية؛ لأنها أيضاً إذا أزلت الأسماء العبثية والقصر بارع الجمال؛ فهو عملياً يتحدث عنها.

أخذ بوفه يسير بين المقاعد واستمر، وهو ينظر من حين إلى آخر في عيني تلميذ مختلف: سايكي لم تكن تستطيع حتى أن تصدق، كل هذا الحب، وكل هذا الجمال، ولا يمكنها حتى أن تراه، ولا حتى على ضوء ضعيف لشمعة. كانت الليالي تمر مثل الثواني،

(32) أسطورة كيوييد وسايكي أو بسكي.

والشك في وجود كذبة ما بدأ يتزايد، وأخواتها هناك يقلن لها إن هناك شيئاً ما مثيراً للشكوك: احتري... يمكن أن يكون شيطاناً أو نصاباً، لا تثقي به. وبدأت هي تفكر وتفتح ذلك الجزء الآخر من ذهنها: في الواقع يوجد عدد من الأشياء الغريبة، أنتن على حق، لم أعد أثق مطلقاً. قالت سايكي. إن ما أشعر به جميل؛ بل رائع الجمال، لكنني لم أعد أثق. إلا أن الحب قال لها: لا ضوء. لا بد أن يظل وجهي مجهولاً بالنسبة إليك، إنه الثمن والشرط مقابل الحب! لم تكن هناك طرق أخرى، إما الظلام أو لا شيء، خصوصاً أنه حذرهما: إذا لم تلتزمي بالوعد، ستكونين أنتِ من يعاني.

أجل، إنه يتحدث بالفعل عنها، عن جويا.

- في رأيكم، ماذا كان خطأ سايكي؟ سألهم البروفيسور. ارتفعت بعض الأيدي.

- في رأيي، لقد تصرفت تصرفاً حسناً: أن ثقتُ شيء جميل، لكن ألا نثق أجمل. قالت باتا.

- ربما كان عليها الانتظار بعض الوقت. أن تستمتع أقصد. همست فتاة أخرى وهي تبتسم.

- ربما كان عليها أن تتفق على كل شيء بوضوح مع ذلك الشيء، كيوييد. تجرأ كازالي وقال.

عندما انتهوا جميعاً من قول ما يفكرون به، رفعت جويا يدها.

- أجل يا آنسة سبادا؟

- لم أفهم ما الشيء السيئ الذي فعلته.

- أرايت أنه كان من الأفضل الاستماع إلى القصة منذ البداية؟

عموماً، فعلت ذلك الأمر السيئ، فتحت النور.

- أهذا كل شيء؟

- أجل يا آنسة سبادا، هذا كل شيء. في إحدى الليالي، وبينما ينام كيوييد في سلام في الفراش، أخذت مصباحاً وأشعلته لتراه؛ لتتأكد أنه ليس وحشاً ولا قاتلاً، كما قالت لها أخواتها، لكن كان هذا كل شيء، الذي لم يكن أي شيء. كان خطأ سايكي، هل تفهمين؟ أن تفكر في أن تأخذ النور حيث الظلام. أن تفكر في أنها يمكن أن تنظر إلى الحب بعيني العقل؛ لأنهما عالمان متوازيان، لا يمكن أن يتقاطعا أبداً. لا يمكن أن تفكر أنك يمكنك أن تفهم، أو تقرأ أو تفسر أو تمنح تفسيرات منطقية. ليس هناك. ربما في أماكن كثيرة أخرى، لكن ليس هناك.

الصمت التام في الفصل. الأنفاس فقط، وصوت حفيف أوراق الأشجار في الخارج. ترفع جويها يدها من جديد: وماذا حدث بعد ذلك؟ ماذا فعل كيوييد؟

- حسناً، سقطت من المصباح الزيتي نقطة زيت مغلقة عن طريق الخطأ على كتف الإله الروماني، واستيقظ هو. عندما اكتشف أنها حنثت بالوعد، هرب بعيداً ولم يعد قط.

36

- لماذا تنظرين إليّ بهذه الطريقة السيئة يا آنسة؟

- حضرتك تعرف لماذا؟

- معذرة، ماذا؟

- كنت حضرتك! حضرتك من قلت لي عن كل تلك القصص، عن

ذلك الفعل «يُبهر»، حضرتك من قلت لي إنه من الأفضل أن يعمينا

الضوء وليس الظلام. والآن نتحدث عن ذلك الشيء؟

- أخشى أنني لا أفهم بالضبط ما تقولين، أتعرفين؟

- لقد ذهبت خلف كلماتك، ربما لا تعرف هذا، لكنني تبعت

ما قلت لي أن أفعله. والآن، أكتشف أن ما أعتقده نوراً ليس نوراً، وأنه في الحقيقة كله ظلام، وأن خطئي أنني أشعلت النور. أنا الآن لم أعد أفهم أي شيء!

- هل ربما تحاولين أن تقولي لي، ما معناه، إنكِ لديك مشكلة في مواجهة الظلام؟

- لا، أحاول أن أقول لحضرتكِ إنكِ كان لا بد أن تقول لي هذا من قبل، وأن تضعه في التعليمات، وتحذر الناس، أن مَنْ يرغب في الضوء عليه أيضاً أن يُمسك أيضاً بكل هذا الظلام!

- آه، فهمت الآن.

- كان لا بد أن تقولوه لنا على الفور، جميعكم، وليس أن تخرعوا لنا كمية من الحكايات الخرافية لكي تجعلونا نعتقد أشياء غير حقيقية؛ لأن الأمر بهذه الطريقة ليس سوى خدعة.

- لديكِ حق. يمكنني فقط أن أقول لكِ إنكِ على حق. كل واحد منا يستحق أن تُقال له الحقيقة العارية والقاسية، دون أن ينتظر أن تحوّل الحياة له الحكايات إلى كذبات.

- آه؛ لأن الأمر بالفعل هو كذلك، في الواقع. كانت كلها كذبات. في النهاية ينتصر الظلام.

- لا، بالعكس، ما يحدث هو العكس. لكن، كما قلتِ سيادتكِ؛ لكي ينتصر النور، لا بد في البداية أن نقبل الحقيقة، القاسية بعض الشيء في استيعابها.

- التي هي؟

- اسمعي يا آنسة، آينشتاين وبوهر قضيا أعواماً كل منهما يريد أن يكون المحق، فكانا يتبادلان الخطابات ويتناقشان، أحدهما يقول إنه عندما نتحدث عن الضوء لا توجد يقينيات، لكن افتراضات فقط، والآخر الذي كان يريد، بل تقريباً يُطالب، بأن يكون هناك

تفسير أبسط، لكن في النهاية لا نزال جميعاً عند النقطة نفسها، حتى بعد مرور مائة عام، نعلم كل شيء عن الضوء، لكننا لا نعرف حتى الآن ما الذي يوجد بين فوتون وآخر، وأين ينتهي، ويمكننا فقط أن نعتمد على افتراضات ولا توجد أي يقينيات.

- لا توجد على الإطلاق؟

- لا! وليس لأن العلم لم يحاول، لكن لأنه لا يستطيع، بهذه البساطة: لا يستطيع. وهذه هي الحقيقة التي يصعب استيعابها.

- وما هي؟

- أن كل ضوء يحمل قلباً من الظلام.

37

- لكن، هل أنتِ مقتنعة بذلك الذي ستفعلينه؟

- بالتأكيد لا يا تونيا! هل أبدو لكِ مقتنعة؟

- اللعنة، ماذا تفعلين هنا إذن، بهذه الكنزة في يدك؟

- أنتظر الاستنارة.

تقف جويًا ومعها تونيا، في الشارع القريب من منزل (لو). كانت تشعر ببعض الاستياء؛ لأن عليها أن تُعيد كنزة (لو)، خصوصاً لأنها بذلك لن تستطيع أن تُخرجها من خزانها وتشمها، كما تفعل على الأقل عشر مرات في اليوم.

قالت لها تونيا: إذن تحركي!

- أنتِ تعرفين، إذا عبرت الطريق، ورننت ذلك الجرس، ربما أشعلت النور عن طريق الخطأ، وحنث بوعدتي، ولن أراه بعد ذلك أبداً، لكن إذا مكثت هنا، يمكنني أن أترك الأمور كما هي عليه، وأستمر في رؤية (لو) في الخفاء.

- بالتأكيد، حتى يكتشفه أحدهم، أو حتى تفشي جوفانا سرهما.

- على الأقل سيستمر الأمر بعض الوقت.

- لكن ربما أمكنك...

- يمكنني؟

اقتربت منها تونيا كأنها تريد أن تسر في أذنها: أتعرفين،
يمكنك ببساطة أن تدخل إلى هناك، وتحدثي بعض الوقت مع
الأب، وتفهمي المزيد، نظراً إلى أن الوضع كما هو الآن غير مفهوم
بالمرة!

- أحسنت، في نهاية الأمر، سيكون مجرد إخلال بسيط بالاتفاق!
ولست مجبرة على أن أقول له أين ابنه!

- بالضبط!

- أوكي، إذن، الآن سأضع مُشغل الأغاني، وبمجرد أن تبدأ Born to
Run، سأذهب لأرن الجرس.

بدأت الأغنية الأولى، ولم تكن Born to Run: ومَن يهتم!
سأذهب على الرغم من ذلك.
قالت جوياء وعبرت الطريق.

38

المنزل لامع من الداخل. مزهريات من الخزف الصيني، والأثاث
من الخشب اللامع، تبدو إطارات اللوحات كأنها خرجت لتوها
من غسالة اللوحات.

- تفضلي اجلسي. قال هو، وهو يشير إلى أريكة، يدفع شكل
نسيجها المرء إلى الخوف من مجرد لمسها. تشكره جوياء وتجلس،
وهي تضع الكنزة فوق مسند الذراع.
- زوجتي في أعلى، تستريح، وكما قلت لك؛ فهي من يعاني أكثر
من هذا الوضع.

قال لها، وهو يتحدث بصوت منخفض، كما يحدث عندما لا يرغب أحدهم في إيقاظ الأطفال، ثم وقعت عيناه على الكنزة: آه، هذه هي الكنزة المشهورة إذن؟ أتعرفين أنه يبدو لي أنني لم أرها قط؟

قدمتها جوياء إليه، وهي تفكر في: «يا لمصيبة!» وتُدرِك على الفور أنه سيكون من الصعب كتمان كل ما تفكر فيه. حاولت أن تقول: «ربما لم يكن يرتديها كثيراً». بنبرة صوت بها درجة من القناعة التي تميل، نوعاً ما، إلى مستوى «ولا أنا أيضاً أصدق هذا».

الملعونة تونيا، استطاعت أن تقنعها بأن ترن ذلك الجرس. الآن تجد جوياء نفسها مثل سايكي في تلك القصة التي حكاها البروفيسور بوفه، مع أقل خطأ ستُسقط نقطة الزيت المغلي، وسيختفي مفعول السحر إلى الأبد. وهكذا سألتها: آسفة، هل يمكنني أن أذهب لثانية إلى الحمام؟

كانت بحاجة إلى أن تتنفس للحظة، أن تركز بطريقة أفضل. تريد معرفة الحقيقة عن (لو)، لكن في الوقت نفسه لا تريد أن تحنث بوعدها.

- بالتأكيد، في هذا الاتجاه، على اليمين. أجبها الأب، أو (الأب). هو في النهاية.

ومجرد أن أغلقت الباب بالمفتاح، نظرت جوياء بانتباه إلى المرأة. لا تعرف إذا كان هذا هو الحمام، الذي كان (لو) يتواصل مع أمه من خلاله، لكنها أخذت تفحصه على الرغم من ذلك، محاولة في انعكاسه أن تقرأ شيئاً ما، أن تفهم. ثم، لكي تبرر واقع أنها دخلت إلى هناك منذ فترة، دفقت المياه على الرغم من أنها لم تستخدم المرحاض.

عندما خرجت، سمعت ضوضاء غريبة. كانت آتية من الصالون؛ حيث كان يجلس والد (لو). في البداية، بدا لها شيء، ثم فكرت أنه لا يمكن أن يكون ذلك الشيء، لكن عندما اقتربت، اكتشفت أنه بالفعل ما فكرت فيه، فقد كان ينتحب. كأنه يبكي، لكنه يحاول أن يمنع نفسه. لم تعرف جويًا ماذا تفعل. أن تقف مكانها، وتنتظر حتى ينتهي، أم تذهب إلى هناك وتتظاهر باللا شيء.

لم تكن رأت قط شخصاً كبيراً يبكي؛ رجلاً بالتحديد. شيء غريب. رؤية رجل ناضج يبكي تتسبب في شيء من فقدان التوازن، تحرك المرء من مركزه، كأنها تنزع عنه اليقينيات، حتى إن كنت لا تعرفه، حتى إن لم تعرف من هو، عندما يرى المرء رجلاً يبكي يشعر كأن هناك زلزلة صغيرة أسفل قدميه. وشعرت جويًا مرة أخرى بذلك الضياع، حتى مع معرفتها له من الناحية العملية.

قال لها هو، وهو يمسح أنفه: تعالي، تفضلي.

دخلت جويًا إلى الصالون ببطء. وعلى المائدة وجدت كوبين وزجاجة مياه.

- هل عثرتِ على الحمام؟ كل شيء على ما يرام؟

- أجل، شكرًا. كل شيء على ما يرام.

جلست جويًا. نظر والد (لو) نحو النافذة وعيناه حمراوان. لم يكن تعبير وجهه حزيناً فقط، لكن بدت أشياء كثيرة فوق ذلك الوجه، بدا من بينها الحزن، الشيء الوحيد الذي تمكنت من فهمه.

قال، وهو يجفف وجهه بالمنديل: اعذريني، من حين إلى آخر يتزعزع الجدار بعض الشيء.

لم تقل جويًا أي شيء، لم تكن تعرف ماذا يجب أن تقول.

- أتعرفين، أنا مهندس، وهنا دوري أن أكون الجدار الحامل.

زوجتي مريضة مرضاً عصبياً، ويجب أن أصحبها إلى الاختصاصية النفسية كل يومين؛ فهي تحتاج إلى علاج باستمرار.

حاولت جويًا أن تقول: لا تحتاج إلى أن تفسر لي، أنا...

- لا، على العكس. أريد أن أقول هذا لك أنتِ. تبدين لي فتاة ذكية. لا أدري كيف أقول هذا، لكنني أرى أنك كنت تحبينه. مكتوب في عينيك أنكما كنتما مقربين؛ ولهذا أريدك أن تعرفي ما حدث.

- ما حدث بعد لوكا...

- لا، لا... الذي حدث قبل؛ وذلك لأننا نشعر كلانا بشيء من الذنب.

راقبته جويًا، وراقبت كتفيه المستقيمتين، والطريقة التي يطوي بها المنديل الذي في يده. كان يبدو كالطفل! من جهة، كان ذلك يخيفها أكثر؛ ذلك الرجل، ومن جهة أخرى، كانت ترغب فقط في أن تذهب إلى هناك لتحتضنه.

- في الحقيقة، أنا لست الأب الطبيعي للوكا. ربما فهمتِ هناك فرق سن كبير بيني وبين زوجتي. كانت مرتبطة بشاب، قبل أن نتزوج، وكانت حبلى منه، ثم في شهرها الثاني، توفي هو في حادث... وتعارفنا قبل شهرين من إنجاب لوكا، ووقعنا في الحب على الفور. كنت أريد أن أتزوجها وأعترف بلوكا ابنًا لي، لم أهتم؛ فلقد أحببتها على الفور، وأحبته هو أيضاً. الشيء الوحيد الذي طلبته منها هو أن تنتظر حتى يصبح لوكا كبيراً بالدرجة الكافية حتى تقول له، وأن نقول له هذا معاً. ومن هنا أيضاً، منذ هذا «التعاهد» الذي عقدناه، بدأت أولى المشكلات.

يتمخط الرجل، ثم يمسخ بمنديله أسفل عينه اليمنى، بينما بدأت جويًا ذهنيًا تقارن بين القصتين، وتضعهما الواحدة بجوار الأخرى. وألا تفهم أي شيء.

- أجل؛ لأنه بالنسبة إليها أصبح لوكا جاهزاً بالفعل في سن عشر سنوات... وربما هذا كان حقيقياً، لا أعلم... كان صبيّاً ناضجاً جداً وحساساً. اعترضت أنا، وهكذا بدأنا نتشاجر، في البداية على هذا الأمر، ثم على أشياء أخرى. أتعرفين، ربما وُجدت مشكلات أخرى في تلك الفترة، لكن هكذا بدأ كل شيء، حتى إن لوكا استطاع أن يفهم أن هناك شيئاً ما ليس على ما يرام بيني وبين أمه، وعندئذٍ بدأ يرتكب أفعالاً غريبة. كانت ردود فعله لا يمكن تفسيرها، ولحظات لا يمكن تهدئته إلا بصعوبة، يتحول من شخص طيب ولطيف وخفيف الظل إلى شخص لا يمكنك التعرف إليه لفترات وجيزة جداً يبدو فيها كصبي آخر تماماً. وهكذا، بالاتفاق مع مدرسيه، قررنا أن نصحبه إلى اختصاصية نفسية؛ نفسها التي تذهب إليها زوجتي حالياً. وبعد مقابلات عدة، حدّثتنا هي عن هذا الشيء، وتلك الأعراض... PAS.

- PAS؟ سألت جويما وهي ممسكة بالكوب.

- طبعي أنك لا تعرفينها، لا أحد يصدق تلك الحالة، ولا أحد يتحدث عنها، مع أن الجميع يجب أن يعرف ما هي الـPAS؛ اختصار للاسم الإنجليزي؛ وهو Parental Alienation Syndrom؛ وهي أعراض التغرب عن الأبوين. عملياً وبالاختصار، هو اضطراب في العلاقات العائلية يؤدي إلى رفض الابن لأحد الأبوين. وعندما يصاب به المرء، يبدأ في رفض أي علاقة له سواء مع أبيه أم أمه، ويتطور بعد ذلك إلى أفكار بارانويا (اضطهاد وشك) عنه أو عنها. شعرت جويما بقلبها بدأ يدق بقوة شديدة، وهي تفكر في قصة (لو)، بالقرب من الكنيسة الصغيرة، في الليلة التي عثرت عليه فيها، وكيف أن القصتين تتطابقان تماماً، إلا أنهما في الوقت ذاته بدأتا في أن تصبحا مختلفتين تماماً.

- إنه اضطراب لم يقبله كل الخبراء بعد، كثيرون لا يصدقون حتى إنه مرض حقيقي، ويصورونه كنوع من أنواع الكرب، يُصاب به أبناء الوالدين المنفصلين، ويبدأ عندما يبدأ أحد الأبوين، كما تعلمين، في التحدث بسوء وإلحاح عن الآخر في غيابه، وأن يحمله الأخطاء... والصبية المصابون به يحدث أن شيئاً ما ينطلق لديهم، نوعاً من أنواع الرفض، في البداية يظهر كنوع من رفض التعامل، ثم بالتدريج يبدأ باكتساب...
- لكنكما لستما...

- منفصلين؟ لا. لكن في تلك الفترة كنا على وشك الانفصال. كنا دائماً في حالة حرب، نقول لبعضنا أشياء بشعة، وبالتأكيد، لم يكن هذا سهلاً على لوكا، في تلك الأشهر. استمر الموضوع طويلاً؛ ولتجنب أن نؤلمه أكثر، اتفقنا أن الشيء الأفضل في لحظات الأزمة الحالية أن أتغيب أنا عن المنزل. المشكلة أنها، زوجتي... أتعرفين، بلا أي نية شريرة، لكن ربما لتفضفض معه، أخذت تحدثه بطريقة سيئة عني، وكانت لـ(لوكا) مع والدته تلك العلاقة الخاصة... وربما أضفنا إلى ذلك، كما قالت لنا الاختصاصية، أنه شعر بأنني خنته، نظراً إلى أنني أمكث بعيداً، وفكر أنني أريد أن أهجره، ومَن يدرى ماذا فجّر هذا في داخله.

كانت جويًا تستمع إلى كلمات الرجل وهي تبتلع ريقها من حين إلى آخر. وتشعر بـ(لو)، مع كل كلمة يقولها، وهو يتعد خطوة بعيداً عنها.

- أتعرفين... بدا لنا شيئاً غريباً؛ مرضاً غير معروف، وواقع أننا في نهاية الأمر لم نفصل... في نهاية الأمر، لم نصدق تلك الاختصاصية؛ فقد نصحنا بها مدرسو (لوكا)، وكانت من الشؤون الاجتماعية، وتبدو لنا عديمة الخبرة، وفُضِّلنا أن نلجأ إلى متخصص في عيادة

خاصة، الذي قال لنا على الفور إن هذا المرض PAS لا وجود له، وإننا لا بد أن نبحث عن المشكلات في مكان آخر. وليس فقط التشخيص لم يكن صحيحاً، بل ربما يوجد خلف ذلك شيء آخر، صدمة ما لم نستطع فهمها قط.

بدأ صوت والد (لو) ينخفض بينما يقول هذا، وبدأ تقريباً يرتعش إلى حد أنه لم يستطع أن ينهي العبارة. انتظرت جوياء بعض الثواني، ثم قالت: صدمة ما؟

- أجل، لا بد أن شيئاً آخر حدث، أثر فيه، لكن هذا الشيء الآخر لم ننجح قط في اكتشافه؛ لأنه هو... أجل، أقصد، رحل مبكراً جداً.

- وهل حاولتما أن تخمنا ماذا يمكن أن يكون؟

- أجل، تحدثنا كثيراً أيضاً مع الاختصاصية التي عدنا إليها، لكن لا شيء. لهذا الأمر نحتاج إليه هو، هو فقط من يمكنه أن يقوله لنا.

توقف والد (لو)، رشف رشفة كبيرة من الماء، بينما لم تستطع جوياء ألا تفكر في (لو) محبوساً في حجرة في منزل المُسن، الآن بالتحديد، بينما يتحدث الاثنان معاً. لا بد أن يكون هنا، الآن، وأن يسألاه: ماذا يمكن أن تكون تلك الصدمة التي يتحدث عنها أبوه؟ لم يشر (لو) قط إلى شيء من هذا النوع، لم يشر إلى أي حدث أدى إلى ذلك وقع قبل أن يعرف عن أبيه الحقيقي. هل حدث شيء بالفعل أم أنه مجرد افتراض من والديه؟ توجد أشياء كثيرة غير واضحة في هذا الأمر، نسخ كثيرة من القصة نفسها، وللأسف لا توجد سوى وسيلة وحيدة لاكتشاف النسخة الحقيقية.

في ذلك الوقت، بدأ والد (لو) يستكمل حكايته: وما حدث أنه بسبب هذا المرض ازدادت العلاقة بيني وبين لوكا سوءاً، حتى إنه

توقف عن التحدث معي تماماً، وبدأ يتصرف كأنني غير موجود، وكان عمره لا يتجاوز الخامسة عشرة، هل تصدقين هذا؟ شعرت جويًا أن شيئاً ما يتأرجح في داخلها. لم تعد تفهم ما هي، بالفعل، الحقيقة. بدأت تشعر ببعض الدوار. شربت بعض الماء، بينما بدأت أنفاسها تتسارع.

- وهذا دون أن نتحدث عن المدرسة، وعن سوء وضعه إلى حد كبير فيها. كانت نتائجه في المرحلة الابتدائية دائماً بين المتفوقين، لكن فجأة، في تلك الفترة، لم يستطع حتى أن يحل مسألة حساب، ولا أن يحفظ صفحة تاريخ، كأن تلك المشكلة بدأت تتسبب في تعطيل شيء ما في رأسه.

قال هو ووجهه يعبر عن عدم تصديقه.

- لكن الاختصاصي الاجتماعي الجديد لم...

- لا، تخيلي. لقد قلل دائماً من حجم المشكلة التي أخذت تتفاقم بشدة عندما أصبح رفضه لي شديداً جداً إلى حد... عرفت جويًا بالفعل ما هو على وشك أن يقوله، وشعرت أنها ترتعش.

- لم يعد يراني كأب له.

فجأة، شعرت جويًا بالاحتياج الملح للعودة إلى الحمام؛ لتأخذ دقيقة تستريح فيها وتتنفس، وتغسل وجهها، وتحاول أن تفهم أي شيء. يبدو أنه لم يلاحظ تعبير الضيق على وجهها، واستأنف:

- هنا أخطأت زوجتي؛ ولهذا أيضاً حالتها بهذا السوء الآن؛ فشعورها بالذنب يمنعها من النوم؛ لأنها في أحد الأيام، يوم كنت فيه أنا بعيداً لبعض الوقت، بدأت هي تحدّثه بسوء عني.

لم تكن لدى جويًا الشجاعة لأن تقول أي شيء، أو تطلب أي شيء؛ لأنها أيضاً بطريقة أو بأخرى تعرف بالفعل ما هو على وشك أن يقوله.

- وفي لحظة ما، أفلت منها الأمر، وقالت له... قالت له إنني لست أباه الحقيقي؛ ولهذا عندما عدت تشاجرنا بغضب شديد... كانت هي تفكر في أنها بهذه الطريقة تصلح كل شيء، اعتقدت أنه إذا عرف الحقيقة سيراتاج، وخفيةً عني، بدأت تخبره بكل شيء، ومَن كان أبوه الحقيقي.

فكرت جويًا في تلك الأم المستلقية الآن فوق الفراش، وربما تشعر بالنعاس الشديد، وفي ذلك الخطأ الذي لا يمكن غفرانه الذي فعلته وهي تظن أنها تفعل الصالح، وفي الوقت نفسه كم تشعر الآن بالاشمئزاز من نفسها لارتكابها ذلك الخطأ.

- وبدايةً من هنا بدأ الجحيم. ساءت حالة لوكا تمامًا؛ لأن رفضه الآن أصبح له دافع، هل تفهمين؟ الآن كان لديه حق بالفعل أن يفكر في أنني لست أباه! كأنه شيء حقيقي بالفعل. نظرت جويًا إليه متشككة، ليست واثقة بأنها فهمت ماذا يقصد الآن.

- مَن أبوك؟ الذي جلبك إلى العالم أم الذي رأى لحظة ميلادك، وأخذك من يدك ليعلمك السير، والذي وضع في علبة صغيرة سنَّك الأولى؟ مَن أبوك؟ ذلك الذي أنفه يشبه أنفك، أم الشخص الذي كان دائماً بجوارك عندما احتجت إليه؟

أومأت جويًا بالموافقة، وهي تشعر فجأة بأن أستاذ الفلسفة، الذي عرفته فقط منذ بضعة أشهر، بالنسبة إليها هو أب أكثر من أبيها الحقيقي.

- أعلم أن الوقت متأخر الآن لأفكر في هذه الأشياء، وأستطيع أن أقولها لك أنت فقط؛ لأنني إذا قلتها الآن لزوجتي سترداد حالتها سوءاً، لكن... كنت أنا قد طلبت منها ألا تقول له شيئاً؛ لأنها ليست اللحظة المناسبة بعد، ولا بد أن تنتظر حتى يصبح قوياً بما يكفي،

لكنها كانت واثقة جداً، ومقتنعة، وكانت تعتقد أنه إذا عرف الحقيقة سيضع الأشياء في نصابها داخله، وسيعيد تنظيم كل شيء. أتفهمين؟ لكن ما حدث هو العكس تماماً، بدأ يراني عدوه، وكان يعتقد أنه في خطر، وبأنني أريد أن... يا إلهي، يصعب عليّ حتى أن أنطق بها. - فهمت. حاولت جويًا أن تساعد.

- بأي معنى فهمت؟ وكيف يمكنك أن تفهمي؟ توقفت جويًا عن التنفس. ابتلعت ريقها. سلكت صوتها، ثم حاولت أن تقول: لا أعرف، من الذي تحكيه لي، ربما... ربما اعتقد أنك تريد أن تؤذيه؟

- أجل، بالضبط، ودخل لوكا هكذا في المرحلة الثالثة. - المرحلة الثالثة؟

- كانت المتخصصة قد شرحت لنا أن هذا المرض له ثلاث مراحل، وفي تلك الأصعب، تبدأ تظهر أعراض بارانويا حقيقية، فيبدأ الذي يعاني منه في رؤية أشياء غير موجودة؛ فهو - لا أعلم كيف - لا بد أنه فكر في أنني أفكر في أن يؤذيه و... عندئذٍ نهضت جويًا وجرت إلى الحمام، دون أن تقول شيئاً سوى: آسفة.

جلست في الداخل خمس دقائق كاملة، خمس دقائق لا تعرف فيها ماذا تفعل.

ربما تلك الكتابة على المرأة؛ تلك التي قالت له فيها الأم إن أباه يريد أن يؤذيه، لم تحدث قط في الواقع. رآها هو فقط، ثم كسر المرأة وجرح نفسه، لكن هل يمكن بالفعل الوصول إلى هذه الدرجة، الوصول إلى الجنون بسبب الوالدين؟

أجل، ربما يحدث هذا، بل، وقد سألت جويًا نفسها هذا السؤال أكثر من مرة، كيف أنها حتى الآن لم تُجن؟ ما الذي

أنقذها من الثقب الأسود الذي تطلعت إليه أكثر من مرة، والذي كانت تكفي دفعة بسيطة لئسقطها في داخله؟

ربما الصور. ربما الكلمات التي تدونها في مفكرتها. ربما تونيا، أو الموسيقى، ربما تكون تلك الأشياء جميعاً، كلها معاً، منعته من السقوط في الهوة. ربما لم يعثر (لو) قط على الشيء الذي يمكنه إنقاذه. ربما.

إلا أن جوياء، في داخل ذلك الحمام، لم تعد تعرف ماذا تفعل. ليس أنها لا تعرف؛ بل تعرف جيداً جداً، لكنه أصعب شيء في العالم. أسقطت سايكي عن طريق الخطأ نقطة الزيت المغلية على جلد كيوبيد، وهكذا بإيقاظه بطل السحر. أما هي الآن، فستفعل ذلك متعمدة، وبكل وعيها، لا بد لها أن تحنث بوعدها معه. لأن (لو) مريض، ويحتاج إلى مساعدة، ويحتاج إلى أن يفهم أن أباه الحقيقي ليس ذلك الشخص المدفون في مكان ما، لكن ذلك السيد ذا العينين اللامعتين، والمندبل المبلل بالدموع في حجرة المعيشة في منزله، لا بد أن يعود ويعيد البسمة من جديد إلى أمه.

- لكن (لو) لن يأتي مرة أخرى ليراني.

- أعلم هذا يا حلوة.

- لن تكون هناك حجارة، ولا مباريات أسهم، ولا حتى أمسيات في الكنيسة الصغيرة.

- بالفعل.

تقف جوياء أمام المرأة، وصديقتها تجلس فوق المرحاض، وتمر الثواني.

- تونيا.

- قولي لي يا حلوة.

- ماذا يجب أن أفعل، اللعنة؟

- لا أعلم يا حلوة. الأمر يتوقف على ماذا تريد.
- أنا أريد (لو).
- إذن لا تقولي أي شيء لأبيه.
- لكنني أيضاً أريده بخير.
- إذن، اذهبي إلى هناك، وقولي له أين يختبئ.
- لا يوجد حل وسط، أليس كذلك؟
- أخشى أنه لا يوجد يا حلوة.
- شيء يحسن من حال (لو)، ويجعله أيضاً يظل معي.
- ربما عندما يشفى.
- إذا شفي، تقصدين.
- ثم، بينما كانت تجلس أمام المرأة تتحدث مع صديقتها المتخيلة، تذكرت جويًا شيئاً ما. تذكرت القصة التي حكاها (لو) لها؛ تلك الخاصة بمدينة الأشباح، في أعماق البحيرة. وعندما تذكرتها، فهمت الإجابة التي عرفتها منذ البداية؛ لأنها كانت تعرف دائماً ما يجب عليها عمله.
- اللعنة، كان هو من قال لي!
- من هو يا حلوة؟
- (لو)، هو الذي قال لي بالفعل ما الذي يجب أن أفعله. قالت جويًا.
- أي اختيار ستقوم به، شخص ما سيتألم. لا مفر هذه المرة: إنه أحد تلك المواقف، التي من المستحيل فيها ألا يتألم أحد. الأب، الأم، هي، (لو)، لا بد أن أحدهم سيتألم من أي قرار ستتخذه جويًا عندما تخرج من ذلك الحمام.
- سواء اختارت ألا تقول أي شيء، أم أن تقول كل شيء، لكنه في تلك القصة التي حكاها لها، أغرق الرب المدينة الشبح، ليس لأن

شعبها كان يتسبب في أذى أشخاص آخرين؛ بل لأنه مستحيل ألا يحدث. كان الرب غاضباً من سكان القرية الشبح؛ لأنهم توقفوا عن المحاولة، وتوقفوا عن أن يصدقوا بإمكانية هذا. هي لا تستطيع أن تفعل كما فعل شعب تلك المدينة القابعة في عمق البحيرة. لا بد أن تذهب إلى هناك وتقول ما تعرفه، تساعد والد (لو) في أن يعثر على ابنه، في أن يعالجه؛ لأن (لو) لن يكون بخير أبداً إذا لم يحل كل تلك الفوضى التي خلفها وراءه. كان يمكن بالتأكيد لجويا أن تطيل لبعض الوقت هذه الحياة السرية ولقاءاتهم فوق بجوار الكنيسة الصغيرة، والقبلات وما إلى ذلك، لكن هذا لن يكون صواباً، سيكون تصرفاً أنانيّاً، ولن تنتج عنه إلا سعادتها هي.

لا، إن جويا هي الفتاة التي، من صغرها، عندما كانوا يسألونها: «ماذا تريد أن تفعل عندما تكبرين؟» كانت تجيبهم دائماً بالإجابة نفسها: أن أسعد أحدهم.

توجد أشياء قليلة تعرفها جويا؛ أشياء متأكدة منها وستكون دائماً متأكدة منها. شيئان أو ثلاثة. وواحد من تلك الأشياء أن أسوأ شيء يحدث عندما يكبر المرء أنه يخون الطفل الذي كانه. إن ما يجب عليها عمله؛ الشيء الصواب، يكمن كله في قصة القرية الشبح.

وكان (لو)، في إحدى الليالي الأولى، التي تعارفا فيها، مَن قصَّ عليها ماذا يجب عليها أن تفعل، وما ستفعله.

الجزء الثالث

Besa (ألباني)

وعد لا يمكن نكثه؛ كلمة شرف، أن يتمسك المرء بقسمه.

1

إيه يا أداة التعريف...

مرت الآن أيام عدة، منذ تلك الليلة الأخيرة في منزلي (أوكي، ربما ليس هذا الوقت لأن أظهار بأنني لا أعرف: مرت عشرة أيام، وساعة وست دقائق).

أجل، إذا حسبتها جيداً ستكون قد فهمت أن الساعة الخامسة صباحاً وأنا أكتب إليك. سيكون من الجميل أن أستطيع القول إنني شخص صباحي، وأحب الاستيقاظ مبكراً لأملأ الأوراق بالحبر، لكن في الحقيقة أنا والنوم لا نتفق كثيراً في الفترة الأخيرة. لنقل إن أحداً يتجنب الآخر.

قالوا لي إنك لم تعد تريد أن تعرفني. في الحقيقة، كانوا في غاية الدبلوماسية، قالوا لي إنك حالياً تفضل ألا تتحدث مع أحد، لكن من الطريقة التي حدثوني بها، فهمت أن هذا هو المقصود.

حسناً، لقد فكرت أنه ربما يمكننا أن نصل إلى حل وسط: سأكتب أنا إليك، وهم سيحملون إليك ما أكتبه، ويمكنك أن تضعه هناك في أحد الأدراج القريبة من الفراش؛ لأنني أتخيل أن لديك طاولة جانبية بالقرب من فراشك في ذلك المكان، ثم

عندما تشعر ببعض الفضول، ربما، وتريد أن تعرف ماذا يحدث في هذه المنطقة، أو تشعر فقط بالرغبة في أن تسمع صوتي على شكل كلمات ملقاة هناك على تلك الأوراق بذلك القلم البيك المعضض، ربما وقتها يمكنك أن تفتح الأظرف وتقرأ، ثم تعود من جديد بهدوء إلى رغبتك في ألا تراني أبداً.
هل نفعل هذا؟

2

إيه يا (لو)...

قال لي والداك إنك لست في أحسن حالاتك في ذلك المكان، وبطبيعة الحال ليست لديك الرغبة في رؤية «أحد».
لا أدري إذا كانت هذه رسالة مُشفرة لي، لتقول لي إنك تتذكر عندما سألتك إذا كان اسمك (ولا أحد).
سأظهار بأنها كذلك، وسأكتب إليك؛ والسبب أنني لا أستطيع أن أكف عن ذلك؛ ولأنني أيضاً عندما أكتب إليك، على الأقل في الفترة التي فيها أكتب إليك، أنت هنا؛ ولهذا أيضاً أكتب ببطء شديد، وأخط الحروف بعناية واهتمام، وهكذا تمكث فترة أطول هنا معي.

أصبحنا في فصل الصيف تقريباً.

ليس الصيف فصلي المفضل، تعجبني أكثر الفصول التي لا تحمل اسماً، من نوع تلك الفترة التي تقع بين شهري أبريل ومايو، والتي تُعد جزءاً من فصل الربيع، لكنها تبدو كأنها فصل داخل فصل آخر أكبر؛ فالأيام تبدو للعين أطول، ويسود الشعور بأن هناك شيئاً ما انتهى، وشيئاً آخر لم يبدأ بعد. وأعشق شهر سبتمبر، والدقة أكثر، آخر أسبوع من شهر سبتمبر. نظراً إلى أن

الكلمات، التي لا وجود لها تعجبني، لا بد أن أمنح أيضاً اسماً لهذا الأسبوع، وأن أجعله مهماً في أهمية فصل كامل؛ لأن هناك في داخله يوجد كل شيء، أجزاء من الصيف، وأجزاء من الخريف وأحياناً من الشتاء أيضاً؛ لأنها أيضاً الفترة التي فيها تُخطط وتفكر ماذا تفعل طيلة السنة كلها، وكل شيء يبدو لك ممكناً، على الرغم من أن الأمر لا يكون هكذا. لكن مَنْ يهتم؟

ثم هناك أيضاً الفصول التي تقع بين الفصول، مثل شهري أبريل وسبتمبر، تعجبني كثيراً أيضاً؛ لأنها تلك التي تحتوي على turadh أكثر. والمقصود بتلك الكلمة، بالنسبة إليك أنت يا من تحب إيرلندا، بلغة الغال هي تلك الأشعة من الأزرق الداكن جداً، التي تتشكل بين السحب بعد العاصفة. أنا أعشق الـ turadh، يمكنني أن أمكث ناظرةً إليها لساعات.

سألت عن أخبارك، لكنني لم أحصل على الكثير. الشيء الوحيد الذي قيل لي إنهما رأيًاك شاردًا، وإنك تشعر بالضيق حيث أنت الآن.

في إحدى المرات، فقدت مفاتيح المنزل، كان عمري ثلاثة عشر عاماً، وكنت أعرف أنني إذا عدت إلى المنزل لأبي، سيلصقني في الجدار، وعندئذٍ حاولت أن أجرب تقنية أن أعيد خطواتي؛ وهكذا بدأت من حيث كنت، وأخذت أعيد التفكير في كل ما فعلته، وعندئذٍ أعدت بناء الترتيب، الذي كان: المدرسة - المنزل - أكلت - الواجبات في المكتبة، وفجأة، وقتها تذكرت أنني في أثناء وجودي في المكتبة ذهبت إلى الحمام، وربما سقطت مني مفاتيحي هناك. ربما نحتاج إلى أن نفعل ذلك في كل مرة نفقد فيها شيئاً: أن نعود إلى الخلف، ونحاول أن نكتشف متى بالتحديد فقدناه. لا أعلم، لكن يمكن أن تجرب هذا.

أتعرف، أنا أيضاً، جاءت لحظة فيها شعرت بالضياع.
ولست أنا فقط؛ بل بدأ الجميع يقولها لي، إنني على وشك
أن أفقد نفسي، وكان غريباً لأنه كان حقيقياً، في تلك اللحظة
ضعت، وكان ذلك بالتحديد في الليلة التي قابلتك فيها، وبالنسبة
إليّ بدا لي أنني عثرت على شيء ما، اللعنة، لأول مرة في حياتي
تعرفت على فتى، وتحدثنا معاً، وبدا لي أنه يتحدث مع الجزء
الخفي عني، بدا لي كأنه يعيدني إلى الاتصال مع ذلك الجزء؛
ذلك الجزء الجميل الذي لم يكن أحد قد رآه، ولا حتى أنا، في
نفسي، بعد.

أحياناً عندما تفقد نفسك لا يمكنك أن تعثر عليها بمفردك.
ربما في تلك المرات لا بد أن تترك لأحد آخر العثور عليك. أنت
هناك عثرت عليّ، وربما، مَنْ يعرف، ربما أكون قد عثرت عليك
أنا أيضاً. على الأقل أحب أن أفكر في الأمر بهذه الطريقة.
حزن.

جويا.

ملحوظة: آه، هل تعرف أنني أصبحت ماهرة في لعبة الأسهم؟
الآن أستطيع ألا أسدد على الجدار مرة من مرتين!

3

سلام...

لم أخبرك بهذا من قبل، لكن لديّ صديقة متخيلة اسمها
تونيا. طويلة القامة، وتحدث بلهجة جنوبية بعض الشيء،
وتلعب الكرة الطائرة. شخصية سوية، تقول الأشياء دائماً في
الوجه كما هي، لا مشكلات لديها، والشيء الذي يعجبني فيها
أنها تسألني أسئلة كثيرة. أجل، لديّ صديقة متخيلة تلعب

الكرة الطائرة، ومن حين إلى آخر تبدأ في سؤالي. وهل تعرف ما السؤال الذي طرحه عليّ من حين إلى آخر؟
تسألني عنك.

أجل، ربما نكون جالستين هناك على المقعد في المتنزه، أو هناك في غرفتي، وتسألني: كيف هو؟ وتقصدك أنت. عندئذٍ في كل مرة لا بد أن أمنحها إجابة مختلفة.

هل تعرفين ماذا تفعل الكلاب عندما لا تراكِ فترة ثم تحتفي بكِ وتقفز عليكِ من كل الاتجاهات وذيلها يتحرك بسرعة شديدة؟ هل تتذكرين كيف يمكنها أن تُشعركِ؟ أجل، مهم، عندما تفعل ذلك؟ إذن، (لو) يُشعرني بهذا في كل مرة أراه فيها.
هكذا أجيبها.

هل تحضرك أيضاً عندما تنصتين إلى الصمت في الليل، ويعجبك هذا لأن الصمت شيء نادر، على الأخص في منزلي؛ فأنتِ تكونين هناك، تحاولين التركيز، والاستمتاع بكل ذلك الصمت، ثم يحدث فجأة أن يتوقف المبرد عن أزيزه، وهنا فقط تُدركين أن ذلك، الذي مر عليكِ، لم يكن هو الصمت الحقيقي، وأن الصمت الحقيقي هو ما تنتظرينه الآن؟ إذن، (لو) هو اللحظة التي فيها يتوقف المبرد؛ ذلك الصمت الذي عندما يحدث يجعلكِ تُدركين معنى الصمت الحقيقي.

هكذا أجيبها.

وهل تتذكرين عندما يخترعون شيئاً جديداً، مثل الهاتف النقال على سبيل المثال؟ عندما وُلدت أنا، قالت لي أمي إنه لم يكن أحد يمتلكه؛ الأغنياء فقط كان لديهم هاتف نقال، وكان بحجم مقلاة المطبخ، ولم يكن في الإمكان وضعه في الجيب، وكان ثقيلاً جداً، حتى تحول خلال أعوام قليلة إلى شيء يمتلكه الجميع، وعندئذٍ كان

قليلون حتى وقت قريب مضى يمكنهم أن يعيشوا، جيداً جداً، دون هاتف نقال، وكانوا يستطيعون عمل كل شيء بلا أي مشكلات من دون تلك الأشياء، فجأة أدركوا أنهم لا يمكنهم الحياة بلا هاتف نقال، ويصبحون عصبيين ومتوترين، ويشعرون بالعجز؛ وهو شيء عجيب؛ لأنهم فقط قبل ذلك ببضعة أعوام لم يكونوا يشعرون بذلك الاحتياج. إليك، أنا أيضاً في النهاية رأيت (لو)؛ وهذا ما حدث لي، لم أكن أشعر قط بحاجة إلى هاتف نقال، وكنت أعتقد أنني يمكنني الحياة جيداً جداً من دونه، بل إنني عشت أفضل جداً من دونه، إلا أنه بمجرد أن وضعه أحدهم في يدي، وقابلته، حدث شيء كالسحر، وبدا لي أنني لا يمكنني الاستغناء عنه. أجل، هكذا أجيب صديقتي المتخيلة عندما تسألني عنك.

سلام يا neach-gaoill .

(أجل، إنها بالغيلة)...

(لا، لن أخبرك ماذا تعني).

4

أعلم أنني خنت عهدنا، وأعلم أنني فعلت شيئاً بسببه لا تريد أن تراني أبداً، وأعلم أن الوعد شيء مهم؛ وهكذا أيضاً كما أعلم أن هذه الخطابات التي أكتبها إليك منذ شهر تقريباً ينتهي أمرها مباشرة في سلة المهملات، لكنني أعتقد أنه لا بد أن تعرف بعض الأشياء، إذا كان هناك احتمال ولو ضئيلاً أنك تقرأ هذه الخطابات، فأنا أعتقد أنه من الصواب أن تعرف:

1. أنني أفقدك.

2. عندما قررت أن أذهب وأقول لأبيك أين تخبئي، كنت أعلم جيداً جداً أنني أخطر بألا أراك مرة أخرى أبداً.

3. لست شخصاً عادياً، ولست مثل الصديق الذي يسكن بجوارنا، والذي إذا لم أرك، ربما أستاذ بعض الشيء أو أبكي قليلاً وينتهي الأمر عند هذا الحد.

4. لا، أنت هو السبب الذي من أجله أضحك بلا سبب، أنت أول فيلم أشاهده بالألوان بعد أعوام من سينما الأبيض والأسود، أنت هو الهواء المشبع بالكهرباء قبل الثلج، أنت الريح التي تجعل الكيس يلف في ذلك المشهد من فيلم (الجمال الأمريكي)، أنت رائحة الخبز الساخن الخارج للتو من الفرن، أنت الصخرة التي تقفز على سطح البحيرة، وإيدي فيدر عندما يدخل فجأة بينما روجو ووترز يغني Comfortably Numb؛ ليغني القرار على الهواء، بينما لا يفهم الجمهور شيئاً بعد ذلك، أنت نقطة الشمع التي تسقط من الشمعة، وعلامة الوسادة على الوجنة، أنت رائحة النظافة والانتعاش بعد غسيل الأسنان، أنت تلك القنبلة من الأمطار التي تصل بعد يوم قاتم وترطب كل شيء، أنت.

5. أنت neach-gaoil بالنسبة إليّ، وأعلم أنك لا تعرف ماذا تعني، لكن يكفي أن تعرف أنها شيء مهم جداً، فهي...
6. ثم أنت لا تعلم أنني ذهبت إلى هناك، إلى العيادة حيث أنت، أو الشيء الذي لا أعرف اسمه، في ذلك المكان الذي يوجد فيه عدد ممن لا يشعرون أنهم بخير و...

7. تحدثت مع فتاة، تقريباً عمرها ثلاثون عاماً، وكانت تبتسم وتبدو أنها في أحسن حال، وقالت لي إنها في هذا المكان منذ ستة أعوام، وهل تعرف؟ قالت لي إنها هناك منذ أن مات طفلها، طفل عمره سنتان، مات غريقاً، وإنها منذ تلك اللحظة لم تعد تشعر بأنها بخير، لا تستطيع العمل، ولا فعل أي شيء؛ ولذلك

بعد أن تحدثت إليها فكرت: «آه، بالفعل».

8. فكرت أنني فعلت، في نهاية الأمر، شيئاً جيداً، حتى إن كنت قد فقدتك إلى الأبد، فعلت شيئاً جيداً؛ لأنني رأيت أباك ولم يكن بخير، وفقدان ابن شيء يمكن أن يتسبب في جنون الأشخاص، وأنت ابنه؛ ولذلك أنا سعيدة أنني قلت له عن مكانك، ويمكنني أن أعيد ما فعلته الآن وعلى الفور. هذه هي إذن الأشياء الثمانية، التي أرى أنك لا بد أن تعرفها. والآن أحبك يا أداة التعريف. جويا.

5

- ما الأخبار؟ أي جديد؟

كانت جويا تجلس أمام طاولة البار، وأمامها كابوتشينو وبريوش بالتوت.

- لا، لا شيء على الإطلاق، إلا أن الأب قال لي إنه أصبح أفضل بعض الشيء، وإنهم بالتدريج بدأ في التحدث.

- حسناً! ألسنت سعيدة؟ سألتها جوفانا، التي تتباهى بوشم جديد، ثعبان ملون يلف حول معصمها. لم تجبها جويا بالكلام، لكن بتعبير بوجهها يقول لجوفانا: لا، أنت تعلمين أنني لست سعيدة، وكيف يمكنني أن أكون سعيدة؟

قالت جويا بصوت بطيء، بينما تشرب الكابوتشينو: أتعرفين، كنت أظن أنه عندما سيبدأ في التحسن...

- آه، فهمت، سيرغب في لحظة ما أن يراك.

أومأت جويا. ومن التلفزيون المعلق في أعلى كانت تُسمع موسيقى الإعلانات، وفي الشرفة كانت توجد على الأقل خمس

موائد مشغولة، أخيراً بدأ البار يزدهم.

- أعتقد أن هناك شيئاً ما ربما لم تفكري فيه قط، لكن لا أعلم إذا كان يجب عليّ أنا أن أقوله لك. قالت لها جوفانا وهي تملأ صينية بالعصائر والقهوة.

- أي، من واحد إلى عشرة، كم هو سيئ هذا الشيء؟ سألتها جويا، التي كانت تعلم بالفعل أن هذا لن يعجبها.

- سأخذ الصينية وأقوله لك، من واحد إلى عشرة سيكون سيئاً بدرجة مائة.

وبينما تمضغ البريوش، تفكر جويا في أنها في أثناء هذا الشهر فحصت كل الاحتمالات؛ ولذلك لا شيء من الذي يمكن لجوفانا أن تقولها لها سيصيبها بالدهشة، لكنها عندما عادت إلى الطاولة، ومن مجرد نظرتها، عرفت بالفعل أنها لا بد أن تعيد حساباتها. قالت لها: جويا، ربما لم تقيّمي بالدرجة الكافية ذلك الشيء، الذي سنطلق عليه «مرضه».

أتعرفين، لقد قابلت عدداً من الرجال الذين يوجد شيء ما لا يستقيم في رؤوسهم، بل ولأكون صادقة، أعتقد أنني لم أقابل سوى رجال هناك خلل ما في رؤوسهم، وهناك درس تعلمته من الجميع هو التالي.

نظرت جويا إلى جوفانا وجوفانا إلى جويا.

- أي درس؟

- أحياناً يبحث الرجال عنا، عندما لا يكونون على ما يرام، ولمجرد أنهم ليسوا على ما يرام، ثم، عندما يعبرون تلك المرحلة، ويعود كل شيء إلى صوابه، وربما يكون ذلك قد حدث بفضلك أنتِ التي أخرجته من الحفرة التي سقط فيها، يرحلون بعيداً.

6

تقريباً قال لها الجميع ألا تفعل ذلك.

جوفانا، والاختصاصية، وتونيا، والجميع. حتى الجدة جيماً، عندما أخبرتها عن ذلك الذي تريد أن تفعله، كان وجهها غريباً. ربما لم يكن هذا يعني شيئاً، لكن بدا لها كأنها تريد أن تقول لها بلهجتها، عندما كانت تتحدث: يا للغباء!

ذلك الذي لم يفهمه أحد أن جوياء لم تكن تريد أن تفعل ذلك لتعيد (لو) إليها بطرق ملتوية، ولا أن ترسل إليه رسالة، أو من يدري ماذا. كانت تريد أن تفعله فقط لتفهم؛ ولتضع القطعة الأخيرة التي تنقص في مكانها.

- من؟

- أنا جوياء، كنت قد اتصلت من قبل من...

- تفضلي تفضلي، سأفتح لك.

الآن تعرف الطريق. في الحقيقة، كان يجب عليها أن تذهب حتى قبل هذا، نظراً إلى أن والد (لو) قد توسل إليها كثيراً أن تمر لتزورها في كل مرة كانت تتصل به لتسأل عن الأخبار. كان يقول لها دائماً: تعالي لزيارتنا، لكن لم تكن جوياء تشعر بعد برغبتها في الذهاب. لم تكن لديها ذكريات حسنة مع ذلك المنزل.

إلا أنها في هذه المرة حسمت أمرها: تشجعت، واتصلت لتخبرهما أنها ستمر. وضعت حذاءيهما، وربتت على جيماً، ورحلت. والآن كانت تقف هناك، ورنّت الجرس للتو. بعد بضعة ثوانٍ من الانتظار، فُتحت البوابة، ثم ها هي جوياء، أخيراً، تقف أمام والدتها (لو).

في أحد الأيام، دخل الأستاذ بوفه إلى الفصل بميزان ضخمة؛ أحد تلك الموازين القديمة، مصنوع كله من المعدن، بأطباق من النحاس معلقة على سلاسل، ثم أعطى لكل طالب حجراً، جميعها تقريباً متساوية في الوزن. وفي النهاية قال: الآن سأحكي لكم قصة سيكون فيها شخص طيب وآخر شرير، وسأترك لكم الميزان هنا، ثم عندما ترغبون، يمكنكم أن تأتوا إلى هنا وتضعوا حجركم في أحد الصحنين، في الصحن الذي يخص مَنْ تظنون أنه الطيب في القصة.

لم يطرح أي منهم أي سؤال؛ فقد كان الأمر يبدو في غاية الوضوح.

- حسناً. كان يا مكان نجار عليه كثير من الديون؛ وليمكن من سدادها كان يمضي الساعات الطويلة وهو يعمل في ورشته. كان يوجد بين المقاشط والمطارق والمسامير والبرادي في تلك الورشة الصغيرة نحو خمس عشرة ساعة يومياً، ويكسر، حرفياً، ظهره، إلا أن هذا النجار كان لديه ابن كبير، عمره عشرون سنة، يجلس طوال اليوم في المنزل دون أن يفعل أي شيء، ولم يذهب قط ليساعد أباه في ورشته. كان الأب غاضباً جداً منه، وفي المساء يلومه لأنه لا يذهب لمساعدته، إلا أنه في كل الأحوال يعد له العشاء ويأكلان معاً.

وهنا، توقف الأستاذ، ولم يعد يتحدث.

- أهذا كل شيء؟ هل انتهت القصة هنا؟ سأل أحد زملائها.

- أجل، هذا كل شيء.

نهض كل الأولاد، وذهبوا ليضعوا جميعاً حجارتهم في الصحن نفسه؛ صحن الأب.

وعلى الفور، رجحت الكفة لصالحه، وعاد كل الأولاد إلى أماكنهم.

- آه، لا. قال بعد ذلك البروفيسور بوفه، نسيت أن أقول لكم شيئاً.

- ماذا يا أستاذ؟

- إن ابن النجار لم يكن يستطيع أن يذهب ليعمل؛ لأنه كان مريضاً جداً، وكان مجبراً على البقاء في الفراش، ولا يستطيع حتى أن ينهض من مكانه.

عندئذٍ بدأ الفصل في الاعتراض وأن يقول: لكن لا يا أستاذ! هذا لا يصح! وسأل أحدهم إذا كان يمكنه أن يذهب ليحرك الحجر من مكانه.

- بالتأكيد، يمكن للمرء دائماً أن يغيّر رأيه، أليس كذلك؟ أجابهم الأستاذ، عندئذٍ قاموا جميعاً وذهب كل منهم ليحرك حجره ويضعه في الكفة الأخرى. الآن أصبحت كفة الميزان تميل ناحية جانب الابن.

وهنا انتظر الأستاذ عندما عادوا جميعاً إلى أماكنهم، ثم بدأ من جديد: آه، والآن عندما أفكر مرة أخرى، أجد أنني نسيت أمراً آخر! قال، ومن جديد اعترض الفصل، لكن هذه المرة بطريقة أشد من السابقة. إن الابن هو مَنْ تسبب في كل الديون، فقد أنفق نقود أبيه قبل ذلك بفترة، ثم أصابه المرض بسبب الحياة المنحلة التي عاشها بتلك النقود. يكفي هذا، أعدكم أنني لن أغيّر القصة بعد الآن!

عندئذٍ قام الفصل، دون حتى أن يسأل، وذهب للمرة الثالثة ليضع كل منهم حجره الصغير، وقد حكموا بالإجماع أن الأب هو الطيب، والابن هو السيئ.

- إن درس اليوم عن الأخلاق، عن الصواب والخطأ. ما الذي أردت أن أريكم إياه، في رأيكم؟

- إننا يجب ألا نشق بالأساتذة أبداً. قال كازالي. وضحك الفصل كله والأستاذ معهم.

- أجل، ربما. لكن الأهم من ذلك أريد أن أطلعكم كيف أن هناك قاعدتين كبيرتين للأخلاق؛ اثنتين فقط، غاية في البساطة. الأولى بالطبع صعبة، صعبة على نحو مؤذٍ وهي أن نقول إن هذا الصواب هنا والخطأ هناك. دائماً، في كل المواقف، حتى في تلك التي تبدو لكم في غاية الوضوح، لا يمكن أن يكون الصواب كله هنا، والخطأ كله هناك. في الواقع توجد القاعدة الثانية، تلي تلك على الفور. توقف الأستاذ، والتفت، وبدأ يأخذ الحجارة من الكفة، الواحد تلو الآخر، ويلقي بها على الأرض أمام الفصل كله. وفي النهاية، وفي خلفية ضوضاء الحجارة، التي كانت تتساقط على الأرض، قال: والقاعدة الثانية: لا تحكموا على حياة الآخرين، إلا إذا اضطررتم إلى ذلك، لكن بما أنكم لستم «آلهة»، ولستم قضاة، إذن تجنبوا أن تفعلوا ذلك قدر استطاعتكم.

8

عندما فتحت أم (لو) الباب، بدت مختلفة تماماً عما تتذكره جوياء... ترتدي ثوباً طويلاً بورود، كان شعرها مُنسداً ووجهها مضيئاً. تبدو كأنها عادت إلى الخلف عشر سنوات في شهر واحد. - تفضلي، تفضلي. ادخلي. أخيراً يمكننا أن نتعارف كما ينبغي. قالت لها وهي تصحبها إلى الداخل.

حتى المنزل يبدو مختلفاً: أقل تحديداً، وأقل كمالاً، يوجد كثير من الفوضى مقارنةً بالمرة الأخيرة التي رآته فيها جوياء،

والغريب أنه بدا لها بهذه الطريقة أجمل، أكثر ترحيباً. المرة الأخرى كان هناك بعض التوتر أينما وضعت يدها، لكن الآن تشعر براحة أكثر.

- لم يتوقف زوجي عن التحدث عنك، أتعرفين؟

- واو، فأنا مشهورة إذن.

لم يجلسا على أريكة غرفة الجلوس، لحسن الحظ! لكن في الحديقة الخلفية. كان متنزهاً كبيراً تملؤه الأشجار وفيه مقصورة معدنية، أسفلها مقعدان لونهما أبيض من الخشب القديم. لم تستطع تحديد الانطباع الذي تتركه لديها تلك المرأة، الآن وهي تراها أمامها. مؤكداً أنها كرهتها، كرهتها كثيراً؛ لأنها تسببت في إيلام (لو)؛ ولأن (لو) لم يعد يريد التحدث معها، فكأنها قد تسببت في أذاها هي أيضاً. أو ربما، أكثر من كونها تكرهها، أرادت أن تفعل ذلك، ثم في نهاية الأمر نفذت القاعدة الأخلاقية الثانية التي علّمها لها بوفه، خصوصاً أنها في كل مرة تحاول ذلك، تعود إلى ذهنها صورتها وهي تسير منحنية في أثناء عودتها من الشؤون الاجتماعية في تلك الظهيرة... في كل مرة ترى من جديد تلك الخطوة البطيئة وهي تستند إلى زوجها. والآن تجدها هناك أمامها، بتلك الابتسامة التي تشبه كثيراً ابتسامة الناجين من الغرق، أو الناجين من الحرب.

قالت لها: لدي شيء لك.

همست جويًا متشككة: لي... لي أنا؟

- في الحقيقة، هو لدي منذ بضعة أيام، كنت أريد أن أجلبه لك في المنزل، لكن نظراً إلى أنكِ اتصلتِ... أجابتها أم (لو) وهي تنهض، وعادت إلى داخل المنزل، واختفت خلف الستائر، ثم بعد بضع ثوانٍ عادت من جديد لتجلس أمامها.

وفي يدها كانت تمسك بظرف مغلق بإحكام. في الخارج كانت مكتوبة كلمة واحدة: (شيء). عندما فتحته، وجدت جويًا في الداخل حجرًا صغيرًا جدًا، وقطعة من الحصى، وورقة مكتوبًا عليها بخط صغير متشابك.
- أعطاه لي، وقال لي أن أعطيه لك.

9

مرحبًا يا (شيء)...
لم تكوني تتوقعين ذلك، صح؟
أجل، إذا كان سؤالك هو: هل ما زلت غاضبًا منك، فالإجابة هي نعم.
لا، إذا كان سؤالك هل لديّ النية لأن أظل غاضبًا للأبد، فالإجابة هي لا. في نهاية الأمر، جزء من العمل الذي أقوم به هنا، أو أغلبتيه، يهدف بالتحديد إلى أن أفهم كم يساعدني البقاء هنا.
لكن أريد أن أحيي لكِ شيئين، حتى تستطيعي أن تقبلي وتفهمي ما سأقوله لكِ في نهاية خطابي.
الشيء الأول أنني هنا استطعت أن أفهم أشياء كثيرة، أشياء كثيرة عن نفسي لم أكن أعرف عنها شيئًا، عن عائلتي، وأبوي، وعني أنا وأنتِ أيضًا.
أتعرفين، هنا لا بد أن أتقابل كل يوم مع طبيب، ويجب أن أتناول أيضًا بعض النقاط من شيء شفاف ومذاقه بشع كأنه عصير فاكهة حامض. في البداية، لم أكن أريدها على الإطلاق، لكن بالتدريج شعرت بأنها تجعلني أشعر ببعض السعادة؛ ومن ثم الآن أخذها، لكنني لم أكن أريد أن أحدثك عن هذا.

كنت أريد أن أخبرك أنني بالتحدث مع هذا الطبيب اكتشفت شيئاً مهماً ربما يكون السبب في كل هذا؛ هو شيء سيئ حدث لي وأنا صغير، وربما، كما تقولين أنتِ، هو المكان الذي فيه فقدت مفاتيح المنزل (أجل، قرأت خطاباتك. لا، ليس على الفور، فعلت ذلك عندما شعرت بالرغبة في أن أفعل ذلك كما قلتِ أنتِ، لكنني قرأتها).

اليوم، الذي فقدت فيه مفتاح المنزل، كانت الشمس فيه رائعة الجمال، هل تحضرك فترات بعد الظهر، التي تظهر فيها الشمس بعد صباح مليء بالمطار؟ كانت فترة بعد الظهر، وأنا في طريق عودتي من تدريب كرة القدم. كان عمري أحد عشر عاماً، وتعرفين، في تلك المرحلة، التي فيها كنت أريد أن أثبت لوالدي أنني أحب الرياضة، لكن في ذلك اليوم، بالتحديد، كنت أدركت أنني أكرهها بشدة، وأنني لا أصلح لذلك على الإطلاق؛ وهكذا تظاهرت بأنني أشعر بألم في كاحلي، وعدت إلى المنزل مبكراً بدراجتي، إلا أنه، بطبيعة الحال، لم يكن بإمكانني العودة مباشرةً إلى المنزل، وإلا سيسألاني أن أفسر لماذا عدت مبكراً من التدريب؛ وهكذا أخذت دراجتي وذهبت إلى الحقول البعيدة بعض الشيء عن منزلنا، وهناك يمر نهر ميدونا؛ النهر نفسه الذي بالقرب من الجبل يشكل البحيرة التي توجد فيها المدينة الشبح. باختصار، وبينما أنا في المسارات وسط حقول الذرة على دراجتي، سمعت ضوضاء واقتربت، وهناك، وفي نهاية حقل الذرة، وبجوار بعض النباتات، رأيت سيارة أبل، وهو في الداخل، ومعه امرأة، امرأة شابة، وكانا عاريين، بالتأكيد تفهمين. في ذلك اليوم، لم يدرك أبل أي شيء، ولم يعلم أنني رأيته.

يقول الطبيب إنني ألقيت بهذا الشيء في عمق صندوق ما، ووضعت في أسفل في المخزن، لكن من هنا بدأ كل شيء في

الانهيار، جبراً بعد الآخر، لكن كل شيء تحطم منذ هذه اللحظة؛ لأن أُمِّي أيضاً اكتشفت أن أبي يخونها؛ لهذا بدأت تحدّثني عنه بسوء، بينما في داخلي، في عمق ذلك الصندوق المخزون، كنت أكرهه بالفعل.

ومن هنا، انطلق كل شيء. ومن هنا فقدت مفاتيحي. أجل، أعلم أنني غاضب منك، لكن لا بد أن أشكرِك أيضاً لأنه بفضل ذلك الشيء الذي قلّته لي أنتِ عن تلك المفاتيح حسمت أمري، وبفضل ذلك الذي كتبتَه لي اكتشفت أين فقدتها. شيء، أنا لا أعرف إذا كنت سأشفئ.

شيء، أنا لا أعلم إذا كنت سأصل أم لا إلى سلام مع أبي لهذا، ومع أُمِّي لما تلى هذا. ربما سيحدث، هنا يقولون ذلك.

لكن الفكرة أنني لم أعد أرغب في البقاء هنا، أتفهمين؟ لا تعجبني فكرة أن يؤذي الناس أناساً آخرين. أريد أن أبدأ من الصفر. أريد أن أعود إلى تلك المدينة الشيخ، أريد أن أنطلق من هناك، قبل أن تبتلعها المياه، أريد أن أبدأ بالتنفس، وقد فهمت أنني أستطيع أن أفعل هذا فقط بالابتعاد عن هنا، بالابتعاد عن الجميع.

أجل، وإذا كان السؤال الذي تسألينه الآن: حتى عنكِ؟ فالإجابة هي أجل.

أتعرفين، شيء آخر من الأشياء التي فهمتها من وجودي هنا أنني حقيقي، حقيقي، حقيقي، وَصَّعِي كل (حقيقي) ترغبين فيها، لا يمكنني أن أكون وغداً وأنا نيتاً إلى حد أن أصبحكِ معي داخل بعض الأنفاق، التي أجد نفسي فيها كثيراً؛ لأنني أستطيع أن أرى، وأنا في مكاني هذا، أنها ليست مشكلتي فقط، لكنه شيء مُعَدِّ، إنه مرض مُعَدِّ يمكن أن يطالك أيضاً. سيكون كمن

لديه مرض يمكن نقله بسهولة، وأسمح لنفسني ببساطة أن أنقله للآخرين، لأنني بوجودي معهم فقط أشعر أنني في حال أفضل. عندما كنا بمفردنا أنا وأنتِ، والعالم بعيداً كل البعد عنا، كأننا داخل طائرة تطير على ارتفاع ثمانية آلاف متر، أنا وأنتِ فقط، ولا يوجد ظلام، كان الظلام بعيداً في حاله، يلمسني من حين إلى آخر ثم يرحل على الفور. المشكلة أنني فهمت أنه لا يمكن العيش دائماً داخل تلك الطائرة، وأنه لا بد من النزول إن عاجلاً أم آجلاً، وأنه لا بد لي أن أحاسب أنا والظلام.

إليك، أنا لا أريد أن آخذك داخل ذلك الظلام. لا، لا أريد أن أكون هذا النوع من الأشخاص. لا أريد أن أكون مثله، لا أريد أن أفكر في نفسي فحسب. لا أريد أن ألوثك. ربما لا يهتمني الآخرون كثيراً، لكن أنتِ لا. لا يمكنني أبداً أن أفعل هذا بك. إليك سأقي فقط في اليوم الذي أكون واثقاً تمام الثقة بأنني خارج هذا الظلام، وبأنني لن أتسبب في أي شيء يؤذيكَ.

لكن هذا لن يحدث أبداً، حتى إن أكد الأطباء عكس هذا. قريباً سأخرج من هنا.

وإذا وافق الأطباء، سأذهب مع أبوي إلى مكان ما؛ فلورنسا على ما أعتقد. يريدان أن نبني علاقة ما، أن نقضي بعض الوقت معاً.

من جهة، أشعر بالغضب منهما، ومن جهة أخرى، أشعر بالامتنان أيضاً من جهتهما؛ لأنه من الواضح أنهما يفعلان المستحيل ليصلحا ما انقطع.

المشكلة أن هناك أشياء لا يمكن إصلاحها. الحجارة، بمجرد أن تضربها بقوة على الأرض وتحطميها، لا يمكن أن تعود مرة أخرى

كما كانت، لا يمكن إصلاحها، تصبح شيئاً آخر؛ حجارة أخرى،
بقصة أخرى.

لهذا سأفعل هذا.

عندما سنكون هناك، سأخذ خفيّة بطاقة الائتمان الخاصة
بأبي، وسأسحب منها ما أستطيع من نقود، وسأرحل.

سأذهب إلى المكان الوحيد، الذي يمكنني أن أطلق عليه،
أخيراً، منزلي؛

ولذلك فهذا هو خطابي للوداع، لكِ أنتِ.

لأقول لكِ شكراً على إهدائك لتلك اللحظات التي كانت
الأجمل، وأنيك وضعت لي على الأرض ما يكفي من حجارة لأعثر
من جديد، إذا لم يكن على الطريق إلى منزلي، على الأقل على
الطريق الذي لا بد أن أتخذه.

سلاماً يا (شيء).

لو

الجزء الأخير

(بعد ذلك بشهر)
Ming-gat (إندونيسية)
الرحيل دون وداع

1

هناك فتاة تقف على سطح إحدى بنايات وسط المدينة عند الغروب في أحد أيام شهر يوليو، أحد تلك الأيام الطويلة جداً، والشمس فوقها مليئة بالخطوط الحمراء والبرتقالية. بين يديها ورقة، قرأتها مرات وأعدت قراءتها مليون مرة، كلمتها الأخيرة مكونة من حرفين، كانا بالنسبة إليها حتى وقت قريب مجرد أداة تعريف، لكنها الآن أصبحت كل الحب الذي اختبرته في حياتها. هناك أيضاً حجر صغير، قطعة من الحصى، تضعها في جيب سروالها، قبل أن تطوي الورقة.

ويوجد أستاذ ينتظرها في منزله، بينما يملأ حقيبة صغيرة بملابس وكتب: ومن حين إلى آخر يرفع سروالاً أو قميصاً؛ ليضع بدلاً منه كتباً أخرى.

هناك مُسن يجلس أمام مائدة في مطبخ منزله القديم، بالقرب منه يجلس كلب صغير جداً، أمامه صورة بالأبيض والأسود لشاب، وفي يده يمسك بكوب من البراندي الإيطالي.

هناك أيضاً كلمة باللغة الرومانية من ثلاثة حروف فقط، وبهذه الحروف الثلاثة فقط تستطيع أن تعبر عن فكرة لا يكفي كتاب واحد أن يصفها كلها، والكلمة هي dor، التي تعني «المعاناة التي يمكن الشعور بها بسبب الانفصال عن الحبيب».

هناك امرأة تغطيها الوشوم تقف على قدميها خلف طاولة بار، تهمس بسباب وحدها، بينما للمرة الألف، تضيف الرغبة إلى كوب الكابتشينو لامرأة عجوز.

وتوجد أغنية لبينك فلويد اسمها «ليتك كنت هنا»⁽³³⁾، وتحدث عن شخصين بعيدين؛ واحدة من الاثنين تقول في لحظة ما إن المسافة روحان ضائعتان يسبحان في حوض للأسماك.

يوجد أب يسير بجوار ابنه، في البداية عند مطلع الجسر القديم⁽³⁴⁾، ومن حين إلى آخر، ينظر إليه ويتسم؛ لأنه لم يكن يتخيل قط أنهما سيتمكنان من السير معاً.

توجد امرأة عجوز تغطيها تجاعيد فائقة الجمال، في داخل حجرة صغيرة أسفل سلم في شقة من شقق المنازل الشعبية، وفي أذنيها سماعتان تُرسلان أغاني أوبرا قديمة.

يوجد قط قفز من اللا مكان، ودمّر للتو الصورة المؤطرة نفسها. داخل تلك الصورة كان يوجد رجل وامرأة وطفلة. الطفلة تمسك في يدها آلة تصوير لعبة، وتبتسم.

وتوجد الفتاة نفسها، واقفة على السطح، ممسكة بتلك الورقة بين يديها، وها هي تنتهي من طيها وتصنع منها طائرة صغيرة. وها هي تبتسم وهي تنظر إليها، وتستعد لتلقيها مباشرة نحو الشمس.

.Wish you were here – Pink Floyd (33)

.Ponte Vecchio (34)

وفي النهاية، ها هي تفعل ذلك.

2

- منظر جميل من هنا.
- شكراً.
- أتخيل أن حضرتك تقضي اليوم كله في هذه الشرفة يا بروفيسور.
- أجل أغلب الأوقات.
- حتى في الصيف؟
- في الصيف، أغلق هذا المنزل، وأذهب في جولة حول العالم. وأعتقد أنني هذا العام سأذهب إلى بريطانيا.
- لماذا بريطانيا؟
- اللون الأحمر. هناك الأفضل، حتى إن لم يكن كثيرون يعرفون هذا.
- تقصد البيرة؟
- لا، أقصد النساء، لكن البيرة أيضاً.
- آه.
- لماذا هذه الزيارة يا آنسة سبادا؟
- أولاً لأشكرك.
- لكن على ماذا؟
- لأنك ساعدت على نجاحي. أعرف أنك لن تعترف بهذا أبداً، لكنني مستعدة لأن أقسم إنني مدينة لك بهذا.
- لا، اهدي، سأعترف بهذا بكل سرور يا عزيزتي: فبدرجاتك، التي حصلت عليها في العلوم والفيزياء والرياضيات، كانوا بالتأكيد سيجعلونك ترسبين، ودون أن يفكروا مرتين!
- إذن، أشكرك، حقاً.
- ثم؟ هناك شيء آخر، أليس كذلك؟

- بلى، يوجد شيء آخر. شيء كالسؤال، لكنني لا أعرف إذا كان سؤالاً بالفعل، وأريد أن أخبرك بشيء ما.
- كلي آذان صاغية.
- لقد قرأتها كلها، تلك القصة.
- أي قصة؟
- قصة الاثنين؛ سايكي وكيوبيد.
- آه حسناً. إذن؟ ماذا استخلصت منها؟
- استخلصت أن كل هذا في رأيي هراء فارغ.
- معذرة؟
- أجل؛ تلك القصة، التي قلتها حضرتك أيضاً، إن الحب هو شيء يتم في الظلام، وإنه لا يحب أن يكون فيه نور العقل، هو كأننا نقول إن الحب جنون، أليس كذلك؟ في النهاية هذا هو المغزى.
- أعتقد أن الأمر يتعلق بهذا أيضاً، أجل.
- حسناً، كل هذا كذب.
- أفهم، لكن على الأقل يمكنك أن تشرحي لي لماذا؟
- الجميع يصر على هذا المفهوم، سواء الأغاني أم الأفلام، أن الحب جنون، ويبدو دائماً أنه عندما يقع اثنان في الحب يفقدان عقليهما تماماً، ويرتكان أشياء عجيبة، أو يفقدان القدرة الكاملة على الفهم؛ أي يظلان تماماً في الظلام، بلا أي ضوء، تعميهما الشهوة وما إلى ذلك.
- وحضرتك لا تصدقين أن الأمر كذلك. صحيح؟
- لا، ليس كذلك، ولا حتى بعض الشيء. ليس الأمر هو عندما يحب المرء يمرض: بل عندما يحب المرء يشفى. إنهم الآخرون؛ أولئك الذين لا يحبون، هم المصابون بالجنون؛ المخبولون. إن من يحب؛ من يحبون حقاً، هم الأصحاء، الأصحاء الوحيدون في عالم المجانين.
- أتعرفين أنني في السنوات الحادية والسبعين من عمري لم أر الأمر

قط بهذه الطريقة؟

- حقاً؟

- نعم، قط.

- محظوظ؛ لأنني أنا جربت ذلك الشيء، أجل، أعرف أنه لم يستمر وقتاً طويلاً، وربما تريد أن تضحك لذلك، لكن بالنسبة إليّ كان الأمر كأنه استمر أعواماً، وجربت ذلك الشيء عندما كان ضوءاً فقط وكان مجرد ظلام، وحتى إن استمر الظلام طويلاً، ولا يزال حتى الآن مستمراً، إلا أنني أعلم شيئاً واحداً، أشهره، أنني قبل هذا لم أكن بخير على الإطلاق، وأنني قبل ذلك لم أكن أنا بالفعل، ربما من حين إلى آخر أقترّب من نفسي، لكن لم أكن ذلك الشخص، أعتقدت أنني كذلك، لكن بدأت أكون نفسي بالفعل فقط عندما وصل هو، دون أن يفعل أي شيء، لم يقلب الجبال، لكن كفاني وجوده، هذا ما فعله، وُجد، وبوجوده وُجدت أنا أيضاً، وعثرت أخيراً على نفسي؛ تلك التي لم أكن أعرف عن وجودها، لكنها كانت دائماً موجودة.

- يا إلهي!

- أجل.

- كان أبوليوس سيفخر بك.

- وحضرتك؟

- أنا؟

- أجل، ماذا تقول لي عن كل هذه القصة؟ هل ما زلت تؤمن بأن

الحب هو أن نطفئ النور؟

- هل تريد أن رأيي المخلص؟ الحقيقة؟

- أجل.

- الحقيقة يا جوياء، بعد كل ما قصصته عليّ حول أن الحب هو أن

نطفئ الضوء، أفكر في شيء واحد فقط.

- وما هو؟
- أن هذه كذبة كبيرة جداً.

3

- بحث عنك والد ذلك الفتى، سيتصل مرة أخرى في التاسعة.
عند عودتها إلى المنزل، وجدت جويًا ورقة ملصقة على المبرد.
على كل حال، كانت تعرف ماذا حدث بالفعل. كانت تنتظر ربما شيئاً أكثر دراما من هذا، على سبيل المثال أن تستقبلها أمه وهي تبكي، يائسة؛ لأن (لو) هرب من جديد؛ لأنها بالفعل ليست بحاجة إلى أن تهاتف المهندس دي باولو لتعرف ما حدث.
- هل تظنين أنه فعلها؟
 - حسناً يا تونيا، هل تستطيعين أن تتخيلي سبباً آخر من أجله سيتصل بي الأب في المساء من فلورنسا؟
 - ربما كان يريد فقط أن يحييكِ.
 - طبعاً، طبعاً.
- فتحت جويًا سبادا المبرد، وأخرجت الجبن الشرائح والمايونيز والطماطم، وأعدت لنفسها شطيرة، ستأكلها بمفردها في المطبخ. ربما ذهب أبواها إلى بار ما، أخيراً، ومع وصول المرتبات الأولى، يخرجان أكثر، حتى إذا كانا يعودان مبكراً جداً.
- في رأيك، أين ذهب الآن؟
 - حسناً، يبدو لي الأمر واضحاً جداً يا تونيا.
 - إلى إيرلندا؟
 - ربما هو الآن بمفرده في المطار، أو في سيارة أجرة. على كل حال، أجل، سيذهب إلى هناك.
 - وهل ستقولين لأبيه؟

- لا، هذه المرة لا. هذه المرة لم يرحل لأنه متألم؛ هذه المرة رحل لأنه شفي.

انتهت جويًا من تناول الشطيرة، وشربت بعض الماء، ودخلت تستلقي على الفراش، وفي أقل من دقيقتين، غطت في نوم عميق. لم تشعر حتى، أسفل في غرفة المعيشة، بالتلفون وهو يرن في التاسعة تمامًا.

4

- تحييكم السكرتيرة الإلكترونية لمنزل سبادا. اتركوا رسالتكم بعد الصفارة.

- جويًا، مساء الخير، أنا والد لوكا. آسف إذا كنت أتصل في هذه الساعة، لكن... حدث من جديد ولا أعلم بمن أتصل. ربما يمكنك أن تساعدني... اختفى لوكا اليوم، مرة أخرى... كنا في أحد مقاهي وسط المدينة، ومجرد أن شردنا نحن الاثنين لشوان لم نجده، اختفى وسط الزحام. المشكلة أنه أخذ بطاقات الائتمان الخاصة بي معه. صدقيني نحن في حالة شديدة من اليأس، لم نكن نتوقع ذلك على الإطلاق، فقد كان هادئاً جداً في تلك الفترة. أرجوك، أبلغيني إذا سمعت أو عرفت أي شيء.

5

- لكنك كنت تعرفين هذا بالفعل؟

- أجل، لكن أرجوك، لا تقولي هذا لأحد، أوكي؟

كانت جويًا سبادا تجلس إلى مائدتها في البار، وأمامها جوفانا، التي كانت تحمل بين يديها طفلة صغيرة، ومن حين إلى آخر تطعمها ملعقة من عصير الفواكه.

سألته جويًا: ما اسمها؟ وأطلعتها جوفانا على أحد الوشوم الموجودة

على ذراعها؛ حيث كُتب أندريا.

- اسم جميل! أحب الأسماء التي تصلح للذكر وللأنثى! قالت جويا وهي تبسم.

- والآن، ماذا ستفعلن؟ هل ستقولين لأبيه أين هو؟

- لا، لا أعتقد. هذه المرة سأترك الأمر؛ لأنني أيضاً ربما أعرف الدولة فقط، ولا أعرف بالتحديد أين هو.

وضعت جوفانا في فم الطفلة ملعقة أخرى كبيرة من العصير، وأكلتها بسعادة، وجمعت بالملعقة نقطة عصير سقطت على شفتها، ودون أن تنظر إليها سألتها: وأنتِ كيف حالك؟

- هكذا. أجابتها وهي تنظر إلى الشفتين الصغيرتين للطفلة.

- إيه، أعلم ذلك. أنتِ لا تعرفين كم من المرات حدث لي هذا، لكن هل أستطيع أن أقول لك شيئاً، ربما أفادك؟

نظرت جويا إلى أندريا الصغيرة، التي كانت تنظر إلى أمها بعينين متسعيتين، وأجابت: بالتأكيد.

- سينتهي.

- إيه؟

- سينتهي. الشيء الذي كنت أريد أن أقوله لك أن الأمر سينتهي. الآن يبدو لك ذلك مستحيلاً، لكن صدقيني بعد فترة من الزمن، عندما لا تتوقعين ذلك على الإطلاق، ستوقفين عن التفكير في هذا.

ابتسمت جويا سبادا، وفي ذلك الوقت، كانت تفكر أنها لا تريده أن ينتهي، بل بالعكس، أن ينتهي هذا الأمر هو الشيء الأخير الذي تريده في العالم؛ فهي لا تريد أن تنسى، ولا تريد أن تتوقف عن التفكير فيه؛ لأنه حتى إن كان ذلك يؤلمها بشدة؛ لأنها تُدرك أنه في اليوم الذي سينتهي هذا فيه، سيكون اليوم الذي لن يعني شيئاً بالنسبة إليها؛ وهذا معناه أن تلك الصفحة في الكتاب لن يعود لها وجود، وأنها ستكون مُزقت

في الخفاء، بالميزة التي لا يمكن إغفالها أنها لن تُفاجئ نفسها وهي تبكي على فراشها بينما تستمع إلى أغنية الخنازير الطائرة، بالتأكيد، أيضاً ومع الفائدة الجانبية الإيجابية بأنها ستستطيع أن تفكر في شيء آخر بخلاف تلك الابتسامة اللعينة؛ وذلك الصوت الذي كان يقول لها «أهلاً يا شيء»، أو ذلك المرطبان الغبي المليء بالحجارة. بالتأكيد، لكن أيضاً أن تبقى مرتبطة، في كل ثانية لعينة، بتلك الذكريات هو الشيء الذي يعصر معدتها، ولا ترغب جويًا في أن تتخلى عنه؛ لأنها فقدته، أجل، لكن سيحدث هذا فقط عندما لن تعود تلك الذكريات موجودة، فقط عندما ستعود إلى الخلف في الكتاب، وستجد الصفحة ممزقة، عندئذٍ فقط ستعرف أنها فقدته بالفعل.

كانت تريد أن تقول لها هذا، أن تقول كل تلك الأشياء لجوفانا، بينما تمسك طفلتها بين يديها وتطعمها، لكن في النهاية اكتفت بأن تبتسم، وأن تربت عليها برقة وتقول لها: أشكرك.

6

- اتصل والد ذلك الصبي.
- آه، وماذا قال؟
- كان يائساً جداً، وقال إنهم لا يستطيعون العثور عليه قط.
- إيه، أعلم.
- مسكين هذا الصبي، في سنه هذه ولديه كل تلك المشكلات!
- بالفعل.
- وأنتِ ليستِ لديكِ أي فكرة أين ذهب؟ لأن الأب مقتنع تماماً أنه إذا كان هناك شخص يمكنه أن يعرف، سيكون هذا الشخص هو أنتِ.
- لا يا ماما، فعلاً، لا أعرف.

7

تأتي كثيراً جويًا سبادا إلى هنا، هنا في البار، عندما يكون مغلقاً ليلاً.
 فبعض الأماكن مثل الصور، إلا أنها ثلاثية الأبعاد... صور يمكنها
 الدخول فيها، ولمس سطح الموائد، والاستماع إلى صرير الألواح الخشبية
 أسفل قدميها، واستنشاق رائحة الرطوبة التي تجعلها تشعر كأنها في
 منزلها.

بالتأكيد، لا بد فقط من تجاوز الجزء الصعب؛ تلك الأمطار القليلة
 قبل المدخل، التي، حتى بإجبار نفسها، لا تستطيع جويًا أن تتغلب عن
 إبطاء الخطى، أملاً في سماع صوت الأسهم وهي تُطلق على الهدف
 «طق!».

كانت هناك فترة نجحت فيها بطريقة أو بأخرى في أن تعيد إنتاج
 مفعول السحر من جديد، بأن تكرر بالحرف كل ما حدث في الليلة
 التي قابلته فيها المرة الأولى: بما في ذلك أن ترتدي الملابس نفسها، وأن
 تخرج جرياً من المنزل. لم يفدها ذلك في شيء سوى شعورها بالغباء
 وجعلها تعود بعد الساعة الثالثة.

اقتربت عليها تونيا: ربما سيكون من الأفضل أن تتوقف عن الحضور
 إلى هنا.

- لكن لا، في نهاية الأمر، هنا أشعر براحة.
 ثم، فجأة سمعت ضوضاء، كأن هناك خطوات في الشارع. نهضت
 جويًا ببطء، وذهبت إلى ركن مظلم، وهي تحاول أن تسترق السمع من
 الناحية التي يأتي منها.

لا شيء، بعد قليل ابتعدت الخطوات.
 - ما يوانجويًا، حانت ساعة العودة إلى المنزل. قالت لها تونيا، أو على
 الأقل اخترعي لي صديقاً متخيلاً، هكذا أهتم أنا به بينما أنتِ تجلسين
 هنا بين ذكرياتك الجميلة!

عادت جويًا إلى المنزل مع تونيا في الظلام، وكانت في ذلك الوقت تفكر في سايكي، التي استطاعت، بعد آلاف المحاولات في النهاية، الحصول على نهايتها السعيدة، وعادت مرة أخرى إلى كيوييد، لكن بالنسبة إليها، جويًا، لن تكون النهاية السعيدة هي العودة إلى المنزل والعثور على أبويها مستلقين على الأريكة، شبه نائمين، «أو مستيقظين، لكن نصف مخمورين»، كانت تفكر وهي تضع المفتاح في ثقب الباب.

عندما دخلت اكتشفت أنها كانت على حق؛ فأبواها هناك، وأعينهما مغلقة وفماهما مفتوحان، على الأريكة، والتلفزيون يعمل؛ إذا أطفأته سيستيقظان؛ ولذلك كل ما فعلته أنها خفضت الصوت بعض الشيء.

كان جاكو؛ القط الشبح، داخل الحجرة الصغيرة لجدها، حبسها هناك، ربما ليتجنب أن يدمر شيئاً كما يفعل عادةً. فتحت له جويًا الباب، ورأته يهرع إلى الخارج، ثم اختفى في بضع ثوانٍ.

صعدت الدرج وذهبت إلى الحمام.

ومثل كل مساء، تبدأ بطقس المياه الساخنة، تتركها لتسيل وتنتظر البخار، ثم تنظر إلى المرأة.

لا شيء أيضاً هذه المرة.

تفكر: يا لي من غبية!

تغلق الصنبور، وتجفف يديها، وتطفئ النور.

عندما فتحت باب الحمام لتذهب إلى حجرتها، سمعت في الأسفل في حجرة المعيشة أن التلفزيون أُغلق، وغرق المنزل في صمت تام، حتى صوت المبرد لم يعد مسموعاً.

ثم، بعد خطوتين في الردهة، شعرت بشيء ما أسفل قدميها، كأن أحدهم ترك لآلى تسقط منه ولم يجمعها. أشعلت الضوء، واكتشفت أنها حجارة صغيرة؛ حصى صغيرة جداً. أخذت تجمعها واحدة تلو الأخرى، وتنظر إليها مقابل الضوء، بدت لها كلها شبيهة بتلك التي

عثرت عليها في الظرف الذي أرسله إليها (لو)؛ ذلك الذي مع الخطاب الذي حوّلته إلى طائرة ورقية وألقته من فوق ناطحة السحاب. وعندما نظرت إليه، أدركت للمرة الأولى أنه نوع الحصى نفسه الموجود أسفل الشجرة الموجودة أمام نافذة منزلها.

إذن، لا بد أن (لو) احتفظ بتلك الحصى، وربما وضعها بين الحجارة الأخرى في مرطبانها، ثم وضعها لها في المظروف، لكن لماذا؟ ولماذا تمثلي الردهة بالحصى الآن؟ ترفع جويًا حاجبيها ولا تفهم جيداً ماذا يحدث. تتحرك خطوتين ببطء، وتحاول في الوقت نفسه استراق السمع ربما تسمع أي صوت، لكن لا شيء، الصمت فقط.

تغلق ضوء الردهة، وتفتح باب غرفتها، وتجد أشعة القمر تضيء وسادتها.

هناك من يستند إلى فراشها؛ شخص يضع يديه خلف رأسه، ويوجد بجواره مرطبان مليء بالحجارة على الطاولة الجانبية، ويقول لها مبتسماً: أهلاً يا (شيء).

قاموس الكلمات، التي لا يمكن ترجمتها بكلمة واحدة لجويا سبادا
(بترتيب عشوائي تماماً)

Komorebi (كلمة يابانية): ذلك التأثير الخاص للضوء عندما تتخلل أشعة الشمس أوراق الأشجار.

PoCemuCka (كلمة روسية): شخص يسأل ويتساءل كثيراً جداً.

Fernweh (كلمة ألمانية): الحنين للأماكن البعيدة، والرغبة في السفر.

Shu (كلمة صينية): أن يضع الآخر في قلبه.

Iksuarpok (لغة شعب الإسكيمو): الإحباط الذي يشعر به المرء

عندما ينتظر أحداً متأخراً عن ميعاده.

Waldeinsamkeit (كلمة ألمانية): المشاعر التي تنتاب المرء كأنه بمفرده في غابة.

Mamihlapinatapai (لغة يامانا): لعبة النظرات بين شخصين يتبادلان الإعجاب، وكلُّ منهما يريد أن يتقدم الخطوة الأولى، لكن يشعر بالخوف.

Ilunga (اللغة التشيلوبا): شخص يغفر في المرة الأولى، ويتسامح في المرة الثانية، لكنه لا يعرف الرحمة في الثالثة.

Won (اللغة الكورية): صعوبة أن يتخلى شخص عن وهم لينظر مباشرةً إلى الواقع.

Luftmensch (لغة الياديش): مَنْ يحلم دائماً أحلام اليقظة.

Verschlimmbessern (لغة ألمانية): أن يزيد المرء الموقف سوءاً في أثناء محاولة إصلاحه.

Yakamoz (اللغة التركية): انعكاس القمر على المياه.

Cafuné (لغة برتغالية): تحريك الأصابع على شعر المحبوب.

Geborgenheit (اللغة الألمانية): الشعور بالأمان الذي يشعر به المرء في أثناء وجوده مع المحبوب.

Gezelligheid (اللغة الهولندية): الدفء الذي يشعر به المرء بوجوده مع من يحب.

Dor (باللغة الرومانية): الألم بسبب الانفصال عن المحبوب.

Begadang (اللغة الإندونيسية): المكوث مستيقظين طوال الليل للتحدث.

Oodal (اللغة التاميل): الغضب الظاهري الذي يتظاهر به المحبون بعد الشجار.

Retrouvailles (اللغة الفرنسية): فرح لقاء الشخص المحبوب بعد

الابتعاد (البعاد - الانفصال) لمدة طويلة.

Hoppípolla (آيسلندي): القفز في تجمعات المياه.

Cwtch (لغة ويلز): ليس حضناً بسيطاً، لكنه حضن مليء بالمشاعر؛ حضن يصبح مكاناً آمناً؛ ذلك المكان الذي يشعر فيه بأنه في بيته، بين ذراعي الشخص المحبوب.

Akili (لغة هاواي): تلك اللحظة عندما يعطيك شخص إرشادات للطريق أو يشرح لك كيف يمكن أن تصل إلى مكان ما، لكنك تنسى كل شيء بعد أن تشكره وتبدأ السير.

Trepverte (لغة الياديش): تعني حرفياً «كلمات الدرج»، وتصف الإجابة الصحيحة، التي كان لا بد أن تعطيها في أثناء نقاش ما، لكن، كالمعتاد، تخطر في بالك وأنت على وشك الرحيل. بالفرنسية **esprit d'escalier**.

Yuugen (كلمة يابانية): الوعي بالكون، الذي يوقظ شعوراً أكبر بكثير من الكلمات، ويشير إلى عمق لا يمكن سبر غوره من الجمال المخبأ، وسحر الأشياء في الظلال التي لا يمكن فهمها فهماً دقيقاً.

Dap jeong nieo (بالكورية): عندما يقرر أحدهم بالفعل ماذا يرغب في أن يسمع ويريدك أن تجيبه كما يتمنى.

Joyus (كلمة إندونيسية): تُقال عن شيء لا يضحك إلى حد أنه يصبح مضحكاً في النهاية.

Goya (لغة الأردو): التشويق من خلال عدم التصديق الذي يخدم في دمجنا في قصة ما أو فيلم.

Vorfreude (بالألمانية): حرفة، ما قبل السعادة: تلك السعادة التي تنتج عن التذوق المسبق لسعادة مستقبلية.

Desenrascanço (كلمة برتغالية): عندما ينجح المرء بطريقة مثيرة وبأدوات قليلة لديه في أن يحل مشكلة صعبة.

- Nunchi** (اللغة الكورية): فن الاستماع وفهم مزاج الآخر.
- Sisu** (الفنلندية): الحفاظ النفسي الاستثنائي في مواجهة تحديات طويلة المدى وشديدة الصعوبة.
- Mbuki-mvuki** (بلغة البانتو): الرغبة في خلع الملابس والبدء في الرقص.
- a-un** (يابانية): نوع من التواصل اللا شفاهي بين صديقين عزيزين، اللذين يتفاهمان بلا كلمات.
- Frisson** (كلمة فرنسية): رعشة من الخوف والاستمتاع والإثارة.
- Qarrtsiluni** (بلغة أهل الإسكيمو): الجلوس مع أحدهم في الظلام في انتظار حدث جلل، نوع من السكون الذي يسبق العاصفة.
- Besa** (اللغة الألبانية): وعد لا يمكن نكثه، كلمة شرف، التمسك بالقسم، كل هذا في كلمة واحدة من أربعة حروف.
- Doxa** (كلمة يونانية): الثقة الشعبية، الرأي العام.
- Filoxenia** (اليونانية): محبة الضيوف والغرباء.
- Gjensynslede** (كلمة نرويجية): السعادة عند مقابلة شخص لم تَرَ منذ وقت طويل.
- Ming-gat** (كلمة إندونيسية): الرحيل إلى الأبد بلا وداع.
- Mann vaasanai** (لغة التاميل): رائحة الأمطار على الأرض الجافة.
- Nja** (كلمة سويدية): لا نعم، ولا لا.
- Onsay** (بلغة البورو): التظاهر بالحب.
- Schnapsidee** (الألمانية): الخطة المبهمة والسخيفة التي تخطر في بالك وأنت مخمور، وتجعلك ترتكب كوارث لا يمكن إصلاحها.
- Torschlusspanik** (الألمانية): الخوف من أن يكون التقدم في السن «باباً يُغلق» أمام إمكانيات السعادة.
- Zhaghzhagh** (الفارسية): عندما تصطك الأسنان من الخوف أو

الغضب.

Shmegegge (الياديش): شخص إما أنه أحمق أو مُداهن.
Nonplussed (الإنجليزية): عندما تجرب شيئاً قوياً جداً، ومتناقضاً،
 ولا تستطيع أن تصفه بالكلمات.
Proairesis (اليونانية): القدرة على اتخاذ القرارات أو الاختيارات
 وفق العقل.

Vybafnout (كلمة تشيكية): القفز خارجاً فجأة والصراخ بـوو.
Curgalff (لهجة إسكتلندية): الشعور بالصدمة، وفي الوقت نفسه
 القوة التي تكون للمرء عندما يقفز في الماء المثلج.
Utsura-utsura (كلمة يابانية): الوجود في حالة بين النوم واليقظة.
Kensho (كلمة يابانية): لحظة مفاجئة وسريعة من الاستنارة.
Mokita (كيليفيلا): حقيقة يعرفها الجميع، لكن لا يتحدث عنها
 أحد أو يعترف بها.
Turadh (كيلتي): بقع اللون الأزرق القاتم، التي تتكون بين السحب
 بعد العاصفة.

Ikigai (كلمة يابانية): ذلك الشيء الذي تحب أن تفعله، وتتمسك
 به كثيراً؛ ومن أجله تنهض من فراشك في الصباح.
Magari (كلمة إيطالية): صيغة تمّن «إذا فقط أمكن أن يصبح هذا
 الشيء حقيقياً»، (اشتقاق من الكلمة اليونانية makarios، سعيد).
Kogarashi (كلمة يابانية): أول هبة رياح تُعلن عن الشتاء.
Gigil (تغالوغ): الرغبة في إيلام شخص ما، من شدة الرغبة في لمسه.
Neach-gaoil (كيلتي): الشخص الذي يعيش داخل قلبك.

شكر

لا أدري ماذا عنكم، لكنني أقرأ الشكر في نهايات الكتب دائماً. أعتقد أنه يمنح المتعة نفسها، التي تمنحها قراءة الأسماء في نهاية الأفلام. الشخص الأول، الذي أريد أن أشكره، هو تلميذتي السابقة: إليونورا تريفسان. في إحدى الليالي، حلمت أنها تقف بيني وبين شخص، عندما كان عمري سبعة عشر عاماً كان يريد ضربني دائماً، وهي تصرخ فيه: إنه أستاذي! لا تلمس أستاذي! وعندما استيقظت جاءني شيء كالاستنارة، فكرة غيّرت حياتي، ماذا إذا بدأت تسجيل فيديوهات أحكي فيها عما يحدث في المدرسة كل يوم؟ من دون تلك التسجيلات لم يكن لأشخاص كثيرين أن يقرؤوا الأشياء التي كنت أكتبها، خصوصاً لم تكن لتفعل ذلك إيلاريا مارزي وإيليزابيتا ميليفادا، فتاتان ظريفتان جداً، وبالمصادفة البحتة كانتا أيضاً (إيلاريا) واحدة محررة، والأخرى مديرة تحرير في قسم الروايات لدى دار نشر جاززانتني. أجل، هاتان الاثنتان هما الشخص الثاني الذي أريد أن أشكره، بالاشتراك مع أدريانا سالفاتوري (من جاززانتني أيضاً).

أشكر أليكس باللاتو، ممكن أن يكون نيكولا سيلينو، فرانيسكو دومينيلي وباولو دي ناداي؛ لأنه أيضاً لولاكم لما حدث ما حدث. وأشكر شكراً بلا نهاية تلاميذي السابقين وأصدقائي الذين قرؤوا «إلا أننا نسقط سعداء» «عندما كان اسمه فقط (لو)»، والذين سألتهم

عن آرائهم ونصائحهم، خصوصاً إنريكو ماري، وكلارا زورزين، وجوليا تيارول، وفرانشسكا برينشيفالي، وآليساندرو ديل سافيو، وسيلفيا بوفيو، وإيليزابيتا مارتشين روبرتا دي كيارا. أشكر كل من تابعني على «فيسبوك»؛ فبفضلكم أيضاً تحول هذا الكتاب إلى حقيقة.

أشكر مئات التلاميذ، الذين درستهم في تلك الأعوام، إضافة إلى أنهم منحوني مادة لأكثر من عشرين رواية على الأقل؛ فأنتم أيضاً الذين تمنحوني كل يوم كمية كبيرة من الطاقة والأدريالين، والرغبة في أن أتبع أحلامي، التي لن تكفي حياة كاملة لتحقيقها كلها. لا توجد في اللغة الإيطالية كلمة لتشكركم جميعاً كما أريد، لكن في لغة هاواي، توجد كلمة لا تسهل ترجمتها، وكانت ستعجب جويًا كثيراً: mahalo؛ وهي تعني في دفعة واحدة: شكرًا، أنتم عظماء، أحترمكم وأحبكم. Mahalo، بصفة خاصة من أجل كل ما تعلمته منكم.

E. G.

حوار مع إينريكو جاليانو

أجرته أماني حبشي

• جويوا ولو، بطلا الرواية، مراهقان يلتقيان بالمصادفة، ومن تلك اللحظة تتغير حياتهما للأبد. من أين واثتت فكرة الرواية؟

- من فكرة عبثية بعض الشيء راودتني في إحدى الليالي في سيارتي بينما أتحدث عن صديقة لي، كنت أريد أن أكتب قصة حب لا يفهم فيها إذا كانت هذه القصة ثمار خيال بطلتها أم واقعية. وفي تلك الليلة، ولدت جويوا، ثم معها أيضاً (لو)، والقصة كلها، التي - بطبيعة الحال - اتخذت منحى مختلفاً جداً عن ذلك الظهور الأولي.

• لدى جويوا هواية خاصة، جمع الكلمات التي لا تُترجم بكلمة من كل أنحاء العالم. كيف هذا؟

- تكره جويوا الطريقة، التي يتواصل بها الناس، الذين يستخدمون دائماً: المترجم. وتُدرك أنه يوجد قليل جداً من الأشخاص، الذين يقولون الأشياء كما تخطر في أذهانهم؛ لأنهم إما غريبو الأطوار جداً، أو صعب جداً فهمهم؛ لهذا هي تحب جداً الكلمات، التي لا تمكن ترجمتها؛ لأنها تقول أشياء غير معتادة، وخاصة، وغير متداولة، ولا يمكن ترجمتها، ويمكنها بمفردها أن تعبّر عن مشاعر عميقة جداً. بالنسبة إليّ، على المستوى الشخصي، وليس كمؤلف، كان شيئاً رائعاً أن أشارك جويوا هوايتها تلك، وأن أكتشف أن هناك كلمات من أربعة مقاطع، يمكنها بمفردها أن تعني «الضوء الذي يتخلل أوراق الأشجار» أو «الحنين للأماكن التي لم

نذهب إليها قط». إنه بالفعل شيء رائع!

• أحد الموضوعات الأساسية في الكتاب هي المراهقة؛ تلك الفترة في الحياة، التي فيها يشعر المرء أنه بمفرده ضد الجميع، والتي يشعر فيها أنه مختلف ولا يفهم مطلقاً. عمّ يبحث في رأيك، وأنت مدرس، مراهقو اليوم؟

- في الواقع، يبحثون عن أشياء بسيطة جداً: الإصغاء والاحترام. لا يريدون أن يتعامل معهم الجميع كأطفال، خصوصاً لا يريدون سماع العظات منا، ولا يريدون الخطب المعتادة المطبوعة مسبقاً، بل ربما لا يريدون أي خطب، لكن يريدون الحوار: وهما شيئان مختلفان تمام الاختلاف، ثم يريدون أيضاً أن يُمنحوا إمكانية التجريب، وأن يجربوا ويخطئوا، لكن اليوم لم نعد نتركهم يفعلون ذلك؛ فنحن نوقفهم في الدفء لمدة أكثر من اللازم، لا نمنحهم الثقة والمسؤولية. إذا كانوا ضعفاء جداً أمام الأم؛ فهذا خطأنا.

• جويبا تأتي من عائلة صعبة. كم يؤثر، في رأيك، المحيط الذي ينمو فيه الشخص، في مستقبله؟

- كثيراً، ويمكن لهذا أن يحطمك كما يمكنه أيضاً أن يكون الدافع لك لتصبح قوياً كالصخرة. ما لا يقتلك يقويك؛ بمعنى إذا خرجت منه حياً يمكنك بعد ذلك أن تواجه بالفعل أي شيء. في عملي مدرساً، نرى كثيراً من الصبية الضائعين وآخرين يصبحون رجالاً في سن مبكرة، وخلف كل هذا كثيراً ما تكون القصص العائلية الصعبة جداً.

• من أقرب الشخصيات إلى جويبا أستاذ الفلسفة. ما الذي يوجد في مهنتك ويدفعك كل يوم إلى الذهاب إلى فصل مليء بالطلبة؟

- كثير بالفعل؛ كل المشاهد الدراسية الموجودة في الكتاب هي مشاهد من الحياة الواقعية، شهدتها أو حكاها لي تلاميذي. ودروس الأستاذ بوفه هي الدروس التي أقوم بها أنا كل يوم. بالطبع، هو يبلغ من العمر سبعين عاماً، وأنا عمري تسعة وثلاثون. هو يدرس الفلسفة، وأنا أدرس الآداب، لكن كثيراً من الأشياء التي يحكيها أخذته من دروسي.

• الرواية أيضاً هي قصة حب جميلة جداً، وعن تلك اللحظة التي يخاطر

فيها المرء بأن يفقد حب حياته. ماذا يعني لك الحب؟

- ببساطة الدافع الذي لأجله نحن موجودون. لأجيب عن هذا السؤال يجب أن أكتب عشرات الروايات الأخرى مثل هذه الرواية، لكن في النهاية الخلاصة ستكون واحدة: الدافع الذي لأجله نحن موجودون.

• جويأ لديها هواية أخرى، هواية التصوير. هل هذا فن يسحرك أيضاً؟

- أجل، وبصفة خاصة التصوير الأبيض والأسود. ومصوري المفضل هو ستانلي كوبريك، عندما كان مصوراً صحفياً لمجلة Look في نيويورك، إلا أنني يجب أن أعترف أنني أحب أيضاً كثيراً من الأشياء التي أشاهدها على «إنستغرام»؛ يوجد بعض الصفحات لمصورين محترفين يمكنها أن تسحرك بالفعل. ويعجبني كثيراً في التصوير عندما ينجح أن تكون الصورة متحركة حتى في حالة ثباتها، عندما تحكي قصة، عندما تكون فيها حبكة داخلية. بهذا المعنى أعتقد أن لقطات الشاب كوبريك من الروائع، ثم أحب جداً أيضاً أغلفة ألبومات فريق بينك فلويد؛ الفريق الذي تحبه جويأ، تلك الصور تحكي قصصاً جميلة جداً، سيريالية وشاعرية.

• جمع الحجارة من كل الأماكن الخاصة التي زارها المرء أو عاش فيها لحظات لا تُنسى. هل حضرتك تجمع شيئاً؟

- أجمع التسجيلات الصوتية لحوارات الأفلام. لديّ منها جيغا كاملة على حاسوبي، وأستمع إليها كثيراً جداً، خصوصاً أفلام وودي آلان. خلال مائة عام سندرسها في كتب الأدب، لكن لديّ أيضاً قسم ثري جداً من حوارات أفلام ألدو جوفاني وجاكومو، التي أفخر بها كثيراً.

• متى وُلدت لديك هواية الكتابة؟

- كان عمري سبعة أعوام، في الصف الثاني الابتدائي. بدأت شاعراً، وكتبت إلى أمي بيتين من الشعر خالدين: «ماما، كل يوم يمر علينا تصبحين فيه أكثر بدانة». ولا يمكن بالطبع أن أنسى الذكرى التي لا تُمحى من آثار ضربات المداس يومها.

• هل في ذهنك بالفعل رواية جديدة؟

- واحدة فقط؟ لنضع المزاح جانباً، أجل، لكن لا أريد أن أدمر عنصر التشويق: سأقول فقط إنها ستكون بالفعل فيلم، لكن على الورق!

المترجم في سطور

أماني فوزي حبشي

- مواليد القاهرة.
- حصلت على ماجستير في الترجمة، ودكتوراه في الأدب الإيطالي، من كلية الألسن جامعة عين شمس.
- حصلت على الجائزة الوطنية الإيطالية للترجمة عام 2003، وعلى وسام نجمة إيطاليا برتبة فارس عام 2004 لإسهاماتها في نشر الثقافة الإيطالية.
- شاركت بعدد من المقالات والأبحاث الخاصة بالثقافة الإيطالية والترجمة نُشرت في الصحف والمجلات المصرية المختلفة.
- أسهمت في تأسيس صفحة «المقهى الثقافي الإيطالي» عام 2017، وهي صفحة تعمل كبليوجرافيا للأعمال المترجمة من اللغة الإيطالية إلى اللغة العربية.
- سبق وترجمت لسلسلة إبداعات عالمية «أذهب حيث يقودك قلبك» و«صوت منفرد» لسوزانا تامارو.
- من أهم ترجماتها الأخرى: «بندول فوكو» لأومبرتو إيكو، و«ثلاثية أسلافنا: الفسكونت المشطور، البارون ساكن الأشجار، وفارس بلا وجود» لإيتالو كالفينو، و«بلا دماء ومستر غوين» لأيلساندرو باريكو، «أصوات المساء» لنتاليا جينزبورج، و«أربطة» لدومينيكو ستارنونه.

المراجع في سطور

الرداد شراطي

- باحث أكاديمي ومترجم.
- حاصل على الإجازة في الأدب الإسباني تخصص ترجمة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - عين الشق - الدار البيضاء في العام 1993.
- حاصل على شهادة الأهلية العليا لتدريس اللغة الإيطالية جامعة سيينا بإيطاليا.
- حاصل على أستاذ مكون للغة الإيطالية والإسبانية بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالرباط - المغرب.

من ترجماته:

من العربية إلى الإيطالية :

- ديوان «أنثى الماء وقصائد أخرى» للشاعرة التونسية أمال موسى عن دار Giustiniani dei Marco ans، في عام 2003، وقد حازت هذه الترجمة على جائزة "Lerici Pea" عام 2014 وهي جائزة إيطالية أوروبية تمنح لثلاث شاعرات من البحر الأبيض المتوسط.
- ديوان «المستحبات وأبدية صغيرة» للشاعر حسن نجمي عن دار Messina Kimerik عام 2007، وقد حصلت هذه الترجمة على جائزة «روكا فليبا» بإيطاليا عام 2008.
- ديوان «مائيات وقصائد أخرى» للشاعر محمد الأشعري عن دار Ragusa World Libroitano عام 2008.
- ديوان «ورق عاشق» للشاعرة فاتحة مرشيد عن دار Leonida عام 2010.
- ديوان «توهج اليلك» للشاعرة عائشة البصري عن دار GirasoleIl عام 2012.
- «كل شيء يبدأ من وردتك»، أنطولوجيا للشاعر أحمد الشهاوي عن دار Editore Aletti في عام 2019.

من الإسبانية إلى العربية :

- ديوان «شذرات كتاب آت» للشاعر الإسباني الراحل خوسي انخيل بالنطي Futuro Libro un de Fragmentos عن وزارة الثقافة المغربية عام 2005.

من العربية إلى الإسبانية:

- ديوان «المصاييح» للشاعر السعودي عبد الله باشراحيل كتاب مشترك عام 2008.

من الإيطالية، الإسبانية، الفرنسية والبرتغالية:

- كتاب «عشق وحداد» أنطولوجيا نشر دار الصدى للصحافة والنشر عام 2015.
- «بعكس الضفة» كتاب للشاعرة فاليريا دي فيلتشي نشر إتحاد كتاب فلسطين بالتعاون مع سفارة روما عام 2016.
- ديوان « المنحطون» للشاعر الإيطالي جوزيبي أليتي عن مركز المحروسة مصر عام 2019.

ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف: ليونيد أندرييف
315	دون كبشوت	تأليف: ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف: كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف: خلدون طائر
318	نون و القلم	تأليف: جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف: تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف: جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف: ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف: ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف: مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف: رولان بارت
325	لون الماء	تأليف: جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف: أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف: اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف: مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف: بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف: بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار - الجرة المكسورة	تأليف: جونتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف: هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين و أساطيرهم	تأليف: أندريه شديد
335	زهرة الصيف	تأليف: فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف: مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف: ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف: نيكولو ماكيافلي
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف: جوهر مراد
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف: تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف: آرثور شنيتسر
342	آرنجندين والحارس الليلي	تأليف: إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: فيمي أوسوفيسان
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: تنغ - هسنغ بي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف: إيريش كستر - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف: سليمان جيغو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيلر
348	حكايات وخرافات أفريقية (2)	تأليف: سليمان جيغو ديوب
349	الأدغال والسهول العشبية تحكي القصة القصيرة الإسبانو أمريكية	تأليف: مجموعة من القاصين

ما صدر من هذه السلسلة

المتحدثين بالأسبانية	في القرن العشرين	
تأليف: وول سوينكا	مسرحيتا: 1 - محنة الأخ جيرو	350
	2 - تحول الأخ جيرو	
تأليف: أو. هنري	روض الأدب (مختارات قصصية)	351
تأليف: ب. بريشت	مسرحية «أنتيجون»	352
تأليف: هنري برونل	أجمل حكايات الزمن يتبعها فن الهايكو	353
تأليف: لاوشه	مسرحية «المقهى»	354
تأليف: برايان فرييل	مسرحيتا: 1 - صناعة تاريخ	355
	2 - ترجمات	
تأليف: ج. م. كويتزي	رواية «الشباب»	356
تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين	مختارات من الشعر المجري المعاصر	357
	(شعراء السبعينيات)	
تأليف: إيجون وولف	مسرحيتا: 1 - تلاميذ الخوف	358
	2 - الغزاة	
تأليف: وليام سارويان	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	359
تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية	حامل الإكليل (قصص مختارة)	360
تأليف: سيلافومير مروچيك	الثميرة (مسرحية)	361
تأليف: تحسين يوجل	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	362
تأليف: إيرينيوش إيردينسكي	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	363
أندجي ماليسكا		
ستانيسلاف ليم (ستانيسواف)		
سوافومير مروچيك		
تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات	سبع نساء... سبع قصص	364
تأليف: نوبل كاورد	زمن الضحك	365
	(ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	
تأليف: رُوبين دافيد غونساليس غاليجو	بالأبيض على الأسود (رواية)	366
تأليف: تيان هان	مسرحيتا: 1 - سهرة في المقهى	367
	2 - موت ممثل مشهور	
تأليف: مايكل هلمان	إمراة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها»	368
	سيرة حياة	
تأليف: ييجي شانيفسكي	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	369
تأليف: بول أوستر	ليلة التنبؤ (رواية)	370
تأليف: نوبل كاورد	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)	371
تأليف: أمادو همباطي با	لا وجود لخصومات صغيرة	372
تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي	الليلة التي أمضاها ثورو في السجن (مسرحية)	373
تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	374
تأليف: بول بولز	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	375

ما صدر من هذه السلسلة

العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	376
«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)	377
شارع بريك لين (الجزء الأول)	378
شارع بريك لين (الجزء الثاني)	379
الطريق (رواية)	380
مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	381
عشيق الصين الشمالية (رواية)	382
المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الأول)	383
المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثاني)	384
المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثالث)	385
النمر الأبيض (رواية)	386
موطن الأم (رواية)	387
فيلا أماليا (رواية)	388
الإحساس بالنهاية (رواية)	389
ياسمينية (وقصص أخرى)	390
المغامرة الغامضة (رواية)	391
الرجال الذين يحادثونني (رواية)	392
أنطولوجيا الحكمة الإيرانية الحديثة	393
حكايات حكام أفريقيا وأسطورة نجدو ديوال	394
خرائط (رواية)	395
إله الصدفة (رواية)	396
أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	397
الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	398
أذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	399
الحضارة أمة (رواية)	400
فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	401
عينها (رواية)	402
السباحة إلى المنزل (رواية)	403
الرقة (رواية)	404
على قيد الحياة (رواية)	405
الأب (رواية)	406
إني أتغافى (رواية)	407
الوردة الزرقاء (رواية)	408
إبداعات نسائية (مجموعة قصصية)	409
الإسباب (ديوان شعر)	410
سبع حكايا تعود من بعيد	411
المخادع الحقيقي (رواية)	412
تأليف: بول بولز	
تأليف: فروغ فرخزاد	
تأليف: مونیکا علي	
تأليف: مونیکا علي	
تأليف: كورماك مكارثي	
تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك	
تأليف: مارغريت دوراس	
تأليف: إرنست همنغواي	
تأليف: إرنست همنغواي	
تأليف: إرنست همنغواي	
تأليف: أرافيندا أديغا	
تأليف: دوبرافكا أوجارييسك	
تأليف: باسكال كينيارد	
تأليف: جوليان بارنز	
تأليف: إيزابيل إبراهيم	
تأليف: شيخ حامد كان	
تأليف: أناندا ديفي	
تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين	
تأليف: أمادو همباتي با	
تأليف: نور الدين فرح	
تأليف: كريستين توروب	
تأليف: ألبرتو مينديس	
تأليف: تيه نينغ	
تأليف: سوزانا تامارو	
تأليف: إدريس الشرايبي	
تأليف: أنيتا ديساي	
تأليف: بزرگ علوي	
تأليف: ديورا ليشي	
تأليف: دافيد فونكينوس	
تأليف: يو هوا	
تأليف: جورج أكليين	
تأليف: دافيد فوينكينوس	
تأليف: بينلوي فيتزجيرالد	
تأليف: مجموعة من الكاتبات التركيات	
تأليف: هانزريش هائنه	
تأليف: جان كريستوف روفان	
تأليف: توف جانسون	

ما صدر من هذه السلسلة

تأليف: يو هـوا	اليوم السابع (رواية صينية طويلة)	413
تأليف: جليبر سينوي	الرجل الذي كان ينظر إلى الليل (رواية)	414
تأليف: جوديب روي - باتاجريا	راوي مراكش (رواية)	415
تأليف: سارة نوفيتش	فتاة في حالة حرب (رواية)	416
تأليف: تاتيانا سولي	أكلو اللوتس الجزء الأول (رواية)	417
تأليف: تاتيانا سولي	أكلو اللوتس الجزء الثاني (رواية)	418
تأليف: أوليف سنيور	بستنة في المنطقة الاستوائية (ديوان شعر)	419
تأليف: مجموعة من كتاب شبه القارة الهندية	مختارات من القصة القصيرة الهندية الحديثة	420
تأليف: ماري آن شيفر وآني باروز	جمعية غرينزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا (رواية)	421
تأليف: جون ماكغرين	كي يواجهوا الشمس المشرقة (رواية)	422
تأليف: سوزانا تامارو	صوت مُفَرَّد (رواية)	423
تأليف: جان نويل بانكرازي	- السيدة أرنول - الجبل (روايتان)	424
تأليف: خوان خوسيه مياس	الأشياء تناديننا (قصص)	425
تأليف: ميخائيل زوشينكو	ميخائيل زوشينكو (قصص مختارة)	426
تأليف: بينيلوبي لايكلي	مون تايجر (رواية)	427
تأليف: آناندا ديشي	غطاء دروبادي (رواية)	428
تأليف: لينورا ميانو	موسم الظل (رواية)	429
تأليف: شيترا بانرجي ديفكاروني	قَبْلَ أَنْ نَزُورَ الإلهة (رواية)	430
تأليف: ريكاردو بيجليا	الغزو (مجموعة قصصية)	431
تأليف: أنيلا بارتيش	السكينة (رواية)	432
تأليف: بيو باروخا	سيدة أورتوبي.. وقصص أخرى..	433
تأليف: ماثيو نيل	المسافرون الإنجليز الجزء الأول (رواية)	434
تأليف: ماثيو نيل	المسافرون الإنجليز الجزء الثاني (رواية)	435
تأليف: ميخائيل زوشينكو	قبل شروق الشمس (رواية)	436
تأليف: سبستيان باري	السر المكتون (رواية)	437
تأليف: رينور وين	درب الملح (رواية)	438
تأليف: دافيد فوينيكنوس	نحو الجمال (رواية)	439
تأليف: خوسيه يرو	دفتر نيويورك (شعر)	440
تأليف: مجموعة كتاب	الطوفان وقصص أخرى (قصص)	441
تأليف: أندريه شديد	بيت بلا جذور (رواية)	442
تأليف: فرانسيسكا مارتشانو	قديسات كابول (رواية)	443

يمكنكم الاشتراك والحصول على نسختكم الورقية من إصدارات المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب من خلال الدخول إلى موقعنا الإلكتروني:
<https://www.nccal.gov.kw/#CouncilPublications>

البيان	عام المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		المسرح العالمي	
	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار	دك	دولار
مؤسسة داخل الكويت	25		12		12		20		20	
أفراد داخل الكويت	15		6		6		10		10	
مؤسسات دول الخليج العربي	30		16		16		24		24	
أفراد دول الخليج العربي	17		8		8		12		12	
مؤسسات خارج الوطن العربي	100		50		40		100		100	
أفراد خارج الوطن العربي	50		25		20		50		50	
مؤسسات في الوطن العربي	50		30		20		50		50	
أفراد في الوطن العربي	25		15		10		25		25	

قسمة اشتراك في إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك تجديد اشتراك

الاسم:
العنوان:
المدينة:
الرمز البريدي:
البلد:
رقم الهاتف:
البريد الإلكتروني:
اسم المطبوعة:
المبلغ المرسل:
التوقيع:
التاريخ:

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - إدارة النشر والتوزيع - مراقبة التوزيع

ص.ب: 23996 - الصفاة - الرمز البريدي 13100

كشف وكلاء توزيع مطبوعات المجلس الوطني					
م	الدولة	اسم الشركة	هاتف الشركة	فاكس	عنوان الشركة
1	لبنان	مؤسسة صنوع المطبعية للتوزيع	00961 1666668 / 1653259 00961 1666311 / 4	00961 1653260 00961 1653259	لبنان - ضيق الفميق - شارع سعد - بناية حوار
2	البحرين	مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع	97317617733	97317617744	مملكة البحرين - الملمة - ص. ب. 3262
3	الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	00962 5358855 00962 5300170	00962 5337733	الأردن - شارع خليل العلي - لال العلي - بجانب مؤسسة الضمان الصحي - ص. ب. 3371
4	قطر	شركة دار الشرق للنشر والتوزيع	97474064163	97444557819	قطر - الدوحة - ص. ب. 3488
5	الإمارات	شركة دار الحكمة	00971 329711510	009714 2976066	دبي - الإمارات العربية المتحدة - ص. ب. 2007 دبي
6	السعودية	الشركة الوطنية الموحدة	009661 38112222	009661 4870809	المملكة العربية السعودية - ص. ب. 84540 - الرياض 11671
7	فلسطين	شركة بال رام للتوزيع والنشر	00970 2243955 / 22954731 / 2 00970 22980800	00970 2296413 00970 22980800	رام الله - عين مصباح - ص. ب. 1314
8	مصر	مؤسسة دار الأخبار	00202 25806241 / 25806400 00202 5782700	00202 25782632	6 شارع الصحافة - القاهرة - ص. ب. 372
9	السودان	دار المصري للتوزيع	249123078223		الخرطوم - شارع البلدية - جنوب برج التضامن
10	تونس	الشركة التونسية للمطبعة	00216 71322499	216 71323004	3 تيج المغرب - تونس 1000
11	المغرب	الشركة المغربية للتوزيع	00212 522589912	002120 522976832	المغرب - الدار البيضاء - سبي معروف - شارع أبو بكر القادي
12	كندا	Speed Impex	0074174167417 635	0074174167417 626	1040 martin grove road unit 6 toronto on Canada m9w 4w4
13	لندن	Quik March Ltd	0044 175758553	0044 1753681050	c/o k2 freight services badge code dal uk

إلا أننا نسقط سعداء

إنها كلمات لها عوالم كاملة بداخلها، شظايا صغيرة من الصوت من مقطعين أو ثلاثة مقاطع تحتاج إلى صفحات وصفحات لتُشرح، ولكنها تُترك هكذا، فهي غير قابلة للترجمة، ليس من جهة أنه من المستحيل ترجمتها، ولكن من جهة أنه لا يجب عمل هذا، لأنها جميلة جداً هكذا كما هي، غير قابلة للترجمة وغامضة، بأصواتها الغريبة جداً سواء كانت موسيقية، غير متناسقة ورائعة في آنٍ واحد.

إن أفضل العوالم الممكنة هو ذلك الذي فيه لا يحتاج أحد إلى ترجمة نفسه ليفهمه الآخرون. أو على الأقل هذا ما تفكر فيه جوياء.



إنريكو جاليانو

- مواليد بوردينوني عام 1977.
- يُدرّس الأدب الإيطالي وتم ترشيحه في قائمة أفضل مائة أستاذ في إيطاليا عام 2015.
- تصل منشوراته على الفيسبوك وتسجيلاته للفيديو من خلال موقعه لملايين المشاهدين.
- نشرت له دار نشر جاززانتى روايته «إلا أننا نسقط سعداء» في عام 2017 والتي فازت بجائزة ثقافة البحر المتوسط ورواية «كل الحياة التي تتمناها» عام 2018، و«أقوى من أي وداع» عام 2019، و«سعداء في مواجهة العالم» عام 2021.

